

PJ
7631
C538
1913
v.4



وجه		وجه	
٢٧٧	فصول في التهئة والهدايا	٢١٥	وصف دابة
٢٧٩	فصول في التعزية	٢١٦	وصف ابليس لنفسه
٢٨٠	فصول الى عليل	٢٢٠	زهريّة صني الدين الحلي
٢٨٢	الباب التاسع عشر في التراجم	٢٢٥	قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام
٢٨٢	شعراء النصرانية	٢٢٩	الباب الخامس عشر في الحكايات
٢٩٦	خطباء النصرانية	٢٢٩	هارون بن عبد الله والفيل
٢٩٨	مشاهير اطباء النصرانية	٢٣٠	الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء
من مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من		٢٣٤	جمدر والسبع
٣٠٥	اهل النصرانية	٢٣٦	عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين
٣٠٩	الباب العشرون في التاريخ	٢٤٤	الباب السادس عشر في الفكاهات
٣٠٩	صاحب الشريعة الاسلامية محمد	٢٤٥	الطيب والخليفة
٣١١	الخلفاء الراشدون خلافة ابي بكر	٢٤٨	الفضل بن يحيى والاعرابي
٣١١	خبر الاسود العنسي ومسيمة الكذابين	٢٥٣	الباب السابع عشر في النوادر
٣١٢	فتح العراق والشام وموت ابي بكر	٢٥٣	مدينة الزهراء في الاندلس
٣١٢	خلافة عمر وفتح دمشق وفارس ومصر	٢٥٥	عجائب مصر كالمقياس والاهرام والنيل
٣١٣	عثمان بن عفان	٢٥٨	عنتره والاسد
٣١٣	علي بن ابي طالب	٢٦٠	ذكر القهوة
٣١٤	الحسن بن علي بن ابي طالب	٢٦٢	الاندلس وعوائد اهلها واختراعاتهم
٣١٤	دولة الامويين خلافة معاوية	٢٦٥	الباب الثامن عشر في المراسلات
٣١٥	خلافة يزيد بن معاوية	٢٦٥	فصل في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٥	معاوية الثاني ومروان بن الحكم	٢٦٨	في الطلب وحسن التواصل
٣١٥	عبد الملك بن مروان	٢٧٠	في الاشواق
٣١٦	عبد الوليد بن عبد الملك	٢٧١	فصول في العتاب والاعتذار
٣١٦	سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز	٢٧٣	فصول في الذم
٣١٧	يزيد الثاني وهشام	٢٧٥	فصول في التوصية
٣١٧	الوليد الثاني ويزيد الثالث	٢٧٦	فصول في المدح والشكر
٣١٧	ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني		

وجه	وجه
١٥٩	١٢٢
١٦٠	١٢٣
١٦٢	١٢٤
١٦٣	١٢٥
١٦٦	١٢٦
١٦٨	١٢٧
١٦٨	١٢٨
١٦٩	١٣٠
١٧٠	١٣١
١٧١	١٣٢
١٧٢	١٣٣
١٧٣	١٣٤
١٧٥	١٣٦
١٨٠	١٣٧
١٨٠	١٣٨
١٨٠	١٤١
١٨١	١٤٢
١٩٣	١٤٤
٢٠١	١٤٥
٢٠٥	١٤٦
٢٠٨	١٤٨
٢١٤	١٤٩
٢١٤	١٥٠
	١٥٢
	١٥٢
	١٥٤
	١٥٧
	١٥٨

اشارة البنمسيح

اشارة الخزام

اشارة الشقيق

اشارة السحاب

اشارة العزار

اشارة الباز

اشارة الحمام

اشارة الخطاف

اشارة البوم

اشارة الدرّة

اشارة الديك

اشارة البطّ

اشارة النخل

اشارة الشمع

اشارة الغراب

اشارة العجده

اشارة الكلب

اشارة الجمل

اشارة الفرس

اشارة دود القز

اشارة العنكبوت

اشارة النملة

اشارة العنقاء

الباب السابع في الذكاء والادب

مدح مختلف العلوم

ابو تمام والمتيني وابو عبادة الجعدي

وصف القلم

وصف الحجرة و وصف الخط

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٧	٣
٧٣	٣
٨٥	٤
٨٦	٥
٨٦	٦
٨٧	٧
٨٨	٩
٨٨	١١
٨٩	١٢
٨٩	١٣
٩٢	١٥
٩٤	١٥
٩٨	١٧
٩٨	٢٠
١٠٤	٢١
١٠٨	٢٢
١٠٩	٢٣
	٢٧
	٣٣
١١٠	٣٤
١١٧	٣٥
١١٨	٣٨
١١٩	٤١
١٢٠	٤٨
١٢١	٦٥

الباب الأول في التدئين

عظمة الخالق وجبروته

متن الشيبانية في التوحيد

قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق

مأن بدء الامالي في التوحيد

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

قصيدتان له في الابتهاال الى الله وحده

وله ايضاً من قصيدة في الرجاء بالله

قصيدة لعبد الغني التابلسي في الثقة بالله

قصيدة للبابي في التوسل والاستعطف

الباب الثاني في الزهد

الزهد في الدنيا والانقطاع الى الله

قصيدة للبرعي في الزهد

زهد رجل من بني عباس

ذو النون والزاهدة

ذلة الدنيا

زوال الدنيا

ذكر المنية والعواقب

في الدهر ونوائبه

قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

للبرعي في الاغراء بالتوبة

ما كتب على القبور

الباب الثالث في المراثي

رثاء مشاهير العرب

الباب الرابع في الحكم

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً مليح الوجه خرج في ايامه يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويع له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً حاقلاً صاحب سياسة حسنة ايضاً . وكان ذاراي ودعاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اتم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فاتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لجرهم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فامرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي . فجمع المساكر وناوش زيداً القتال فاصاب زيداً سهم في جبهته فحمل من المعركة مات ودفن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من قبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فوره الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني امة ادباً وفصاحة وظرفاً واعرفهم باللغة والنحو . وكان جواداً مفضالاً . ومع ذلك لم يكن في بني امة اكثر ادماناً للشراب والسماع ولا اشد مجوناً وتحتكاً واستخفافاً بامر الامة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقة . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شرقتله وصلب راسه على شرافات قصره . ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني امة اعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسعي الناقص فتفاءل بنو امة بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويتخلى باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يتبع ويفتته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بويع اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان انفق عليهم الخزائن واخفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وخلعوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويع له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقضت دولة بني امة (لأبي الفداء) تم بجواره تعالى

فقيهاً عالماً وكان ديناً . فلماً تولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مغرمًا بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بناياته المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنهض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بفحص شريش فهزم الله لذريق واذنعت الاندلس لامر الوليد . وفتحت في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسبي . وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق . وكان فيد كنيسته فيدمها . فانفق عليه اموالاً كثيرة تجل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصي من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفاً . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدميري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥ - ٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو سابعهم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى المعتدين واخرج الخبوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة خصماً واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهز اخاه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشتى مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس بها الزرع واكلوه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متخماً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز كان عمر غنياً زاهداً ناسكاً عابداً تقياً . وهو اول من فرض لابناء السبيل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والفضل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان موته بالسّم عند اكثر اهل التاريخ . فان بني أمية علموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعهد له بعده الا لمن يصلح الامر فعالموه وما اهلوه . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجرة من ربح دابة . وكان يدعى بالاشج . وكان متخرباً سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يمثل هذه الايات :

خارك يا مغرور سهو وغفلة
ويفرك ما يقنى وتفرح بالني
وشغلك فيما سوف تكره غبه
والمملك نور والردى لك لازم
كما غر باللذات في النوم حالم
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

دولٍ وسائس أممٍ وراعي ممالكٍ ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه احد اليها . منها انه وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واخترع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لا يتمكّن احد من تغييرها . وفي سنة خمسين سير جيشاً كبيراً الى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بُنيت القيروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : أستم اهلِي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قدمي فردوها عليّ ان استطعتم . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تغرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للمغربي)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويغ له بالخلافة يوم مات ابوه . وكان يزيد يحرص فقدم منها وبايعه الناس . ولم يبایعه الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسير جيشاً الى محاربة الحسين فادركوه فحملوا عليه واصحابه واحترقوا وارس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلحق بمكة وتمصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحصين بن غير ونصب المنجنيق على ابي قبيس ورمى به الكعبة فحُرقت استارها . وبنينا هم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زبير يسأله الموادة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الأول سنة اربع وستين . وكان آدم جمعاً احور العينين . بوجه آثار جدري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موفراً الرغبة في اللهو والقنص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تخلى بالعبادة ومات بالطاعون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام الا الاردن . ثم بويغ بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لعثمان . ثم دخل الشام فادعن اهلها له بالطاعة . وسار اليه من قبل عبد الله بن زبير الضحّاك بن قيس . فاقتلوا بنوطة دمشق فقتل الضحّاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويغ سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فبعث اخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة واعطاه اهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجّاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلالته ما اعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير فقتله وسلخ جلده وحشاه تبناً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عاقلاً

فأبى . وقال : أن كون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيتُهُ . فالتحقوا عليه وقالوا : لا نعلم أحقَّ منك حتى غلبوه في ذلك . ثم ادَّعى الزبير بن العوام وطلحة الإكراء بعد ذلك وقالوا : أعي نقض إمارته علي . فلحق عبيد بن جهم وناجزهم الحرب وقتل الزبير وطلحة . وسميت هذه الواقعة وقعة الجمل . ولما بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال . فخرج علي من الكوفة وفتتلوا قتالاً شديداً في صفين . ثم تحادنا وافترقا . ثم تعاهد شبيب وابن المجهم على قتل علي وكنمناه في المسجد . فلما خرج علي ونادى بالصلاة علاه سيبب بالسيف ورضيه ابن المجهم عن مقدم رأسه . فدعا علي قتل موته الحسن والحسين ابنيه ووصاهما وقال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما . ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما . وقولا الحقَّ وارحما اليتيم وكونا للظالم خصماً وللمظلوم ناصراً . ولا تأخذكما في الله لومة . ولما حضرته الوفاة كتب وصيته العامة ثم قبض . وصفه ضرار بن ضمرة قال : كان علي بعد المدى شديد القوى يتجبر على من جوائبه . وتنطق بالحكمة من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرتها . ويأنس بالليل ووحشته . غزير العبارة . طويل الفكرة . يعجبه من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما جشب . وكان فينا كأحدنا . يخبينا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوانه . ونحن مع تقريبه لا نكاد نكلمه هيبه له . لا يظمع القوي في باطله ولا يأسر الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن علي بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما قُتل علي اجتمع اصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن . وبويع معاوية بالشام . فسار الحسن إلى المدائن واستقر بها خمسة أشهر . ولما رأى المناوشة بين أصحابه قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أن أسلمته إلى معاوية فيكون في عنقه تبعاتُهُ وأوزارُهُ . فقال له الحسين أخوه : أنتدك الله أن لا تكون أول من أباه ورغب عن رأيه . فقال : لا بد من ذلك وقد اخترت العار على النار . وبعث إلى معاوية بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً . فحابه معاوية إلى ما التمسهُ منه . فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له خمس بقين من ربيع الأول . وذلك لأنه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الأمويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بويع بالخلافة استقدم له الملك وصف له الولاية . وكان معاوية مليح الشكل عظيم الهيئة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المسومة . وكان كثير البذل والعطا محسناً إلى رعيته . وهو أول من اتخذ المقاصير وأقام الحرس والحجائب وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة الحراب وله في الحلم أخبار كثيرة . وعلم ان معاوية كان مرتباً

فحمل العرب جملة رجبٍ واحدٍ وقتلوا مهرا ن قهائم . فانخزم العجم لاحقين بالمدائن . ثم ولى
يزدجرد عظيماً من عشاء مرزبان له سنٌ وتجربةٌ يقال له رستم . وعقد ايضاً لرجلٍ آخر يُسمى
الهرمزان في جنود كثيرة . وعند الانقضاء قُتِلَ هذان المرزبانان ومَرَّت العرب في أثر العجم
يقتلون من أدركوا منهم

(تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عُمر فتح أبو عبيدة وخالد دمشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دمشق
وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأمهم وصالح اهل طبرية وقيسارية وبعابك . وعلى يد عُمر انتهى
الفتح الى حمص والرم وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من ساحل وبيت المقدس .
وفتح عمرو بن العاص مصر عنوةً وفتح الإسكندرية صلحاً . حتى هاب عُمر ملوك فارس والروم .
ومع ذلك كله بقي على حديدٍ كان قبل الولاية في البأس والزيه وافعاله وتواضعه يسير منفرداً
من غير حرس ولا حجب . لم يتغيره الإمرة ولم يستطع على مسلمٍ بلسانه . ولا حاجي احدًا في
الحق . وكان لا يصعب الشريف في حيفه ولا يبأس الضعيف من عدله . ومات عُمر يوم الاربعاء
خمس بقية من ذي الحجة . وقته أبو لؤلؤة الجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت
خلافة عشر سنين وسنة اشهر . وفتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النحوي النصراني
كتب الحكمة التي في اخراثن الملكة . فكتب عمرو الى خليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب
اليه عُمر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وان
كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فتقدم باعدامها . فشرع عمرو في تفريقها على حمائم
الاسكندرية واحرقها في مواقيدها . فاستيقظت في مدة ستة اشهر (لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥ - ٦٥٧)

٣٨٣ بُويع له بالخلافة في أول يومٍ من سنة اربع وعشرين . وكانت له شفقةٌ ورافةٌ
بالرعية . وفتحت في ايامه افر يقية وغزاه معاوية قبرس وأنقرة فافتتحها صلحاً . وانزع عثمان عمرو
ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها اخاه لأمة . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كلفه
باقاربه . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجموع وتزلوا قريشاً من المدينة . وبعثوا الى عثمان
من يستعبه ويقول له : إما أن تعدل او تعزل

وكتب من اليهم كتاباً يقول فيه : اني انزع عن كل شيء انكروتموه وأتوب الى الله .
فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حافظ
عثمان فضربه احدهم بمشقص في اوداجه . وقتله الآخر وانحصف في حجره . وكانت خلافة
اثنى عشرة سنة . وعمره ثيفٌ وثمانون سنة (للدمايري)

علي بن ابي طالب (٦٥٧ - ٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتِل عثمان اجتمع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا علياً ببايعونه

الرجل عند قومك قتل أبك وطأطأ في قومك القتل وسفل بن بقي منهم فهل عندك من مما لآء عليه . فاجبت أزداد إلى قولهم . ولما جن الليل أذخات الرجال في مقصورة الأسود زوجياً . وهو يفتن فاحسوه بمسألة وأمروا الشفرة على حلقه . فحار خوار التور . فابتدر الحرس الباب وعم حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : النبي يوحى بي . ولما قتل الأسود وأراح الله الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر نس (الآداب السلطانية لغزوي)

ثم ظهر مسيلمة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل الامة وكان يؤذن له ويشهد له بالرسالة . وكان يجمع قومه باجمع يزعم أنهما قرآن يأتيه ويأتي جبارق يزعم أنهما معجزات فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالسير إلى عمارته . وكان بينها وقعت وشتد حرب بين الفريقين . واقتمح المسلمون باجمعهم إلى مسيلمة وأصحابه . فقاتلوهم حتى احمرت أرض بالدماء . ونظر عبد سوداسه وحشي إلى مسيلمة فرماه بحربة فوقفت على خصره فسقط عن فرسه قتيلاً (للطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ . ومن هناك توجه خالد إلى أرض العراق فزحف إلى احيرة ففتحها صحياً . وكان ذلك أول من فتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبدة بن الجراح في زهاء عشر من الف رجل إلى الشام . وبلغ عرقل ملك الروم ورود غرب إلى أرض الشام . فوجه بهم مرجيس البعري في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارجه . وكتب أبو بكر إلى خالد عند افتتاح احيرة يأمره أن يسير إلى أبي عبدة برض الشام . ففعل والتقى العرب والروم باجنادين فانهزم الروم . وقتل مرجيس البعري وذلك أنه في غربة سقط من فرسه . فركبه غلام فسقط فركبه ثانياً فهبط أيضاً وقال له : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي سنة ثلاث عشرة المشجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً . ومات رحمه الله يوم الاثنين لثاني خون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة . وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر . خلافة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ . ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب ببيع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر . فقدم معه بكتب سارته وجهده وثباته وصبره على العيش الحشن والفتنة بالسير وفتح الفتوحات كجبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون الدواوين وعمر الأمصار وشهد بداراً . وهو أول من عس في عمه لحفظ الدين والناس . وعابه الناس هيبه عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . ولما ولي الأمر لم يكن له حمة إلا العراق . ففقد لاني عبدة بن مسعود على زهاء الف رجل وأمره بالسير إلى العراق فعبأ واليه . فزحف اليهم العجم ففناجزوا من وقت الزوال إلى أن توارت الشمس بالحجاب .

حَرْبٍ . وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوُدَاعِ . ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَضَ وَتُوِّفِيَ
يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلْيَلْتَيْنِ بَقِيَّتًا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً . وَمَلَأَ
تُوِّفِيَ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطٌ وَأَسِيه .
وَأَرَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ
نُصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حُجْرَتِهِ حَيْثُ قَبِضَ (٦) (الابي الفرج)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٢ - ٦٦١)

خلافة ابي بكر (٦٣٢ - ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكثر اللفظ . فلما أشفق
عمر الاختلاف قال : إنا والله ما وجدنا امرأة أعزى من مبايعة أبي بكر ثم قال لأبي بكر : ابسط
يدك فابايعك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار . ولما بويع أبو بكر ضرب
بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم . وأمر أسامة بن زيد فقال له أناس : إن هؤلاء جُلُ المسلمين
على ما ترى نجم فيهم النفاق وانتقضوا بك . فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين .
فقال : والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة إلى الشام .
ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته . ثم خرج أبو بكر إلى البعث حتى أتاهم . فاشتمهم وشيعهم
وهو ماش وأسامة راكب . فقال له أسامة : يا أمير المؤمنين والله أتركبك أو لأتزان . فقال :
لا تزلت ولا أركب وما علي أن أغبر قدي في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للصابري)

خبر الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غاب على صنعاء ومغازة حصر موت إلى عمل الطائف إلى الجريين .
وإدعى النبوة وطابقت عليه اليمن وجعل يستطير استطارة الحريق . فبعث أبو بكر رجالاً
لمحاوته أو مضاوته . فدخلوا على أزاد وهي امرأته فقالوا لها : يا ابنة العم قد عرفت بلاء هذا

(٦) وصفه علي بن أبي طالب قال : كان راجح العقل يكثر الذكر ويقبل المغوداء البشر
مطيل الصمت لا ينفرد أحداً . وكان ليس بالطويل ولا بالقصير . ختم الراس كثر اللحية مشرباً وجهه
حمرةً وقيل : كان ادعى العيين سبب الشعر سهيل الخدين . واختلف في زواجه قال أبو الغداء :
تزوج بخمس عشرة امرأة وولد له سبعة أولاد كلهم من خديجة الأبراهيم ابنه فإنه من مارية
القطبية التي بعث بها المقوقس ولم يعيش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد أيها بثلاثة أشهر

فهاجر عنهم إلى المدينة وهي يثرب . وفي (السنة الأولى) من هجرته
 احتفل الناس إليه ونصروا على المكيين أعدائه . وفي (السنة الثانية)
 من هجرته إلى المدينة خرج بنفسه إلى غزاة بدر وهي البطشة الكبرى
 وهزم بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من المسلمين القام من أهل مكة
 المشركين . وفي هذه السنة صرفت القبلة عن جهة البيت المقدس
 إلى جهة الكعبة . وفيها فرض صيام شهر رمضان . وفي (السنة الثالثة)
 خرج إلى غزاة أحد وفيها هزم المشركون المسلمين وشج في وجهه
 وكسرت ربايعته . وفي (السنة الرابعة) غزا بني النضير اليهود وأجلاهم
 إلى الشام . وفيها اجتمع أحزاب شتى من قبائل العرب مع أهل مكة
 وساروا جميعا إلى المدينة . فخرج إليهم ولأنه هال المسلمين أمرهم
 أمر بحفر خندق وبقوا بضعة وعشرين يوما لم يكن بينهم حرب .
 وفي (السنة السادسة) خرج بنفسه إلى غزاة بني المصطلق وأصاب
 منهم سبيا كثيرا . وفي (السنة السابعة) خرج إلى غزاة خيبر مدينة
 اليهود وينقل عن علي بن أبي طالب أنه عالج باب خيبر وأقتلعه وجعله
 مجنا وقتلهم . وفي (الثامنة) كانت غزاة الفتح فتح مكة وعهد المسلمين
 أن لا يثبتوا فيها إلا من قاتلهم . وأمن من دخل المسجد ومن أغلق
 على نفسه بابه وكف يده ومن تعلق بأستار الكعبة سوي قوم
 يودونه . وأسلم أبو سفيان وهو عظيم مكة من تحت السيف . وفي
 (السنة التاسعة) خرج إلى غزاة تبوك من بلاد الروم ولم يجتمع فيها إلى

أَلْبَابُ الْعِشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الاسلامية محمد بن عبدالله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَابُونَ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَّةٍ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وِلَادَهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةَ لِلْإِسْكَانْدَرِ . وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سَنَتَانِ بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أَمَنَةً بَدَتْ وَهَبَتْ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تَوَفَّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحِيَابَتِهِ وَصَّهَ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا زَلُّوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ أَسْمُهُ بُجَيْرًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَخْلَلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَى
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسُ
وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَيَسَارٍ اسْتَهْمَا خَدِيجَةٌ أَنْ
يَخْرُجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَرَوَّجَهَا وَعَمَّرَهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عُمُهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةٌ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشٌ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

٣٧٧ (الصَّابِيُّ ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنِ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِيِّ الصَّابِيِّ صَاحِبِ الرَّسَائِلِ الْمَشْهُورَةِ
 وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
 الدَّوْلَةِ بِخْتِيارِ بْنِ مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّيْلَمِيِّ . وَتَقَدَّدَ دِيوانَ الرَّسَائِلِ
 سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ . وَكَانَتْ تُصَدَّرُ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَضُدِ
 الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يَوْمُهُ فَحَقَّدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَضُدُ
 الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ أَعْتَقَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
 لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِيَّ . فَقِيلَ لِعَضُدِ
 الدَّوْلَةِ إِنَّ صَدِيقًا لِلصَّابِيِّ دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ
 التَّلْطِيقِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّبْيِيزِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أُنْمَقُهَا
 وَأَكَاذِيبُ أُلْفَقُهَا . فَحَرَّكَتْ سَاكِنَهُ وَهَاجَتْ حِقْدُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعَدًا
 فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ
 فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ (*) (الابن خلكان)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النصارى نستغني بذكر بعضهم ففهم ابن
 المقفَّع الكتاب المشهور صاحب الرسائل البدعية والدرَّة اليمية ومعرب كتاب كليله ودمنة .
 ومنهم زكريا الافريجي المنطقي نزيل بغداد . ومنهم قسطان بن لوقا البعلبكي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عرب كُتِبَ كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس قرما المشي ومنهم القديس
 يوحنا الدمسقي يعرفه العرب بابن منصور وكان ابوه من اعيان الدولة الاموية خرج في
 العلوم والمعارف على القديس قرما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاة للآداب . ودافع
 عن اكرام الصور فردت له لُعذراء يده المقطوعة بدسائس الملك لاون الايزوري . ثم انقطع
 الى الله في بلاد فلسطين وألف عدة تاليف فلسفية ولاهوتية فلُقِبَ بسجري الذهب وتوفي سنة
 ٧٨٠ . وقد شترت اليسوعية داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب توما

بلاد الروم. فاجتمع به فرأه فاضلاً فصيحاً فاستصحبه إلى بغداد وأزله
 في داره ووصله بالحليفة. رتبته بها إلى الآن. وله ولد يسمى إبراهيم
 بلغ رتبة أبيه في الفضل وكان من حذاق الأطباء. عالج مرة السري
 الرقاء الشاعر فأصاب العافية فعمل فيه وهو أحسن ما قيل في طيب:
 هل العليل سوى ابن قرة شافي بعد الإله وهل له من كافي
 فكانه عيسى بن مريم ناطقاً يهب الحياة بأيدي الأوصاف
 يبدو له الداء الخفي كما بدا للعين رضاء الغدير الصافي
 ٣٧٦ الكندي (٢٤٦هـ) (٨٦٠م). هو يعقوب بن إسحاق الكندي
 النصراني. وكان شريف الأصل بصرياً وكان أبوه إسحاق أميراً على
 الكوفة للمهدي والرشيدي. ويعقوب هذا أوجد عصره في فنون
 الآداب وشهرته تغني عن الإطناب. وكان له اليد الطولى بعلوم
 اليونان والهند والعجم متفنناً عالماً بالطب والمنطق وتأليف اللحن
 والهندسة والهيئة والفلسفة. وله في أكثر هذه العلوم تأليف
 مشهورة ولم يكن في العرب من أشتهر عند الناس بمعاناة علم
 الفلسفة حتى تتوه فيلسوفاً غير يعقوب. وكان معاصراً لقسطنطين
 لوقا الفيلسوف البعلبكي النصراني واستوطن بغداد وأخذ عن أبي
 معشر البلخي. ومن النسب يعقوب هذا عبد المسيح بن إسحاق
 الكندي وله رسالة مشهورة فند فيها اعتراضات ابن إسماعيل
 الهاشمي على النصرانية. ذكرها أبو ريجان البيروني في تاريخه

المغرب . وأقيم أسقفاً على مدينة ملطية وأخذ عنه كثير من فضلاء
المسلمين . وبن تصانيفه كتاب تاريخ مختصر الدول وهو من أشهر
التواريخ وشرح قانون ابن سينا وبهراط وديوسقورس وكتاب دفع
أصم وديوان شعر في الإلهيات وغيرها (*)

٣٧٥ (ثابت بن قرة ٨٣٦-٩٠٢) . أبو الحسن بن كرايا الحاسب
كان في مبدأ أمره صيرفياً بجران ثم انتقل إلى بغداد . واشتغل
بعلوم الأوائل فمهر فيها . وكان الغالب عليه الفسفة وله تأليف كثيرة
في فنون من العلم مقدار عشرين تأليفاً . وأخذ كتاب أقليدس الذي
عربه حنين بن إسحاق العبادي فهدبه ونقحه وأوضحه منه ما كان مستعجلاً .
وكان من أعيان عصره في الفضائل . وجرى بينه وبين أهل مذهبه
أشياء أنكروها عليه في المذهب . فرأفعود إلى رئيسهم فأنكر عليه
مقاتلته ومنعه من دخول الهيكل فتأب ورجع عن ذلك . ثم خرج من
جران ونزل كفرثوثا وأقام بها مدة إلى أن قدم محمد بن موسى من

الكيرة وتحالفوا أن لا يبنون بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم إليهم من مداراة
التатар والقيام بحفظ المدينة والبيتوتة على أسوارها وكف أهل شر عن الفساد . نظر الله إلى
حسن نيأتهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرضوا إليها . وفي إحدى
وأربعين (١٢٢٤) غزا شارونين بلاد الشام واجتاز بلطية وخرّب بلدها وأخذ غلاتها . ثم
رحل عنها وطب طبيباً يدأويو عن مرضي عرض له . فخرج إليه والدي وسار معه إلى
حزت برت فدبره حتى برأ . ثم جاء ولم يطل المقام بلطية ورحل بنا إلى أنطاكية فاسكنها
(*) ومن مؤرخي النصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجيس بن العميد
كامل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الرامب وابو البركات وابن المسيحي وكتيراً ما يستشهدهم
ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن متى (١٣٤٠) نقل عنه العلامة السمعاني

فَهَذَا بِالتَّوَاضِعِ فِي الثَّرِيَا وَهَذَا بِالتَّكْبِيرِ فِي الْحَضِيضِ
 وَتَوَفِّيَ ابْنَ التَّمِيذِ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ
 (١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَادَ مِنَ الْجَائِنِينَ مَنْ لَمْ يَحْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
 جَنَازَتَهُ. وَلَا ابْنَ التَّمِيذِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفُ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
 أَقْرَابِازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلِمَاتِ ابْنِ سَيْنَا (الخريدة للعماد الاصبهاني) (*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية

٣٧٤ (أبو الفرج المَلَطِي ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالُ الدِّينِ غَرِيغُورِ يُونُسُ
 أَبُو الْفَرَجِ بْنِ حَكِيمٍ (*) الطَّيِّبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَاجُ
 الْفَضَلَاءِ . مُحَلِّلُ الْمَشْكَكَلَاتِ الْحَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَيْدُ
 الْعَصْرِ وَقَرِيدُ الزَّمَانِ . رَأْسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَخَالِصَةُ
 نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَعْقُوبِيَّةِ . كَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
 وَأَتَقَنَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّجَالُ بِأَرْضِ

(*) وممن اشتهر أيضاً بين النصارى في الطب سعيد بن ماري صاحب المقامات الستين .
 ويوحنا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن العطار متطبب القاهر . ومنهم كتيبات
 خدم البساسيري . ومنهم ابن المقشر المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
 في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة . ومنهم حسنون الرهاوي خدم سيف الدين وزير قلع
 ارسلان . ومنهم يعقوب بن صقلان الملكي المقدسي اجتمع بالملك المعظم ابن الملك العادل وعالجه
 وارتفعت عنده حاله . ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الخير الاراذلي ياقون أخوا الجاثليق ابن
 المسيبي . ومنهم صاعد بن توما البغدادي الملقب بأمين الدولة استوثقه الامام الناصر

(*) وأخبر في تاريخه قال : في سنة أربعين وستة (١٢٤٣) لما سمع أهل ملطية ما
 فعل التاتار بقيسارية هلعوا وجزعوا فأنحس الجزع طالبين حاب . فأمسك والذي عن الخروج
 واجتمع بالمطران ديموسوس وتشاورا في مرابطة المدينة . وجما المسلمين والنصارى في البيعة

وَجَالِينُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مَنْ بَلَغَ مَدَاهُ
 فِي الطَّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَدِيمًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتَهُ وَهُوَ شَيْخٌ بِهِ
 الْمُنْظَرُ حَسَنُ الرِّوَاءِ عَذْبُ الْمُحْتَلَى وَانْحَجَّتِي لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ أَهْمٍ عَالِيُ الْهِمَّةِ ذِكِيُّ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيْسِيهِمْ وَرَبِيسِيهِمْ . وَلَهُ فِي النِّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحِلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بَهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي أَنْوَاجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعْرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيذِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَنَّئًا فِي الْعُلُومِ ذَارِئًا رَصِينًا .
 وَعَقْلٌ مَتِينٌ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مَجَاسِئُهُ أَحْسَنَ
 مِنَ التَّبَرُّ الْمَسْبُوكِ وَالذَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يَتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرِّمَ الْإِسْلَامَ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النِّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحِدِ الزَّمَانِ هَبَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَاسْتَلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجُدَامُ فَمَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرِيَّ مِنَ الْجُدَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيذِ شِعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبَدُّو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 يَتِيهُ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مُنْزِلَةٌ كَأَنَّهُ بَعْدَ لَمْ يُخْرِجَ مِنَ التِّيهِ
 وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيذِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحِدُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
 فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطُرُ لِابْنِ شِعْرًا :
 أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَّقِيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَفِي نَقِيزُ

الطَّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُو دُوَيْبٍ . ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَائِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ . وَأَخْتَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِذَا الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ كَانَ يُطْلَعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيَنْضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلَا يَبِيهِ الْمُصَنَّفَاتِ الْمُفِيدَةَ فِي الطَّبِّ . وَحِلْمَةَ الْفَالِجِ
 فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (الابن خلد كان)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسَوِيهِ ٨٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسَوِيهِ النَّصْرَانِيُّ السُّرْيَانِيُّ وَوَلَادَ الرَّشِيدَ تَرْجَمَةَ الْكُتُبِ الطَّبِّيَّةِ
 الْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكَّلِ . وَكَانَ مُعْظَمًا
 بِبَغْدَادَ جَائِلًا الْقَدْرَ وَلَهُ تَصَانِيفٌ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَعْقِدُ مَجَاسِمًا لِلنَّظَرِ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ وَكَانَ
 يَدْرُسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذٌ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دَعَابَةٌ شَدِيدَةٌ
 يُخَضِّرُهُ مِنْ حَضَرٍ لِأَجَلِهَا فِي الْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحِدَّةِ عَلَى الْكُثْرِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ بَنِي شَيْشُوعَ . وَكَانَتْ الْحِدَّةُ
 تُخْرَجُ مِنْ يُوحَنَّا أَلْفَاظًا وَهِيَ مُضْحَكَةٌ . فَمِمَّا حُفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْقَصْدِ . فَقَالَ لَهُ : لِمَ اعْتَدَى الْقَصْدَ . قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسَبُكَ اعْتَدتَّ الْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أُمَّكَ (الابي الفرج)
 ٣٧٣ (ابن التلميد ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَّةُ اللَّهِ بْنِ التَّلْمِيذِ
 النَّصْرَانِيُّ الطَّبِيبُ الْمَلَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ . شَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانَ الْحِكْمَاءِ مَقْصِدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِفِرَاطِ عَصْرِهِ

يُمْكِنُ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا . فَقَالَ حُذَيْفٌ : مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ
الْذَائِفَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا . ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَدَهُ
وَأَحْضَرَ سَيْفًا وَنَظْمًا . فَقَالَ حُذَيْفٌ : قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
الْكَفَايَةُ . قَالَ الْخَلِيفَةُ : فَإِنِّي أَفْتُكَ . قَالَ حُذَيْفٌ : لِي رَبٌّ يَأْخُذُ بِي
حَتَّى غَدَا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ . فَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ : طِبَّ نَفْسًا
فَإِنَّمَا أَرَدْنَا أُمَّتَكَ وَالطَّمَأِينَةَ إِلَيْكَ . فَتَقَبَّلَ حُذَيْفٌ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ .
فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ بَارَأَيْتَهُ مِنْ صِدْقِ
الْأَمْرِ مِنَّا فِي الْحَاضِرِ . قَالَ حُذَيْفٌ : شَيْئَانِ هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ . أَمَّا
الدِّينُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ نَابِصِطِنَاعَ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَائِنَا فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْأَصْدِقَاءِ .
وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ آبْنَاءِ الْخِنْسِ وَمَقْصُودَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ .
وَمَعَ هَذَا نَقَدُ جِعَلٍ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِأَيْمَانِ مُغَاظَةٍ أَنْ لَا
يُعْطُوا دَوَاءً قَتَالًا لِأَحَدٍ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : إِنَّهُمَا شَرَعَانَ جَلِيلَانِ . وَأَمْرٌ بِالْخُلَعِ
فَأَفِيضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا بِي الْفَرَجِ الْمَلْطِي)
٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُذَيْفٍ ٨٣٠ - ٩١١) . هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حُذَيْفِ
ابْنِ إِسْحَاقَ الْعِبَادِيِّ الطَّبِيبُ الشُّهُورُ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
الطِّبِّ . وَكَانَ يَلْحَقُ بِأَبِيهِ فِي التَّمَلُّلِ وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَفَصَاحَتِهِ
فِيهَا . وَكَانَ يُعَرِّبُ كُتُبَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بِلُغَةِ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ . إِلَّا أَنَّ الَّذِي وُجِدَ مِنْ تَعْرِيْبِهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
مِنْ كَلَامِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَوْجَدُ مِنْ تَعْرِيْبِهِ لِكُتُبِ

النَّاسِ فِي قُصُورِ أُنْتُوها بظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسْمَوُ بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
 إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَمِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنَسَبُ إِلَيْهِمْ
 خَلْقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِي بْنُ زَيْدِ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
 حُزَيْنٍ صَيْدَلَانِيًّا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُزَيْنٌ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَخَلَ بَغْدَادَ
 وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوحَنَّا بْنِ مَاسُويَةَ وَجَعَلَ يَخْدُمُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
 إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
 فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ إِمْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ
 سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَدِيثَ
 ابْنَ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . قَالَ يُونُسُ
 الطَّبِيبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِئِيلِ بْنِ بَحْتِيشُوعَ فَوَجَدْتُ حُزَيْنًا
 وَجَبْرِئِيلَ يُخَاطَبُهُ بِالْبَحِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرَّبَّانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ
 ذَلِكَ جَبْرِئِيلُ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْتَرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا الْفَتَى .
 قَوْلَ اللَّهِ لَمَنْ مَدَّ لَهُ فِي الْعَمْرِ لِيَفْضَحَنَّ سِرَّ جَيْسَ . وَسِرَّ جَيْسٍ هَذَا هُوَ
 الرَّأْسُ عَيْنِي الْعِيقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السَّرِّيَانِي . وَوَمَازِلُ
 أَمْرِ حُزَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَاوِدُ وَعَجَابُهُ تَظْهَرُ فِي النُّقْلِ وَالْتِمَاسِ حَتَّى
 صَارَ يَنْبُوعًا لِلْعُلُومِ وَمَعْدِنًا لِلْفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ خَبْرُهُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكَّلِ
 فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ أَمْتَحَانَهُ .
 فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُزَيْنٌ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
 أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءَ يَقْتُلُ عَدُوًّا نَزِيدَ قَتْلِهِ . وَلَيْسَ

تَعْتَادُنِي . فَقَالَ جِيُورُ جَيْسٌ : أَنَا أَخَفُّ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَيْسَى
تَلْمِيزِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ لِيُورُ جَيْسَ بَعْشَرَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَذْنَ لَهُ
فِي الْأَنْصَرِافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَحْمِلْهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِشُوعُ بْنُ جِيُورُ جَيْسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرِضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحْمَتُهُ . فَقَالَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ هُوَلَاءُ الْأَطِبَاءُ
لَيْسُوا يَنْفَعُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَيْبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْتِشُوعِ بْنِ جِيُورُ جَيْسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حِمْلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَافَ عَلَيْهِ خَلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَهَبَ لَهُ مَالًا وَافْرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةً (٧٩٠) مَرِضَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْتِشُوعٍ أَنْ يَخْدُمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرُ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِشُوعٍ : أُرِيدُ أَنْ
تُخْتَارَ لِي طَيْبًا مَاهِرًا أَكْرَمَهُ وَأَحْسِنُ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِشُوعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هُوَلَاءِ الْأَطِبَاءِ أَحَدًا مِنْ أِبْنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضِرْ نِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُحْتَمِيهِ . فَدَبَّرَهُ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَوَرَأَ فَأَحْبَبَهُ جَعْفَرُ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكَّلِ اشْتَهَرَ
حَنِينُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ الْعِبَادِيُّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ هُمُ
قَوْمٌ مِنَ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

بِحْتِشْوَعِ الْجُنْدِيسَاوَرِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَتَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْقَذَهُ
الْعَامِلُ بِجُنْدِيسَاوَرٍ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِحْتِشْوَعِ
بِالْبِيَارِ سْتَانَ . وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ تَلْمِيذَهُ عَيْسَى بْنَ شَهْلَاتَانَ . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
بَعْدَادَ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْخَضِرَةِ دَعَا لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ
وَالْعَرَبِيَّةِ فَعَجِبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حُسْنِ مَنَظِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَرَهُ بِمَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ
جِيورجيسُ : أَنَا أَدْرِكُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ بِإِزَالِهِ فِي أَجْمَلِ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
كَمَا يَكْرُمُ أَحْصَ الْأَهْلَ . وَلَمْ يَزَلْ جِيورجيسُ يَتَلَطَّفُ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ
حَتَّى بَرِيَ مِنْ مَرَضِهِ وَفَرِحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِيِّ الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثَ فَرْدَهْنَ جِيورجيسُ . فَلَمَّا
اتَّصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ نَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرِ مِنْ أُمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
دَامَتِ الْمُرَأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسُنَ مَوْقِعُ هَذَا مِنْ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
مَوْضِعَهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْعَقَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيورجيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
أَشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِحْمَلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَّةِ . وَخَرَجَ بِأَشْيَاءَ إِلَيْهِ
وَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ فَخَبَّرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
الْإِنْسِرَافِ إِلَى بَلَدِي لِأَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ قُبِرْتُ مَعَ آبَائِي .
فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

مَارِي الرُّسُولِ وَغَيْرِهِ مِنَ البَيْعِ وَالْأَدْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
بِحُسْنِ الخُلُقِ وَالخَلْقَةِ سَخِيًّا بِالمَالِ فِي عَمَلِ الخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعْفَاءِ
والمَسَاكِينِ مَعَ الحُكَّامِ وَالمُتَوَاتِنِ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النِّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
ذَلِكَ كَانَ مُرْتَضًا بِالعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَالعُيُوبِيَّةِ السُّرِّيَّانِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ
وَالعُلُومِ الحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الأَعْيَادِ
السِّيَدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرَسَائِلُ كَثِيرَةٌ فِي إِثْبَاتِ
الأَمَانَةِ وَالأَعْتِقَادِ وَصِحَّةِ دِينِ النِّصْرَانِيَّةِ . وَدَبَّرَ الكُرْبِيَّ تَدْبِيرًا
حَسَنًا وَأَسْتَنَاحَ يَوْمِ الحُمَيْسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
رِئَاسَتِهِ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ جَاءَ الأَبَاءُ
وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِي نَفْسَهُ وَيُعَزِّمُهُمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ:
أَرُونِي مَنْ يَهْتَمُّ بِكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الأَمْرُ جَلَّ عَنِ الخُطَابِ
بِمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأُمَّلِكُمْ عَلَيَّ مِنْ التُّرَابِ
(ملخص عن كتاب المجدل لعرو بن متى) (*)

مشاهير أطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيورْجِيسُ بنُ بَجْتِيشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ المَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
عِنْدَمَا بَنَى بَغْدَادَ أَذْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسَوْءٌ اسْتِمْرَاءٌ وَقِلَّةٌ شَهْوَةٌ
وَكَلَّمَا عَاجَلَهُ الأَطِبَّاءُ أَزْدَادَ مَرَضِهِ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيورْجِيسِ بنِ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
ومنهم يوسف بن أيوب الحمدي الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
ببغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف جما قبولاً . ثم انقطع إلى أمه وتصرّف بمسئولية

لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لَلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا يَمِضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَاوِرُ
أَيَقُنْتُ أَيُّ لَا تَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَاوِرُ (*)

٣٦٧ (إِلْيَا الثَّلَاثُ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحَدِيثِيِّ الْمَعْرُوفُ

بِأَبِي حَالِيمٍ . هَذَا الْأَبُ كَانَ كَهَلَا حَسَنَ الْحِلْمَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدِيَمِيَا فَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيدِينَ
فَأَنْتَشَرَتْ شَهْرَتُهُ . وَمَا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَّ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْإِخْتِيَارِ . وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يَمِثِلُهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكِرْمًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً . فَأُخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضِيِّ وَأُقِيمَ فَطْرًا كَأَبْدِيرِ الْمَدَائِنِ وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
أَخْيَارَاتٍ عَلَى يَدِهِ . وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطْرَانَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال : بينا أنا بجبل يقال له سمان في يوم شديد
الحر إذ أنا بقس بن ساعدة وبقبارين بينها مسجد فقلت له : ما هذان القبران قال : هذان
قبرا أخوين كانا لي فانا فاتخذتُ بنتها مجدًا أعبد الله جلَّ وعزَّ فيه حتى ألحق بها . ثم ذكر أيامها
فبكى ثم أنشأ يقول :

خَلِيلِي هُبًّا طَالَمَا قَدِ رَفَدْتُمَا	أَجْدَاكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا
أَلَمْ تَعَامَا مَا لِي بِرَأُونَدُ هَذِهِ	وَلَا بِخُزْرَاقٍ مِنْ نَدِيمِ سَوَاكُمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا
جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعِظْمِ مِنْكُمَا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعَقَارَ سَقَاكُمَا
أُنَادِيكُمَا كَيْمَا تَحْيِيَانِ وَتَنْطَقَا	وَأَيْسَ مَجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لِاتِحْيِيَانِ دَاعِيًا	خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدِ دَهَاكُمَا
قَضَيْتُ بَابِي لَا مَعَالَةَ هَالِكُ	وَأَنِّي سَيَعْرُونِي الَّذِي قَدِ عَرَاكُمَا
سَأَبْكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يُرْدُ عَلَيَّ ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكَكُمَا

وَتَسْتَحْذِي لَهُ . فَجَعَلَ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الآغاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ اسْتَفُّ نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
 وَشَاعِرُهَا وَحَايِمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
 عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
 وَأَوَّلُ مَنْ أَتَى عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسِّ بِسُوقِ عَكَازٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا
 وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ فَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلُ
 دَاجٍ . وَسَمَاءُ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . بِحَارُ تَرْخَرُ . وَنُجُومٌ تَرْهَرُ . وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ .
 وَبُرٌّ وَأَنَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
 يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . وَإِلَهُ
 قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
 أَدْرَكَهُ فَأَتَّبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَلْشَاءُ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِيْنَ نَ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(*) ومن شعراء النصرانية المثلثس وحناين الحبري من فحول المغنين . وله صنعة فاضلة
 متقنة . ومنهم تيس بن زهير تنصر قبل وفاته . ومنهم ابو قابوس والرباب بن البراء وخالد
 القسري . وقد ذكره جميعاً صاحب الآغاني . ومنهم ابو الثلج الهادي ذكره ابن خلكان . ومنهم
 ثابت بن هارون الرقي ورثوه لبناني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نغم الطيب .
 ومنهم سليمان بن اسمعيل الماردني وله نظم رفيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف
 جبرئيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطنانة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والحوري
 نيقولا الصانع وغيرهم ممن يستغنى بشهرتهم عن ذكرهم

وَقَوْلِي فِي الْحِجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقَيْتُ عَيْدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَيْدُ
لَيْمٍ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيْدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لِعَمْرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ حِجَاءً فِي عَمَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ بِمَا تَسْتَحْيِي الْعَدْرَاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌ .
فَكُنْتُ أُحْلِفُ فِي كِنَانِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دَمَشَقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَحْبُوسٌ . فَبَعَثْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبَرْتُهُ بِسَبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتِكَ مَهْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنَّ الْقَسَّ حَبَسَنِي هَهُنَا فَتَكَلَّمْهُ لِيُخَيِّرَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ الْقَسَّ فَأَنْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ وَعَظَّمَهُ . فَقُلْتُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةً . قَالَ : مَا حَاجَتِكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ تُحَيِّي عَنْهُ . قَالَ : أَعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلَكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُودُ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَا أَفْعَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكِ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَأَخْلِفَتَهُ
يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَجَاهِلِيَّةٍ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لَجَرِيرٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا اجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا بِنَفَرَاتِنِصِ
 وَأَمْدَحَ النَّاسِ الْكَرِيمِ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شِعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيرٌ ثُمَّ الْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبُّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّبِغَةِ لِصِحَّةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشْبَهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرٍ وَأَقْلَبُهُمْ
 سَمَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَعِمَ ابْنُ الْمِرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتِكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطَايِنُ فَرَا حُوا مَنِكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَغْتَ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيُحَاكُ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى الْأَفَاقِ أَنَّكَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْتَفِي بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمْرَ لَهُ بِمُجَنَّبَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّتْ
 دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خِلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يُحِبُّ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزِيٌّ فِي عُنُقِهِ سِاسِلَةٌ ذَهَبٌ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بغيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَّاتُ شِعْرَاءَ فِي الْمُدِيحِ وَالْهَجَاءِ تَمَّا لَا يُلْحَقُ فِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمُدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى النُّوَاجِدَ يَوْمَ عَارِمٍ . بَكَرُ
 الْحَارِثُ الْعَمْرَةَ أَمِيمُونَ طَارَهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطْرُ

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَفِّكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْقَذْتَنِي مِنْ بَطَلٍ مُعَمَّمٍ وَأَخِيلٌ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَخْطَلٍ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: أَحَبُّ أَنْ لَكَ قِيَاضًا بِشَعْرِكَ شِعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنَّكَ قُلْتَهُ. قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُلْتُ آيَاتًا قَالَهَا رَجُلٌ مِمَّنَّ مُعَدِّفُ الْقِنَاعِ. قَلِيلُ السَّمَاعِ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ. قَالَ: وَمَا قَالَ. فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ:
 إِنَّا مُحِيقُونَ فَاسْلَمْ أَيْهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
 قَدْ يَدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلُّ
 حَتَّى أَنَّى عَلَى آخِرِهَا. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: تَكَلَّتْ
 الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ. هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الأخطل ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ عَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِفَةِ. وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ:
 يَا غَلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ. وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلُّهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ. وَهُوَ وَجَرِيٌّ وَأَقْرَبُ دَقِّ
 طَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ. سُئِلَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةِ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ: مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شِعْرَهُ إِلَيَّ النَّصْرَانِيَّةَ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَوْ أَدْرَكَ

يَلْبَغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَّتْ لِأَصْحَابِي فَأَخْتَلَجَ رَجُلًا أُعْجِرَ ذَا حَوَايَا فَنَفَضَهُ
نَفْضَةً تَزَالَتْ مَفَاصِلُهُ . ثُمَّ نَهِمَ فَمَرَّ فَرَسُهُ ثُمَّ زَارَ فَجْرَجِرَ .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلَّتْ الْبُرُقُ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُنُوفِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَمِئِنِهِ .
فَارْعَشَتْ الْأَيْدِي وَأَصْطَكَّتِ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضَاعُ . وَأُرْتَجَّتِ
الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَخَمَمَتِ الظُّنُونُ وَأَخْزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عُمَرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنِيْفٍ وَدُفِنَ فِي الرِّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الآغَانِي)
٣٦٤ (الْقَطَامِيُّ ٧١٠) . هُوَ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ وَأَسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَكَ مِنَ الْقَطَامِيِّ
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَمِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بُحَيْلٌ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَالشُّعْرَ لَا يَنْفِقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَأَمْدَحَهُ . فَمَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتَ مِنْ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَتَمْرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَمَا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي عَتَابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطٌ تَغْلِبُ اسْتَحْرَجَهُمْ
الْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرَهُمْ وَأَسِيرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَامِيُّ . وَأَخَذَتْ إِلَيْهِ
فَأَتَى الْأَمِيرَ زُفَرَ فَخَلَى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَامِيُّ يَمْدَحُهُ :
يَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ . قَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْمَقْدَمِ .
إِذَا حَجَّمَ التَّمُومُ وَمَا نُحْجِمُ . إِنَّكَ وَأَبْنَاكَ حَفِظْتُمْ مَحْرَمِي

وَشَارَةَ حَسَنَةَ تَرْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَائِهَا وَنَحْنُ زَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي سَمُرٍ
 الْعَسَائِي مَلِكُ الشَّامِ . فَأَخْرَوَطُ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةٍ الْقَيْظِ حَتَّى إِذَا
 عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ . وَذَبَلَتِ الشَّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَادُ . وَذَكَتِ الْجُوزَاءُ الْمُعْزَاءُ
 وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرَّكْبُ عُورُوا بِنَا فِي صَوْجِ هَذَا
 الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَا لَنَا كَثِيرُ الدَّغْلِ دَائِمِ الْغَلْلِ . أَشْجَارُهُ مَغْنَةُ
 وَأَطْيَارُهُ مَرْنَةُ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ . فَأَصْبْنَا مِنْ
 فَضَلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَا الْمَاءَ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمَطَاظَتَهُ إِذْ
 صَرَ أَقْصَى الْحَيْلِ أَذُنِيهِ . وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدِيهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَيْتَ أَنْ
 جَالَ . ثُمَّ حَمَمَ الْحَيْلِ وَتَكَمَّكَتِ الْأَيْلُ وَتَقَهَّرَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ نَافِرٍ
 يَشْكَالُهُ . وَنَاهِضٍ بِعَقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنْ قَدْ آتَيْنَا وَأَنَّهُ السَّبْعُ فَفَرَعَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُ إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرَاهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
 الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَّظَالِعُ فِي مِشِيَّتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
 بِصَدْرِهِ لِحَيْطُ . وَلِبَلَاعِهِ عَطِيطُ . وَلِطَرْفِهِ وَمِيضُ . وَلِأَرْسَاعِهِ نَقِيضُ .
 كَأَنَّمَا يَخْبِطُ هَشِيماً . أَوْ يَطَأُ صَرِيماً . وَإِذَا هَامَةٌ كَالعَيْنِ . وَخَدٌّ كَالْمَسْنِ .
 وَعَيْنَانِ سَجْرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ . وَكَفٌّ شَدْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
 مَخَالِبِ كَالْحَاجِنِ . فَضْرَبَ يَدِيهِ فَأَرْهَجَ . وَكَشَرَ فَأَفْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
 كَالْمَعَاوِلِ مَصْقُولَةٍ غَيْرِ مَفَالَةٍ . ثُمَّ أَقْبَى فَأَقْشَعَرَّتْ ثُمَّ مَثَلُ فَأَكْفَهَرَ . ثُمَّ
 تَجَهَّمَ فَأَزْبَارَ . فَلَا وَذُو بَيْتِهِ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقِينَادُ إِلَّا بَاخٍ لَنَا مِنْ فِرَارَةٍ
 كَانَ صَنْحَمُ الْجِرَارَةِ . فَرُوقَصَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَتَمَضَّقَضَ مَتْنَهُ فَجَعَلَ

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ: لَبِيكَا لَبِيكَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكَ . لَا مَالَ لِي
يَفْدِيَنِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَا لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرعى الْوَعُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصَبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ لِلدَّهْرِ غَوْلَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ فُصُورِ الطَّائِفِ (لَا يَزُكْرِيَا النُّووي)

٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بِنُ الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طَيْبٍ . وَكَانَ
نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسَيْرِهِمْ . وَكَانَ عَثْمَانُ
ابْنُ عُمَانَ يُقْرِبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدِينِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفَ الْأَسَدِ
فَتَدَاكُرُوا مَا تَرَى الْعَرَبُ وَأَشْعَارَهَا فَاتَّفَقَتْ عَثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ:
يَا أَخَا تَيْعِ السَّبِيحِ أَسْمَعُنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَيْتُ أَنَّكَ تُجِيدُهُ . فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

مَنْ مَبْلُغُ قَوْمِنَا النَّارِيْنَ إِذْ شَحَطُوا أَنْ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيِّتُ وَلِعُ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عَثْمَانُ: تَاللَّهِ تَفَقْتُ تَذَكُّرُ الْأَسَدِ مَا حَيَّتَ وَاللَّهِ
إِنِّي لِأَحْسَبُكَ جَبَانًا هَرَابًا . قَالَ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرَ أَوْ شَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُجَدِّدُ وَيَتَرَدَّدُ فِي قَلْبِي .
وَسَعْدُورًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . وَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ: وَأَنْ كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ: خَرَجْتُ فِي صِيَابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْبَةٍ

وَرَثَا الْمُجْدَعْنَ كَبْرًا زَرَارًا
 وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمَتْ مَعَدٌ
 تُخْبِرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ
 بَأْنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ
 وَأْنَا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا
 وَأْنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخَتْ
 وَأْنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍ
 نُشْرِدُ بِالْخُفَاةِ مَنْ أَتَانَا
 لَسِيرٍ بِمَعَشْرِ قَوْمٍ لِقَوْمٍ
 وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
 فِيهَا وَرْدٌ أَيْضٌ وَأَحْمَرٌ فَأَمَرَهُ بِوَضْفِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي لَشْرُهُ
 دِمَاءٌ أَعْدَائِكَ مَسْفُوكَةٌ

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنَ جَدْعَانَ التَّمِيمِيِّ صَدِيقَهُ :

خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ
 وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَلَّتْهَا
 عَنِ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءٌ
 بُنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءٌ
 إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا
 كَفَادٌ مِنْ تَعَرُّضِهِ الْكُتُبَاءُ

قَالَ اللَّيْثِيُّ : لَمَّا مَرَضَ أُمَيَّةُ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ :

قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الْمَرَضَةُ مَنِيَّتِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَقَاتَهُ أُغْمِي عَلَيْهِ قَلِيلًا

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٥٥) هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي .
 وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَيُنْفِكُ الْعَائِي وَيَجْمَعُ الذَّمَارَ
 وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيَشْبَعُ الْجَلَاعَ وَيَفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
 وَيُنْفِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ صَابَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
 عَرَبِ جَوَادٍ يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ . وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثَمَا
 نَزَلَ عُرِفَ مَنْزِلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَنَهَبَ . وَإِذَا
 سَأَلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
 يَتَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضَلُّهُ الطَّرِيقُ قِيَاوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ :
 أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرِّيحَ يَأْمُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
 عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يَنْحُرُ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ ادْوَابِينَ الْعَرَبِ
 ٣٦٢ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٢٤ هُوَ أَبُو الْقَائِمِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ
 الثَّمَعِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمِيَّةٌ مِنْ
 رُؤَسَاءِ تَمِيمٍ وَفَصَحَائِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ . وَيُشَدُّ
 فِي أَثْنَانِهِ الشَّعْرَ الْمَيْحَ وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمْ . وَهُوَ فِي الْفَخْرِ :

اليه هدايا ومالا وأتى نفسك بين يديه . فلما إن صغح عنك فعدت ملكاً عزيزاً . وأما إن
 أصابك فالموت خيرٌ من أن يتلعب بك صعايبك العرب وتخطئك ذبجها وتكل منك
 وتعيش فقيراً مجاوراً أو تقتل مقهوراً . ففضي إلى كسرى حتى إذا وصل إلى الدائن بلغ كسرى أنه
 بالباب فبعث إليه فقبده وحث به إلى محبته كان له بخاتمته فبه يزل فيه حتى مات . وقال
 الأكل : الفقه تحت الرجل الفقه فوطئته حتى مات وذلك قبيل الإسلام بحين (الاغاني)

أَتَاكَ بِأَنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسْأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ
 وَبَيْتِي مُقْفَرٌ إِلَّا نِسَاءً أُرَامِلٌ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النَّحِيبِ
 يُبَادِرْنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِي كَشَنَّ خَانَهُ خَرَزُ الرَّيْبِ
 فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تَعَابَ عَلَى الرَّأْيِ الْمُصِيبِ
 فَأَنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
 وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كَسْرَى :

وَتَقُولُ أَلْعِدَاةُ أَوْدَى عَدِي وَبَنُوهُ قَدْ أَيَقَنُوا بِعَاقِبِ
 يَا أَبَا مُسَهَّرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَحْنِ الْعِرَاقِ
 أَبْلِغْنَا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنَّنِي مُوثِقٌ شَدِيدٌ وَثَاقِي
 فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغَلَالٍ وَثِيَابٍ مُنْضَحَاتٍ خِلَاقِ
 فَارْكَبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُفُوا أَخَاكُمْ إِنْ عِيرَا تَجَهَّزَتْ لِأَنْطَاقِ
 فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كَسْرَى فَسَكَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
 وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكُتِبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَأْمُرُهُ بِإِطْلَاقِهِ . فَأَتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاءَ
 عَدِي فَأَعْرَفَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ فَهَتَلَهُ (*) (لَابِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِي)

(*) وخبر صاحب كتاب الاغانى انه لما انتهى خبر قتل عدى الى كسرى سكت اشهرًا
 على ذلك ووقع في قلبه منه ما رجع . وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كته به أن أقبل فان
 للملك حاجة اليك . فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب
 وليس احد منهم يقبله خوفًا من كسرى . فقال له بعض اصحابه : عندي رأي لك است أشير
 به عليك لأدفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاتيه . فقال : ان كل امر
 يجمل بالرجل ان يكون عليه الا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل احد . ولأن
 قوت كريمة خير من أن تجزع الذل اربق سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

حِينَئِذٍ جُلَّةٌ وَشِيٍّ مَسْمُومَةٌ مَسْجُوجَةٌ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ
إِلَيْكَ بِجَلَّتِي أَلْتِي كُنْتُ أَلْبَسَهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَأَلْبَسَهَا
بِالْيَمِينِ وَالْبُرْكَهَةِ . وَكَتَبْتُ إِلَيْكَ بِجَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
لَبَسَهَا فَأَسْرَعَ فِيهِ الشَّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسُمِّيَ ذَا الْقُرُوحِ (الاعاني)

٣٦٠ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ ٥٨٢ هُوَ مِنْ أَوْلَادِ نِزَارٍ وَكَانَ شَاعِرًا فَصِيحًا مِنْ
شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أُنْفَعَ طَرَحَهُ فِي الْكُتَابِ
حَتَّى إِذَا حَقَّقَ أَرْسَلَهُ الْمُرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كُتَابِ الْفَارِسِيَّةِ .
فَكَانَ يُخْتَلَفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَعَلَّمُ الْكُتَابَةَ وَالْكَلامَ بِالْفَارِسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهَا وَأَفْصَحِهِمْ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشُّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّمِيَّ
بِالنِّشَابِ فَخَرَجَ مِنْ الْأَسَاوِرَةِ الرَّمَاتِ . وَتَعَلَّمَ لَبَّ الْعَجْمِ عَلَى الْحَيْلِ
بِالصَّوَابِجَةِ وَعَيْرَهَا . ثُمَّ اثْبَتَهُ كَثْرَى مَعَ وَلَدِ الْمُرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيُّ
أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيوَانَ كَثْرَى . يُؤَدِّنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
وَهُوَ مُجْتَبٍ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَفَعَ ذِكْرُ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى النُّعْمَانُ بْنُ
الْمُنْذِرِ عَلَى الْحَمِيرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
أُمَّهُمَا أَبِي وَعَامِرٌ فَأَكْرَمَهُمْ وَأَجْزَلَ صِلَاتِهِمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَوَلَاهُ
مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ سِوَى اسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي مَحْبَسٍ لَا
يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيُّ يَقُولُ الشُّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
أَلَا مَنْ مَبْلُغُ النُّعْمَانِ عَنِي وَقَدْ تَهَوَّى التَّصِيحَةَ بِالْمَغِيبِ
أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقَيْدًا وَغَلًّا وَالْيَمَانَ لَدَى الطَّيِّبِ

الْقَيْسِ وَالْأَدْرُعِ وَالسَّلَاحِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرِ بْنِ مَازِنِ
 الْفَزَارِيِّ : يَا أَبْنَ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ
 بِمَثَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
 النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرَ لِصَيْفٍ نَازِلٍ وَلَا لِمُجْتَدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
 مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنَزَلُهُ . قَالَ : السَّمَوِيُّ الْبَتِيَاءُ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
 يَمْنَعُ ضِعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْبِكَ . وَهُوَ فِي حِصْنِ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
 كَبِيرٍ . فَمَضَى التَّوَمُ حَتَّى قَدِمَ وَعَلَى السَّمَوِيِّ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمُصَاصِ مُفَاجِئًا وَإِلَى السَّمَوِيِّ زُرْتَهُ بِالْأَبْلَقِ
 فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحَمَّلَ حَاجَةً إِنْ جِئْتَهُ فِي عَارِمٍ أَوْ مَرْهَقِ
 عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لِمُسَبِقِ
 وَعَرَفَ لِمَنْ السَّمَوِيُّ حَقَّهُمْ فَأَنْزَلَهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
 مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمِيرٍ
 الْعَسَايِي بِالشَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَأَسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
 الْأَدْرُعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنَ عَمِّهِ . فَمَضَى
 حَتَّى أَتَى إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنَزَلَةٌ . فَأَنْدَسَ
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
 مُسْتَحْفِيًا . ثُمَّ إِنْ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
 فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوَّةٌ عَدُوٌّ وَلَا تَأْمَنُ
 أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَغْزُوكَ مِنْ بَعَثٍ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرَ

العرب . ولما جنة الليل رأى برقاً فقال :

أرقتُ برقُ ليلِ أهلِ يضي سنادُ بأعلى الجبلِ
أتاني حديثُ فكذبته بأصْرُ ترزعُ منه القللِ
بقتلِ بني أسدِ ربهم الأكلُ شئٌ سِوَاهُ جالِ

ثم ارتحل حتى نزل بكرة وتغلب فسألهم النصر على بني أسد .
وبعث العيون على بني أسد فنذروا بالعيون وجأوا إلى بني كنانة .
فنهض إليهم بنو أسد جامون على الماء فقاتلهم حتى كثرت الجرحى
وأقتل فيهم . وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر
وتغلب أبو أن يتبعوه وقالوا له : قد أصبت ثارك . فقال : والله ما
فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً .
قالوا : بلى ولكنك رجل مشووم . وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا
عنه فمضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير . ثم خرج فظفر ببني أسد
(قالوا) وأح المنذر في طلب امرئ القيس وأمدته أنوشروا بجيش من
الأساورة فسرحهم في طلبه . وتفرق حمير ومن كان معه عنه فنجأ في
عصبة من بني أكيل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني
حنظلة ومع امرئ القيس أذراع يتوارثونها ملكاً عن ملك . فقلما
يشوا عند الحارث بن شهاب حتى يمت إليه المنذر مائة من أصحابه
يوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني أكيل المرار . فأسلمهم ونجا
امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند بنت امرئ

وَسَارَ قَبَائِلَ رِبِيعَةَ لِيَسْتَجِدُّوهُ وَقَالُوا: قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ وَلَا قَرَارَ لَنَا
 عَلَيْهِ. وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ. فَأَخَذَتْهُ الْغَيْرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 أَعْمَرِي أَنْتِ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِنَائِي أَوْ أَسِيرُ
 أَأَنْزِلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسْرُ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَّ بِهِمْ عَسِيرُ
 ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
 بَأْسِهِمْ وَبِحَدِّتِهِمْ فَشُدُّوا بِنَا الْحَيْلَ وَأَبْدُوهُمْ بِالْعَارَةِ. فَوَضَعُوا فِيهِمْ
 السُّيُوفَ وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
 قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا. فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقُضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةٍ مَرِيعَةٍ.
 وَاتَّبَعَهُمُ الْبَرَّاقُ. وَأَمْتَلَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ.
 وَعَظُمَتْ مَنْزِلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَأَسْتَهْلُوا أَمْرَهُ وَأَثَنُوا عَلَيْهِ
 جَمِيلاً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ثَمَسْمَانَةَ وَخَمْسَ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ.

٣٥٩ (أَمْرُ وَالْقَيْسِ ٥٦٦). قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ أَمْرُ وَالْقَيْسِ بْنِ حَجْرِ
 ابْنِ أُطَارِثِ بْنِ بَنِي كِنْدَةَ سَاحِبِ الْمُعَلَّقَةِ الْمَشْهُورَةِ. وَكَانَ مِنْ فُجُولِ
 شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. سَبَقَ إِلَى
 أَشْيَاءَ أَبْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ. وَكَانَ حُجْرُ
 أَبُو أَمْرِئِ الْقَيْسِ بَدَلًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ:
 فَجَاءَ رَسُولُ إِلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ: الْحُمْرُ عَلِيٌّ
 وَاللَّعْبُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتَلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً. وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةً
 ثُمَّ قَامَ أَمْرُ وَالْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَّعَ لَيْسِرُ فِي أَحْيَاءِ

الْبَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (البراق بن رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو النَّصْرَيْنِ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدِ
 التَّمِيمِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صِغَرِهِ
 يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَجْلِبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَهْبٍ حَوْلَ الْمَرَاغِيِّ
 فَيَتَعَامَلُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْأَنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بَدِينِهِ. ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
 بَعْدَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفُرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
 بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَخَلِمٍ مَا لَمْ يَكُنْ لغيرِهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ:
 يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ اسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَعْبِيهِ
 وَالْبَسْ لِسْرِكَ مَا تُخْفِيهِ مُجْتَبِداً وَالْبَسْ عَفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَعْبِيهِ
 فَصَاحِبِ الصَّدَقِ يَجْنِي صِدْقَهُ حَسَنًا وَصَاحِبِ الشَّرِّ سُوءَ الشَّرِّ يَجْنِيهِ
 وَمَا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي طِيٍّ وَقُضَاعَةَ الْحُرُوبِ الْمَشْهُورَةِ
 وَتَعَاظَمَتْ الْقِتَّةُ بَيْنَهُمْ وَاسْتَمَّتْ أَعْيَا التَّدْبِيرِ فِي الصُّلْحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
 مَنْ كَانَ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم بجنى
 على الكثير تاريخهم. وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق
 المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصطلفنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالاً على سنة الميلاد
 واسماني على سنة الوفاة. وان لم تر الا عدداً فذلك تاريخ سنة الوفاة. وهو بحسب التاريخ المسيحي

أَوْطَأُ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيْبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بانه طيب

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابَكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّني نَظَرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّني
 أَطَّلَعِي عَلَيْهِ لِمَا تَصَنَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوْلَهَا كَفَّارَةً
 وَأَخْرَجَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
 وَيُودِي لَوْ قَرَّبَ عَلَيَّ مُتَتَوَلِّ عِيَادَتِكَ . فَأَحْتَمَّتْ عَنْكَ بِالْتَّعَهُدِ
 وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضُ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ أَلْعَلَّةِ قِسْمٌ
 كَقِسْمِكَ . وَمَرِضٌ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَظَنُّ آتِي لَوْ لَقَيْتَكَ عَالِيًا
 لَا نَصْرَفْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَدُّ عَلَى أَوْجَاعِ
 أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
 فِيكَ الْمَحْدُورَ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعَبِكَ لَهُ

فصول في وصاة للجاحظ

٣٥٧ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْعَفْتَهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلْبَتِهِ مَنْ
 تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَزَرَعَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
 بِنَا يَلِزُ مِنَّا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيَادِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
 الثَّمَةِ مِنْ مَكْرَفَاتِهِ فَأَوْلْنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْضِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
 مَكْرَفَاتُهُ لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فَلَانَ وَلَهُ لَدَيْنَا
 مِنَ الذِّمَامِ مَا يَلِزُ مِنَّا مَكْرَفَاتُهُ وَرِعَايَةُ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
 مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِي شُكْرَهُ (لا بن عبد ربه)

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِأَحْتِسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصِبَاءِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عَصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْفَائِزِينَ وَقُرْبَةَ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا
(لابن عبدربه)

كتاب ابي العيناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِي مَا خَفَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمُ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عَتْبَى أَفْضَلُ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَأَقْبَلَ مِنْ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبِرْ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزِيَّةِ

فصول الى عليل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميد له قد ظهر عليه الجدرى

٣٥٥ وَعَلَيْكَ خَيْرُ الْجَدْرِيِّ فَنَالَ مِنِّي وَهَمَّجَ حُزْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَمَهَرَ عَيْنِي وَهَدَاهُ الْعَلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ قِطْعَةٌ
شَدِيدَةٌ . فَإِنَّهَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقَهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَمَعَّ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَاعْمَرِي إِنَّهَا تُورِثُ سَوَادَ اللَّوْنِ . وَتَذْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنَّ ذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَأَنْتَ اسْتَطِيعَ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لِأَسْأَلَ
صِحَّتِكَ . إِلَّا مَنِ حَاقَ عَلَيْكَ . وَارَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذُنُوبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعًا . وَالْيَقِينَ طَيِّبًا .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لِإِدَاءِ أَدْوَاءٍ مِنْ أَجْلِ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهَلٍ . وَلَا فِرَاشَ

فَتَحَلَّهَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَالَهَا فَتَقَالَكَ بِبَهَائِهَا (لابن عبد ربه)

فصول في التعزية

كتاب الخوارزمي الى الشيخ ابي بكر

٣٥٢ بَلَّغْنِي مَا قَاسَادُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمُصِيبَةِ مِنْ
 غَمِّ يُشْكِي بَلَّ يَبْكِي . وَجَزَعٍ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خَطْبٌ ثَقُلَ
 حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى
 الْمُعْزِي لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمُعْزَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي :
 فَيَدْفِنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمِشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
 وَشَيْخِي أَعْرَفُ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ آدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَامِمُ
 لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمَفْجَأَةِ الْمُصِيبَةِ لَدَعَهُ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَاتَّةِ
 الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الخوارزمي)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوْلَى مَنْ تَأَنَسَ وَسَامَمَ لِأَمْرِ
 اللَّهِ وَقَبِلَ تَأْدِيبَهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرَّعَ غُصَصِ الْبَلْوَى
 مَنْ تَجَزَّ مِنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَأَعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي
 قَلْبِهِ سَلْوَةٌ مِنْ فَقْدِ كُلِّ حَيِّبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأُنْسُ مِنْ كُلِّ
 فَقِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللُّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْعَابِرِينَ وَمَمُورِدُ
 الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَائِفِ أَوْلِيَاءِهِ أَفْضَلُ الْعِبْرَةِ وَأَحْسَنُ
 الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فَجَائِعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْإِعْطَاءِ

مَهْنَةً بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيروز

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بَرِيادَةً مِنَ الْعُمُرِ
مَوْصُولَةً بِفَرَاغِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مُلْكُكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرْفِي إِلَيْكَ كَرَامًا مَائِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لْمُهْدِي مَا لَكَ إِلَيْكَ . وَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَثَةٍ . فَرَأَيْتَنِي إِنْ جَعَلْتَهَا هَدِيَّتِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أَمِزْ مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالْمُقْصِرِ عَنِ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعَجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَوْصَلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَضْرُوفٌ مَحْوُوكٌ .
فَمَا عَسَى أَنْ أَهْدِيَ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّتْ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلسَّادَةِ . فَأَقْتَصِرُ نَاعِلِي هَدِيَّةٍ تَقْتَضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجْلِ الْبِرِّ . وَلَا زِلَّتْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالنِّعْبَةِ فِي
أَنْتُمْ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَعَلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمُرُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةِ أَحْيَيْتَهَا وَحَشَاشَةِ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقَ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقَمْتَ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَعَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يُسْمَوُ إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خِلا هَذِهِ
النِّعْمَةِ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وِرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ العَدُوِّ وَارْعَمْتَ أَنْفَ الحُسُودِ
فَنَحْنُ نُلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الجُتْهِدِ . (وَهَذَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ العَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا وَلَا أَكْثَرَ عِيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أُنْجِزَتْ فِيهِ عِدَّةُ الرُّأْيِ وَبُشِّرَى الفِرَاسَةِ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ
كِتَابِ ابْنِ مُكْرَمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ المَدِينِ

٣٤٨ إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى المُشْنِيِّ عَائِكَ أَنْ لَا يَخَافَ الأَفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِيسَةُ الكَذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ المَدْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَمَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ المُتَابِعِينَ لَهُ وَالْمَوَدِّينَ مَعَهُ (لِابْنِ عَدْرِيهِ)

فصول في التهنئة والهدايا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَئِنْ نَخَلْتِ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الوَاضِحِ مِنَ العِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحِصَّاعَنْ خَبْرَكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقَتِكَ كَتَبْتُ

وَالْمُحَبَّرَةُ حَلِيفَتَكَ . وَالذَّمَّتْ أَيْفَتَكَ . فَإِنْ قَصُرَتْ وَلَا إِخَالَكَ . فَغَيْرِي

خَالَكَ وَالسَّلَامُ

(رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لمحمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوصية

٣٤٦ إِنْ حَقَّ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ تَفِيدُ أُمُورَهُمْ وَتَتَوَقَّمُ أَوْدِيَهُمْ
وَرِيَاضَةَ أَخْلَافِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ فَيَقْدِمَ مُحْسِنَهُمْ وَيُؤَخِّرَ مُسِيئَهُمْ .
لِيَزِدَّ أَدْوَاءَهُمْ فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزِدَّ جِرْهُوْلَاءَهُ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَقَضَى لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لِحُلَفَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلِعَبِيدِهِ عَلَى
خُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا آدَى كُلَّ
إِلَى كُلِّ حِمْتِهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتِمَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَقَضَى) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْصَلَتْ بِرِعْيَتِهِ عَامَّةً وَشَمَلَتِ الرَّعِيَّةَ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ فِيهَا وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَمَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبِتَدْبِيرِهِ وَذَبَّ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ .
وَبِحَيَاتِهِ حَمْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمَّنَ سَبِيلَهُمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصِحَتِهِمْ مُؤَيِّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِالْتِمَكِينِ .
مَوْصُولًا بِالْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المدح والشكر

فصول للحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةً أَقْدَرْتَهُ أَيَّاهَا . فَإِنَّ

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَعَالَهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطِئُ فِي كَيْبِكَ
 إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 فَاعْفُ فِدَتَكَ النُّفُوسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

فصول في التوصية

كتاب عمر الى ابي عبيدة بعد فتوح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلِيَّتِكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنْ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَبْنِي مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلْتَكِ عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقْبِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَقُلْ إِنِّي
 أَرْجُو لَكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالَّذِي بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالْتَعَرَّ بِبِالِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضَّ عَنِ الدِّيَاعِينِ
 وَالْهِيَئَةِ قَلْبِكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْخِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ
 سَلْفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظَرٌ سَفْرًا وَرَحِيلًا مِنْ دَارِ مَضَتْ نَفَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمِ النَّاسَ فِيهَا الرَّحَالَ عَنْهَا لَعِبْرَهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 التَّقْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَإِنَّتِ الْوَلِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواندي)

كتاب بديع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَوَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

هُمَا فِي السَّمَنِ وَالسَّمَنِ حَتْفُهَا . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعَالَمَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقَى النَّاسَ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسَ . وَالسَّلَامُ لابن عبد ربه)

كتاب صلاح الدين الى معز الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْإِنْتِمَاءَ إِلَيَّ ابْتِدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحَيْفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَقَبْلَتِكَ وَأَوْيَتِكَ وَنَصْرَتِكَ وَبَسَطْتَ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَضْتَهُمْ . فَفَقَدْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَه . فَأَتَّفَقَ
وُقُوعُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الْإِسْلَامِ فَدَعَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بَعْسُكَرَكَ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَقَمْتَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمُدِيدَةَ وَقَالَتْ هَذَا الْقَلْقُ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحُرُوكَةُ . وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدِ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصِرْ مَنْ تَاتَمَى إِلَيْهِ غَيْرِي . وَأَحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ التَّفَاتُ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتَ مُسْكَافَتِهِتَ فِي كُتَيْبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مَلَاظِفَةِ أَلْ إِخْوَانٍ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةِ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعُ بِكَ
أَتَعَبْتُ كَفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعَبِكَ
(فُكِّتَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أُمَّلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَا لِمَنْ مِنْ سَبَبِكَ

فاجابه ابن الزيات :

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ اللَّهِ رِ وَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيًّا
أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَ تُكَ حَوْلًا لَسَكَ عِنْدِي قَلِيلًا
فَأَجْعَلَنَّ لِي إِلَى التَّعَلُّقِ بِالْعُذْرِ رِ سَبِيلًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
فَقَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَ وَمَا سَاحَ الخَلِيلُ خَلِيلًا

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ قُبْحُ فِعْلِكَ . وَضَعْفُ هَجْرِكَ
وَوَصْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وِدِّي لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
هَيْمَةٍ . وَنَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أُنْدِمَ عَلَى حَسَنَةِ (للخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الأشعري

٣٤١ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنِ سُلْطَانِهِمْ . فَأَحْذَرُ أَنْ تُدْرِكَنِي
وَإِيَّاكَ عَمِيَاءٌ مَجْهُولَةٌ . وَضَعَاغُنٌ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءٌ مُتَّبَعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَاقْبِرْ
الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرْ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْتَحْ بَابَكَ لَهُمْ .
فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنْ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَالَهُمْ حَمَلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ فَشَّتْ لَكَ وَالْأَهْلُ بَيْتِكَ هَيْمَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَهَاطِعِيكَ
وَمَرَكِيكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَالْبُهْمِيَّةِ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْتِينَا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقَّبْنَا أَنْذَابَهُكَ مِنْ رَفْدَتِكَ .
وَصَبْرَنَا عَلَى تَجْرَعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فَهَذَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطُورِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَاطَ فِي أُخْتِيَارِكَ (لابن عبدربه)

فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَلِكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَمِطُّعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَتَبُ حَدَثِ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
بِتَقَاضَى كَرَمِكَ إِجْزَاءَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّفْعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فصل) أَنْتَ أَغْرَكَ اللَّهُ أَعْلَمَ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَش . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَبِّحُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَإِنَّتَ أَعْلَمَ بِالْكَرَمِ
وَأَرْعَى لِحُمُوقِهِ . وَأَفْعَدُ بِالشَّرْفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَامَتِهِ . مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدُ مَوْمِكِكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا أَلْتَمَسَهُ . وَمِنْ عُدْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فم يعبده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب اليه :
أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ أَيُّدِكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ إِيكِيَا أَرَادَ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْبِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيمًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُدُ فِي الصُّلْحِ مِمَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأٍ وَأَفْتِمَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيمًا

تَعِيَهُ أَذْنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْتِكَ كَعَقْدٍ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْضُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنْ السَّهْمِ فِي مَمْرِدِهِ . وَالْمَاءِ إِلَى مَقْرِهِ . لِئَلَّا يَجْبُثَ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (لِلنَّوَاجِي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لآحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَسَكَانَ فِي إِغْضَابِكَ عَنِّي
مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكِّرًا وَسُودُوكَ شَافِيًا . (فَصْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا اسْتِعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى التُّبْحَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طُولِ وِدَاكَ أَنِّي ذَهَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنِّي أَرَاكَ بَعِيْنَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فَصْلٌ) . إِنْ مَسَّاتِي إِلَيْكَ حَوَانِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللَّوْمِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِي عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيَّا مَعَ عَلْمِي بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لِعَجْزٍ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْأَلَتَكَ
مَا سَنَعُ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْعَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِنَعْمِ مَعْرُوفِكَ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الجلة بستدعيه

٣٣٣ يَوْمَ يَوْمِ ابْنِ الْحَوَاشِيِّ وَطِيءِ النَّوَاحِيِّ وَسَمَاءُ نَا قَدْ اُقْبَلَتْ
وَرَعَاتُ بِالْحَيْرِ وَوَرَقَتْ . وَانْتَقَطَ السُّرُورُ وَنِظَامُ الْأُمُورِ . فَلَا
تُفْرِدُنَا فَنَقِلَ . وَلَا تَفْرُدُنَا فَنَذِلَ (للقيرواني)

كتاب ابني العباس الغساني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرٌّ إِلَى مَجْلِسِ بَكَادٍ لَيْسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ . وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ
جَوَاهِ حَتَّى يَجُلَ بَيْنَ يَدَيْكَ . فَلِلَّهِ دَرَكُ كَالِهِ إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَحَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غِيَّةً فَحَمَاهُ . فَهَوَافِقُ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَشْوَقُ إِلَى
الْوَجْهِ بَدْرِيهَا . وَقَطْرٌ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَشْوَقُ إِلَى بَحْرِهَا . لَتَسْتَمِدَّ
بِنَهْ . فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ . وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ السُّرُورِ . قَالَ ابْنُ الزُّبَيْنِ :

قَامَتْ لِعَيْتِكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالكَأْسُ أَصْبَحَ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ نَحْوُ الْبَابِ نَظَرَةٌ وَقَدْ صَغَتْ أُذُنُ السُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَعُ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ شَمْلُ مَسَرَّاتِ الْهَنَا بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعِيتُ لَهُ يَا حَبَّذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب الصاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسِنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعَوَّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ . وَقَدْ آبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُو إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا مِينَاكَ . وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

مِنَ الْمُؤُونَةِ وَمَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ وَالْمُعْتَمِدِ مِنْكَ
 عَلَى الْمَقِيلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عَزِّكَ وَلَا سَابَ الدُّنْيَا بِهَجْمَتِهَا بِكَ وَلَا
 أَخْلَانَا مِنْ الصُّنْعِ لِلَّهِ . فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نَجِدُ لِلْحَيَاةِ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ . وَإِنِّ كَانَتْ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذِلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا . لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
 بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسَلَّتَهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصُنَّتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ .
 (فصل) : لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفٌ
 يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوَدَّ وَالْإِيْتِمَامَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُخِزِّنِي مَا لَمْ تَزَلِ
 الْفِرَاسَةُ تَعْدِينِيهِ فِيكَ . (فصل) : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْأَعْتَدَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجِبَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَفَعَّلَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أَنْعَمْتُ
 وَصَلْتُ أَوْقَطَعْتُ

(العقد الفريد)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنه المندرز وبعده لسو . خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٢ إني قد توَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوْحُشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ زَيْدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آسُ إِلَيْهِ . وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْعِزِّ فَقِيمِدِ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِقَابًا لِذَنْبٍ كَبِيرٍ أَرْتَكِبْتُهُ وَعَلِمَهُ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَفْحُهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَسَكَ الدَّهْرُ لِأَعَارِ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ
 (فلمأ وقف الأمير على رُفْعَتِهِ أَرْجَعُهُ إِلَى مَا اعْتَادَهُ) (المقري)

في الطلب وحسن اتواصل

كتاب ابي العيناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ اَنَا اَعَزُّكَ اللهُ وَوَلَدِي وَعِيَايِ زَرَعٌ مِنْ زَرَعِكَ اِنْ اَسْقَيْتَهُ
رَاعٌ وَزَكَوْا . وَاِنْ جَفَوْتَهُ ذَبَلٌ وَذَوَى . وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ
وَإِغْفَالٍ بَعْدَ تَعَاهُدٍ حَتَّى تَسْكُمَ عَدُوٌّ وَشِمْتَ حَاسِدٌ . وَلَعَبْتَ بِي ظُنُونٌ
رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لِأَعْبَاءٍ وَلَهُمْ مَخْرَسَاءٌ . وَلِلَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدِ فِي قَوْلِهِ :
لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فَوَقَّعَ فِي رُقْعَتِهِ) : اَنَا أَسْعَدُكَ اللهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَهَدْتُ
وَمَيْلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتُ . وَلَيْسَ مِنْ أُنْسِيئَاهُ أَهْمَانَاهُ وَلَا مِنْ آخِرِنَاهُ
تَرْكِنَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَأَقْتِسَامِ زَمَانِنَا . وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا
أَنْ تَذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ . وَقَدْ وَقَّعْتُ لَكَ بَرِّقَ شَهْرَيْنِ
إِتْرِيحَ غَلَّتِكَ وَتَعْرِفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأَطْلُقَ لَكَ بَاقِيَّ أَرْزَاقِكَ إِنْ
شَاءَ اللهُ . وَالسَّلَامُ (للقيرواني)

فصول لابن عبد ربه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يَخْصَرَ بِفَضْلِهِ مَنْ شَاءَ وَ لِلَّهِ الْحَمْدُ شَمُّ لَهُ فِيمَا أَعْطَى وَلَا
حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ . كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيحِي .
أَرَى بِيَمَانِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي . لَا أَزَالُ
أَبْقَاكَ اللهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ . فَهَرَّةٌ أَتَوَقَّفُ تَوَقَّفَ الْمُخْتَفِ عِنْدَكَ

أَقْدَمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلَكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخُرَاجَ وَحَسَنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْمَلِ
 الْخُرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مِنْ تَعَامُ قَوْمٍ مَخْشُورُونَ وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِنِي فِي الْخُرَاجِ . وَبَزَعُمُ أَيَّ أَعْتَدَ عَنِ الْحَقِّ وَأَنْتَ
 عَنِ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَعُبُ عَنْ صَاحِبِ مَا تَعَامُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَنظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَصَصِرَ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 (لجلال الدين السيوطي)

كتاب عبسة بن اسحاق الى المأمون وهو عامله على الرقة
 يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وعبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سَبِيلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شُدَّادِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حَدًّا وَلَا عِقُوبَةً . وَلَوْلَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَصْدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا يَرُدُّعُ قَاصِمِهِمْ وَدَانِيَهُمْ
 لَأَذَّتْ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعِيَتْ أُخْيَلُ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانَ
 فِي أُمُورِهِ بِالْتَأْيِيدِ وَالنَّصْرِ . (فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

أَسْمَعْتَ غَيْرَ كِهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا بِي يَدِ الْحَدِيدِ
 سَيُصْبِحُ الْقَوْمُ مِنْ سِنْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْمَشِيِّ ذَرَّتَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

وَأَخِي السَّلَامُ . أَمَا بَعْدُ فَمَتَدَقَّرَاتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَرَدُّوا عَلَيْكَ . وَكُونِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
غَمَطًا وَخَرَّوْجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَحْضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَمَتَدَاخَانِي مِنْ ذَلِكَ
أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْأَسْتِنَارَةَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْإِسْتِظْلَالَ بِكَنْفِهِ
أَثْرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْخِصَالِ
وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقَبَلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
أَمْلَكَ وَاتَّمَمْنَا بَغْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمِدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حَسَنَ
ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
لِي وَلَدًا وَكُنْتَ لَكَ أَبَا . فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مَبَارَكًا كَالَّذِي فِيهَا وَقَدْ أَلْجُوشَ
وَسِرْ عَلَى بَرَكَتِهِ اللَّهُ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْزُكَ الصَّخْرُ وَالْهَلْعُ . بَلْ تَشْمُرْ لِعَدُوِّكَ
وَلَا تُقْصِرْ فِي مَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأَتْ مِنْ دَرَجَتِكَ وَأَنْحَطَّتْ عَنْ
مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ
وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرِجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى

(لابي الفرج الملقب)

كتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بَيْنَاتِ
الطَّرِيقِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

أَلْبَابُ الثَّلَاثِينَ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقى ملك الروم

لَمَّا وَثَبَ الْفُرسُ عَلَى هَرْمِزِ مَلِكِهِمْ فَسَمَلُوا عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَتَلُوهُ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ بِحَرَامِ الْمَرْزَبَانِ . كَانَ لِهَرْمِزِ ابْنٌ حَدَثُ اسْمُهُ كَسْرَى وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَنُوشِروانِ الْعَادِلِ . فَتَنَكَّرَ كَانَهُ سَائِلٌ وَشَقَّ سُلْطَانَ الْفُرسِ حَتَّى جَاءَ نَصِيبِينَ وَصَارَ إِلَى الرَّهْمَا وَمِنْهَا إِلَى مَنبُجٍ وَكَتَبَ إِلَى مَوْرِيْقِي كِتَابًا نَسَخْتُهُ:

٣٢٤ لِلْأَبِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مَوْرِيْقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كَسْرَى
أَبْنِ هَرْمِزِ السَّلَامِ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَعْلِمُ الْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عِبِيدِ أَبِي جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عِبِيدُ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
بِنِعْمِ آبَائِي لَدَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْزَعَ إِلَى
مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونَ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْتَدَّةِ . وَلِأَنَّ يَكُونَ
مَوْتِي عَلَى أَيْدِي الْمَلُوكِ أَفْضَلَ وَأَقْلَّ عَارًا مِنْ أَنْ يُجْرِيَ عَلَيَّ أَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَفَزَعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتُتَدِنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَوَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فلما ثرا موريقى كتاب كسرى بن هرمز عزم على اجابة مسئلته لانه لما اليه فأنجده
بعشرين ألفا . وسير له من الأموال أربعين قنطارا ذهبيا وكتب اليه كتابا نسخته :

٣٢٥ مِنْ مَوْرِيْقِي عَبْدِ يَشُوعَ الْمَسِيحِيِّ إِلَى كَسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ وَوَلَدِي

وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَنْبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَاحْتَوُوا الْأَرْضَ
 الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلِمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
 رَأَوْهَا . فَشَرَفَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَغَلَاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
 الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَمَأُوا إِلَى الْحَوَاضِرِ وَأَسْتَوْطَنُوهَا . وَأَمَّا
 أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعُمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
 وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِي مَا وَجَدَ أُنْدَلِسِي .
 وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَاعِ فَإِنَّهُمْ فَأَقْوَأُ أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَجْمَلُوا
 أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعًا لَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
 فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَعُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِذْقِ وَالْتَجْوِيدِ
 مَا يَمِيلُونَ بِهِ النُّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيَصِيرُ الذِّكْرُ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
 جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
 وَاسْتِنْبَاطِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَانَسَ حَكِيمَ الْأَنْدَالِسِ أَوَّلَ مَنْ
 اسْتَنْبَطَ بِالْأَنْدَالِسِ صِنَاعَةَ الرَّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ بِهَا
 كِتَابَ الْعُرُوضِ لِلخَلِيلِ . وَأَوَّلَ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِقَى وَصَنَّ الْأَلَةَ
 الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِثْمَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَاحْتَالَ فِي
 تَطْيِيرِ جُثْمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّلَهُ جَنَاحِينَ وَطَارَ فِي الْجُودِ
 مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْأَحْتِيَالَ فِي وَقُوعِهِ . وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ
 الطَّيْرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَّ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةَ
 السَّمَاءِ وَخَيَّلَ لِلنَّاطِرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالغُيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (المقري)

هُنْدِيُّونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَايَتِهِمْ .
 صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْمُنِ الصُّورِيَّةِ .
 تَرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمَعَالِمَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مَهَمَاتِهَا .
 بَعْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرَفِهِمْ وَرِقَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذِكَايَتِهِمْ
 وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَوَحْدَةِ أَفْكَارِهِمْ
 وَنُفُوزِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِنْبَاطِهِمْ لِلْمِيَاهِ وَمُعَانَاةِ لِحُرُوبِ
 الْفِرَاسَاتِ وَأَخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْهَوَاكِهِ وَتَدْبِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
 وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَاتِينِ بِأَنْوَاعِ الْخُضِرِ وَصُوفِ الزَّهْرِ . فَهْمٌ أَحْكَمُ
 النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
 الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجْرِبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ النَّبِّ
 فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . لَأَحْذَقُ
 النَّاسِ بِالْفَرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّمَنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ نَضَائِلِهِمْ
 أُخْتِرَاعُهُمْ لِلخَطُوطِ الْمُخْصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوْلَا مَشْرِقِيًّا .
 وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي نَضَائِلِهِمْ أُخْتِرَاعَهُمْ لِمَوْشِحَاتِ النَّبِيِّ اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
 الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَنْزِعُونَ مِنْزَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَنَثْرُهُمْ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
 وَقَفَ عَلَيْهِمَا عَلُوُّ طَبَقَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَمَا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِخُرُوجِ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْأَخِيرَةِ
 الْمُبِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْعُدُوةِ فِي بِلَادِ أFRیقیة .
 فَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَمَأَلَوْا فِي الْبَوَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَخَلُوا أَهْلَهَا

فِيهَا لَنَا تَبْرٌ وَفِي حَانِهَا
كَاللَّبَنِ الْخَالِصِ فِي حِلِّهِ
صُحْبَةُ أَبْنَاءِ الْكِرَامِ الْجِيَادِ
مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالسَّوَادِ
قَالَ آخِرُ :

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا
فَإِنَّهَا لَا نَعْمَ تُبْقِي إِذَا
فَاللُّطْفُ قَدْ حَفَّ بِتَدْمَانِهَا
لَا يُوجَدُ النِّعَمُ بِحَانِهَا
قَابَلَكَ السَّاقِي بِفِجَانِهَا
بِمَائِهَا نَفْسِلُ أَكْدَارِنَا
وَمَحْرُوقُ أَلْهَمَ نِيرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونِهَا
أَنْ عَلَى الْحَمْرِ وَأَدْنَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي
بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِطُلَانِهَا

(عمدة الصفة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٢٣ إِعَامَ أَنْ فَضَلَ الْأَنْدَلُسَ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ اسْتَحْوَاهَا . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
زَلَوْهَا . فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقِ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَجْلُو مِنْ كِتَابِ مَاهِرٍ . وَشَاعِرِ قَاهِرٍ . وَقَدْ أَعَاتَهُمْ عَلَى الشَّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَبِقَاعِهِمُ النَّضْرَةُ وَهُمْهُمْ الْأَبِيَّةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْمَرْحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
أَهْمِهِمْ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَاءِ الضَّمِيمِ وَقِلَّةِ أَحْتِمَالِ
أَذَلِّ وَالسَّمَاخَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالنَّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدِّنِيَّةِ .

الْإِضْرَارَ بِالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَاوَى وَالتَّعَصُّبَاتِ
 الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اسْتِقَاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ
 الْفَخْرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي يَزِيدٍ فِي مَوْلَاهُ إِثَارَةَ النَّخْوَةِ بِجِلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْإِقْتِهَاءِ وَهُوَ الْاجْتَوَاءُ أَيُّ الْكِرَاهَةِ . أَوْ مِنَ الْإِقْتِهَاءِ بِمَعْنَى الْإِقْعَادِ
 مِنْ أَفْهَى الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيُّ قَعْدَعْنَهُ وَكَرَاهَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْقُعُودُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتْ الْحُمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقَهِّي أَيُّ تَكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقَعِدُنَهُ أَوْ تُقَعِدُ عَنِ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَأَنْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفِ بِالذَّبْحَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لِرِوَاغَةِ تَصْحِيحِ
 الْقِتَاوَى بَعْدَهُ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ اقْتَضَى لَهُ
 الْخُرُوجَ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرِّ الْعَجْمِ فَأَقَامَ بِهِ مَدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِيَّةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَنَفَعَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِ أَنَّهَا تَذْهَبُ النُّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدْنَ خِفَةَ وَنَشَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بَعْدَهُ يَسْتَعِينُونَ بِشَرِبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا . ثُمَّ تَتَابَعَ
 النَّاسُ بَعْدَهُ عَلَى شَرِبِهَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنْ الْحَرْفِ وَالصَّنَاعَاتِ وَلَمْ تَزَلْ فِي أَنْتِشَارِ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةَ تَذْهَبُ هَمُّ الْفَقِي أَنْتِ لِحَاوِي الْعِلْمِ نَعْمُ الْمُرَادُ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَطِجُهَا قِشْرًا فَتَأْتِي لَنَا فِي نَكْمَةِ الْمِسْكِ وَلَوْنُ الْمِدَادِ

شَرَدَتْ أَغْنَانِي وَلَمْ تَكُ عَلِيًّا أَي هِزْبٌ لَا أَزَالَ
 هَذِي وَعَالِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْفَلَا هَلَّا شَهَدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا تَلْتَقِي دِينِي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شَرُوبًا
 لَمْ تَأْتِ تَحْوِي تَبْتغِي صَيْدًا فَقَدْ وَافَاكَ حَتْفُكَ عَاجِلًا مَضُوبًا
 ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْقُوعَ الْبَرَدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ
 الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
 صَرَخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرَخَتِهِ . وَقَبِضَ عَلَى فِيهِ بِكَفَيْهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
 فَشَقَّ حَنَكَيْهِ . إِلَى حَدِّ كَيْفَيْهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبِيهِ .
 وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر التهوية

٣٢٢ إعلم أن التهوية هي النوع المتخذ من قشر البن أو منه مع حبه
 أو بجم أي المقلبي . ووصفتها أن يوضع القشر إما وحده وهي القشرية
 أو مع البن أو بجم المدقوق وهي البنية في ماء . ثم يغلى عليه حتى
 تخرج خاصيته . ومنهم من يجد غاية اعتدال استوائها بطعم مذاقها
 إلى المرارة . ثم تشرب من قائل بجلها يرى أنها الشراب الطهور المبارك
 على أربابها . الموجبة للنشاط والإعانة على ذكر الله تعالى وفعل
 العبادة أطالها . ومن قائل بجرمتها مفرط في ذمها والتشنيع على
 شرابها . وكثير فيها من الجانبين التصانيف والفتاوى . وبالغ القائل
 بجرمتها فادعى أنها من الحمر وقاسها به وسأوى . وبعضهم نسب إليها

وَسَرَحَتِ الْأَغْنَامُ تَرَعَى . فِي ذَلِكَ الْمَرْعَى . وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
 الْوَادِي ظَهَرَ يَمِشِي وَيَجْتَرُ . أَفْطَسُ الْمُنْخَرُ . يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ الشَّرْرُ . يَقْلِبُ
 الْوَادِي إِذَا هَمَّرَ . بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ . وَخَالِبٌ أَعْرَمٌ مِنَ الْمَصَابِ .
 شَدُوقٌ شَدَقَمٌ . عَبُوسٌ أَدْعَمٌ . تَسْمَعُ الرَّعْدَ إِذَا هَمَّهِمْ وَدَمْدَمٌ . يَلْمَعُ الْبَرْقُ
 مِنْ عَيْنَيْهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ . شَدِيدُ الْحَيْلِ صَعْبُ الْمِرَاسِ . عَرِيضُ
 الْكَتْفِ كَبِيرُ الرَّاسِ . فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحَيْلُ رَاحَتَهُ
 فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ . وَكَذَلِكَ النَّوْقُ وَالْجَمَالُ . شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ .
 فَلَمَّا نَظَرَ عَنَتْرُ . إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ . نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ .
 وَالسِّيفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ . وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطِ يَدَيْهِ . وَهُوَ
 يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ . وَالشَّرْرُ يَطِيرُ مِنْ عَيْنَيْهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 زَعَقَ عَنَتْرُ عَلَيْهِ زَعَقَةً دَوَّتْ بِهَا الْجِبَالُ . وَقَالَ : رَحْبًا بِكَ يَا أَبَا
 الْأَشْبَالِ . يَا كَبَّابَ الْفَلَاحِ . يَا مُحْسَ وَحُوشَ الْبَيْدَا . فَلَقَدْ أَبْدَيْتَ
 بَأْسَكَ وَصَوَّلْتَكِ . وَأَفْتَخَرْتَ بِهَيْمَتِكَ وَهَهْمَتِكَ . فَلَا شَكَّ أَنَّكَ دَلَّكَ
 السَّبَاعُ . وَسُلْطَانَهُمُ الْمَطَاعُ . وَلَكِنْ عُدَّ بِالْحَيْبَةِ وَالْإِذْلَالِ . فَمَا أَنَا
 كَمَنْ لَا قَيْتَهُ مِنَ الرِّجَالِ . أَنَا مِنْهَا الْبَطَالِ . أَنَا مِنْهُمْ الْأَطْفَالِ .
 فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَفْتَلَكَ بِسِنَانٍ وَلَا بِجُسَامٍ . وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْتَيْكَ كَأْسَ
 الْحِمَامِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السِّيفَ مِنْ يَدِهِ وَهَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يُنْشِدُ :
 يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيَتْ نَعْفَرًا مَنُوبًا
 أَتْرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْذِمَامِ مَخْضُوبًا

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنْعَةِ الْأَهْرَامِ لِأَلْبَابِ
 أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَفَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلَّ نِقَابِ
 فَكَاثِمًا هِيَ كَالْمَنَامِ مُتَمِّمَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمِدَ وَلَا أَطْنَابِ
 قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ عَجَابِ بَصْرِ النَّيْلِ . قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
 نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ . لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
 بِلَادِ النُّوْبَةِ وَأَرْبَعَةٌ أَشْهُرٍ فِي الْحَرَابِ إِلَى أَنْ يُخْرَجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ حَلْفَ
 خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يُصْبُ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
 وَيَمْدُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلِّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبِ
 وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبِ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَقِيًّا يُزْرَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَعْنَى
 عَنِ الْمَطْرِ بِهِ فِي زَمَانِ الْبَيْظِ إِذَا نَضَبَ مِيَاهُهُ . قَالَ ابْنُ خُرُوفٍ :

مَا أَعْجَبَ النَّيْلَ مَا أَبْهَى شِمَالَهُ فِي ضَنْفِيهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَحُ
 مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَأْصُ عَلَى تَرَعٍ تَهْبُ فِيهَا هُبُوبَ الرِّيحِ أَرْوَحُ
 لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقٌ وَأَرْبَاحُ

(أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَعَّلَ عُنْتَرُ فِي النَّبْرِ بِالْجَمَالِ
 وَالغَنَمِ . وَقَصَدَ بِهَا الرَّوَابِي وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمَيْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَوَبَعَدَ
 عَنْ حَيْدِ عَبَسَ . فَتَوَعَّدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ . يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

أَلْهَنْدَسَةِ وَحَسَنِ التَّقْدِيرِ بَحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِعَصْفِ الرِّيَّاحِ وَهَطْلِ
السَّحَابِ وَزَعَزَعَةِ الزَّلَازِلِ . وَهَذَا الْبِنَاءُ لَيْسَ بَيْنَ حِجَارَتِهِ مِلاطٌ إِلَّا
مَا يُتَخَيَّلُ أَنَّهُ ثَوْبٌ أبيضُ فُرَشَ بَيْنَ حَجَرَيْنِ أَوْ وَرَقَةٌ لَا يَخْلَلُ بَيْنَهُمَا
السَّعْرَةُ . وَطُولُ الْحَجَرِ مِنْهَا خَمْسَةُ أَذْرُعٍ فِي تَمَكِّ ذِرَاعَيْنِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا عَظِيمًا فَجَبْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ صِفَتِهِ إِلَّا الْأَهْرَمَيْنِ . فَإِنِّي
لَمَّا رَأَيْتُهُمَا كَانَ رُؤْيُيْتَهُمَا أَعْظَمَ مِنْ صِفَتِهِمَا . وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي مَنْ بَنَى
الْأَهْرَامَ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَسَرْتُ عُمُولَ ذَوِي النُّهْيِ الْأَهْرَامِ وَاسْتَضَعَّرْتُ لِعَظِيمِهَا الْأَجْرَامِ
مُسُّ مُوْتَقَّةُ الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ قَصَّرْتُ لِعَالِ دُونِهَا سِهَامِ
لَمْ أَذْرِحِينَ كَبَالَتِ الْفَكْرُ دُونَهَا وَاسْتَوَهَّمْتُ لِحَبِيبِهَا الْأَوْهَامِ
أَقْبُورُ أَمْالِكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أَمْ طَلَسَمُ رَمَلِ هُنَّ أَمْ أَعْلَامِ
وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَهْرَامَ بِمِصْرَ قُبُورِ مُلُوكِ عِظَامِ بِهَا أَثْرُوَانُ
يَتَمَيَّزُوا عَلَى سَائِرِ الْمُلُوكِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا تَمَيَّزُوا عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ .
فَيَسْبِقُ ذِكْرَهُمْ عَلَى تَطَاوُلِ الدُّهُورِ . قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

بِعَيْشِكَ هَلْ أَبْصَرْتُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْ هَرَمِي مِصْرِ
أَنَافًا بِأَعْنَاءِ السَّمَاءِ وَأَشْرَفًا عَلَى الْجُودِ إِشْرَافِ السَّمَاءِ أَوِ النَّسْرِ
وَقَالَ الْفَقِيهَ عِمَارَةُ الْيَمِينِي الشَّاعِرُ :

تَخَلَّيْ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بِنِيَّةُ تَمَثَّلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرِ
تَنْزَهُ طَرْفِي فِي بَدِيعِ بِنَائِهَا وَلَمْ يَنْزَهُ فِي الْمُرَادِ بِهَا فِكْرِي

ذِرَاعًا . وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُتَّصِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
 تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ . فَإِذَا أُسْتَوِيَ الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ وَهِيَ
 الْعَالِيَةُ عِنْدَهُمْ فِي طَيْبِ الْعَامِ . وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومِ الْفَيْضِ .
 وَالْمُتَوَسِّطُ مَا أُسْتَوِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ . وَالَّذِي
 يَسْتَحْتَجُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَعَلَيْهَا تُعْطَى
 الْبِشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيَعْلَمُ بِهَا مِائِوَمَةً
 وَمِنَ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلَى الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتُدْرَسُ مَعَالِمُهُ وَأَخْبَارُهَا لَا
 تُدْرَسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِالْمِصْرِ . وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
 الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُقْضَى مِنْهَا إِلَى الإسْكَنْدَرِيَّةِ . وَهِيَ قَدِيمَةٌ الْعَهْدِ مُعْجِزَةٌ
 الْبِنَاءِ غَرِيبَةٌ الْمَنْظَرِ مَرْبَعَةٌ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ . قَدْ قَامَتْ
 فِي جَوِّ السَّمَاءِ لِاسْمَيَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا . فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
 رُكْنِهِ الثَّلَاثُمِائَةِ خُطْوَةٌ وَسِتُّونَ خُطْوَةٌ مُحَدَّدَةٌ الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
 الْعَيْنِ . وَرُبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
 كَأَنَّهَا وَسْعٌ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّحَابِ . قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
 الْمَنْخُوتَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعَ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُهْجِرُ أَهْلَ الْأَرْضِ
 نَمَضَ بِلَيْبِنَاهَا . أَمَّا الْأَهْرَامَانِ الْعَظِيمَانِ فَهُمَا ذِيانٌ لِلْفُسْطَاطِ . كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مَرْبَعُ الْقَاعِدَةِ . إِرْتِفَاعُ عَمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةِ
 ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتِ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطُوحٌ
 مَرْبَعٌ رَحْبٌ . وَهَمَّا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِتْقَانِ

الْبَسَاتِينِ وَقَدْ أَتَقَنَهُ إِلَى الْعَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي
 وَسْطِ الْجَبْرِ قَبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنُفُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَبَّ الْمَاءُ عَلَى
 رَأْسِ الْقَبَّةِ تَبْدِيرِ أَحْكَمِهِ الْمُهَنْدِسُونَ . فَسَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقَبَّةِ
 عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قَبَّةُ الزُّجَاجِ فِي
 غَلَالَةِ مِمَّا سَكَبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتُرُ مِنَ الْجَرِيِّ وَتَوَقَّدُ فِيهَا الشُّعُوعُ
 فَيَرَى لِذَلِكَ مَنظَرَ بَدِيعٍ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (المقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَتَقَدُّ شَاهَدَتُ
 مِنْهَا بِلَدِّ الشَّهْدِ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ
 السَّوَادُ . فَمَا رَأَاهُ رَأَى إِلَّا مَلَأَ عَيْنُهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصَفَهُ وَاصْفُ الْأَعْمَ
 أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَثَارِ مَا لَا يَضِيغُهَا الْعِيَانُ فَضْلًا
 عَنِ الْأَخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْأَهْرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمَ الدَّهْرُ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ .
 قَدْ اخْتِصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بَعْظَمَ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْفَنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِفَاعِ
 عَايَةَ لَا يَبَاغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَحْلِيْقِهِ . وَلَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى
 تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أَضْرَمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمُتَمَلِّمُ نُجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ
 قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمِثْيَاسِ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ
 قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُوتَةَ وَمُعْظَمُ أَتْيَاهِ
 أُعْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ الْكُتُوبِ . وَالْمِثْيَاسُ عَمُودُ رُخَامٍ سَمِّيَ فِي مَوْضِعٍ
 يُنْحَصِرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ أَتْيَاهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

لَا تَهْدِي الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِصْءَاءِ التَّعْيِيرِ عَنْهَا (الْكُفَى مَثَلًا). وَكَانَتْ
تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةٌ يَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا بَصْنَعَةٍ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمٌ الصُّورَةِ بَدِيعِ الصَّنْعَةِ شَدِيدِ الرَّوْعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبَهِى
مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَابِ الدَّهْرِ. مَطْبِيُّ بَدَهَبٍ إِبْرِيْزٍ وَعَيْنَاهُ
جَوْهَرٌ تَانٍ لَهَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَمِجُّ الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَبْهَرُ
الْمُنَظِّرُ بِحُسْنِهِ وَرَوْعَةِ مَنَظَرِهِ وَتَحَاجَّةِ صَبِّهِ. فَتَسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ حِنَانُ هَذَا
الْقَصْرِ عَلَى سَعْتِهَا وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
وَتَمَثَّلَانِ مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَابِ الدَّهْرِ لِفَخَامَةِ بُنْيَانِهَا. وَمَا
يُخْصُ سَائِرَ الْبَنَائِيَّاتِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
الْمُجَرَّعَ مِنْ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةٍ
وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ الْيَسِيمَةَ الَّتِي أَنْحَفَ النَّاصِرُ
بِهَا إِلَى مَلِكِ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صِهْرٌ يَجُ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّبْيَقِ.
وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَّةُ أَبْوَابٍ قَدْ انْعَقَدَتْ عَلَى حَنَائِيَا
مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرْصَعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَفِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شُعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحَيْطَانِهِ فَيَصِيرُ
مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنْ الْمُرْمَرِ وَالْعَمِدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا الْمِيَاهُ وَأَحْدَقَ بِهَا

أَلْبَابُ السَّابِعِ عَشَرَ فِي النُّوَادِرِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ أُخْلِفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَلِيفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْمِيدِ الْأَثَارِ الدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَبْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ السَّابِعَ ذَكَرَهُ
الْمُنْتَشِرُ صِينَهُ . وَاسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَمْجِيعِهَا وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا وَأَخْرَفَهُ
مَصَانِعُهَا . فَأَسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بَرَعَاءَ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قَطْرِ
فَوَفَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَعْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَزْهَرَاتِ
وَإِنشَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرِيقِ
الْبَلَدِ عَلَى صِفَةِ نَهْرِ قَرْطَبَةَ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ أَقْتَدَارٍ مُعْجِزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَّاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةِ . وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْحَلِّ الْخُتْلَفَةِ إِلَّا وَكَلَّمَهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلَهُ شَيْهًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَتَوَلَّمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السُّطْحُ الْمُرْدُ الْمَشْرِفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِيِ بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ وَالْقَبَّةِ . وَعَجِيبٌ مَا تَصَمَّنَهُ مِنْ إِتْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَمَّةِ وَحَسَنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَرِعَاةِ الْمَلْبَسِ وَالْحَلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرَّصِ مَسْنُونٍ وَذَهَبِ مَصُونٍ وَعَمَدٍ كَانَمَا أُفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ . وَمَتَّائِلِ

فَقَالَ : اُسْتَحْتَهُ بِحُضُورِهِ اِلَيْنَا مِنْ اَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ الْوَزِيرُ : اَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ اِلَّا اَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِمَانَتِكَ وَرَكْبَتُهُ فِي كَيْدِ قَوْسِكَ
وَاَوْمَاتَ بِهِ اِلَى الْاَعْرَابِي . فَاِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَاِلَّا
فَاَسْتَعِظْ مَا لَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كِفَايَةٌ . فَاَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكْبَةً فِي كَيْدِ قَوْسِهِ وَاَوْمًا بِهِ اِلَى الْاَعْرَابِي وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي
بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَاَنْشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسِكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْعِزِّ فَاَرَمَ بِهِ قَهْرِي
قَالَ فَصَحَّحَ الْفَضْلُ وَاَنْشَأَ يَقُولُ :

اِذَا مَلَكَتْ كَيْفِي مَنَا اَلًا وَاَلَمَ اَنْبِلُ فَاَلَا اَنْبَسَطَتْ كَيْفِي وَلَا اَنْهَضَتْ رِجْلِي
عَلَى اَلَلِهِ اِخْلَانِ الَّذِي قَدْ بَدَأْتَهُ فَاَلَا مَبْقَى لِي بَخْلِي وَلَا اَمْتَلَفِي بَدْلِي
اَرُونِي بِمَخِي اَلًا نَالَ مَجْدًا بِبَخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيْمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَدْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوْزِيْرِهِ . اَعْطِ الْاَعْرَابِي مِائَةَ اَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ اَلْفِ دِرْهَمٍ لِي كَيْفِيْمَا شَرَّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ . فَاَخَذَ الْاَعْرَابِي
اَلْمَالَ وَاَنْصَرَفَ . وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِمَّ بَكَوْكَ يَا اَعْرَابِي .
اَلَسْتَ اَلَّا اَلْمَالَ الَّذِي اَعْطَيْتَاكَ . قَالَ : لَا وَاَلَكَيْنِي اَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا قَلْبُ
اَلْتَرَابِ وَتُوَارِيهِ اَلْاَرْضُ . وَتَدَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالَ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَاَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدْ حُرَّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

ثُمَّ اَنْصَرَفَ الْاَعْرَابِي مُسْرُوْرًا (اعلام الناس للاتليدي)

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَهُمْ نَحْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ . أَنْشَدْنَاغِيرَ
 الْأِسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَامْتَحَنِي
 بَعْدَ هَذَا لِأَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَمِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لِأَجْمَعَنَّ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِّ الْفَضْلِ .
 وَلَا زُجَعَنَّ إِلَى قُضَاعَةَ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي . فَتَكَّسَ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَمَعْنِي الْآيَاتُ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :
 وَلَا نَمَّةَ لَامَتِكَ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقَلْتُ لَهَا هَلْ يَبْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَجْرِ
 أَتَهْنِئُ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِأُورِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
 كَانَ نَوَالِ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمَزْنِ فِي مَهْمِهِ فَقَرِ
 كَانَ وَفُودَ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لِأَقْوَا عِنْدَهُ أَيْلَةَ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهْوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
 فَأَقْلَبْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَنْ تُكْرِمَ حَاجَتَكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أُرَدِّدْتِ بِنَاوِ بِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطَى عَشْرَةَ آلَافِ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٍ بِدَفْعِ الْمَالِ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا تُبَيْكَ جَافٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتٍ اسْتَرْقَهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَتَجَزَّيْهِ بِهَذَا الْمَالِ .

رَمَقَتِكَ الْأُدْبَاءُ بِالْأَبْصَارِ وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تُنَاصِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذْنُ أَقُولُ :

مَلَّتْ جِهَابُذُ فَضْلِ وَزَنَ نَائِلُهُ وَمَلَّ كِتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهِ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرَمَةٍ خَلَقْتُ وَلَمْ يَرْتَفِعْ مَجْدٌ وَلَا حَسَبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَا نِ الْبَيْتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ : إِذْنُ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِ أَخَا الْعَلَاءِ لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدُّوَالِكُ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ لِأَصْبَحَ مِنْ جَدُّوَالِكُ قَدْ نَفَدَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَا نِ
الْبَيْتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْنَانِ حَبٌّ وَبَاذِلٌ وَإِنِّي لَذَاكَ الصَّبُّ وَالْبَاذِلُ الْفَضْلُ
عَلَى أَنَّ لِي مِثْلًا إِذَا ذَكَرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَنَشِدْنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكَى الْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَمَاحَةَ خَالِدٍ فَهَمَّتْ بِهِ التَّقْوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكْ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ صَحِرْنَا مِنْ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَنَشِدْنِي بَيْتَيْنِ عَلَى الْكُنْيَةِ لِأَعْلَى الْأَسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذْنُ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدُّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَّا الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْأَدَبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكِتَابَ وَالْمَنَاطِرُ وَنَ لَعَلِّمْ .
 أَعْلَمُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدَّتْ عَلَى الْفَضْلِ
 بَكْتَابٍ وَسِيْلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ عَرَّفْتُكَ نَفْسَكَ . مِثْلَكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَّفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . يَا بِي ذَرِيعَةَ
 أَوْ وَسِيْلَةَ تَتَمَدُّمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهِ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمَعْرُوفِ . وَكَرَّمِهِ الْمَوْصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قُتِبَتْهُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنْشِدْنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ
 بِهِمَا أَشَرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلِحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ بِهِمَا بَرَرْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَسْتَحِقَّ بِشِعْرِكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَتَفْعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّي أَقُولُ :
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَمْتَصُّهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّ مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلُهَا غَذَتْهُ بِإِسْمِ الْفَضْلِ لِأَعْتَدَا الْعِطْفُلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحْنَا
 بِهِمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَفَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
 بِنَيْهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَنْبَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُمْتَحِنًا . هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذْتَهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَنْشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ ومما جاء من أخبار البرامكة ما رواه الأصبغي قال خرج الفضل للصيد
والنص. وبينما هو في موكبهِ إذ رأى أعرابياً على ناقه قد أقبل من صدر
البرية يركض في سيره. قال: هذا يتصدني فلا يكلمه أحد غيري.
فلما دنا الأعرابي ورأى المضارب ضرب. وأحليماً تنصب. والعسكر
الكثير، والجهم الغفير. وسمع الغوناء والصحبة ظن أنه أمير المؤمنين. فنزل
وعقل راحلته وتقدم إليه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة
الله وبركاته. قال: أخضض عليك ما تقول. فقال: السلام عليك
أيها الأمير. قال: الآن قاربت أجلس فجلس الأعرابي. فقال له
الفضل: من أين أقبلت يا أبا العرب. قال: من فضاء. قال: من
أدناها أو من أقصاها. قال: من أقصاها. فقال يا أبا العرب: مثلك
من يتصد من ثمانمائة فرسخ إلى العراق لأي شيء. قال: قصدت
هؤلاء الأماجد الأتجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد. قال:
من هم. قال: البرامكة. قال الفضل: يا أبا العرب إن البرامكة
خلق كثير. وفيهم جليل وخطير. ولكل منهم خاصة وعمامة. فهل
أفرزت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيتك لاجتاك. قال:
أجل أطولهم باعاً وأسمهم كئناً. قال: من هو. قال: الفضل
ابن يحيى بن خالد. فقال له الفضل: يا أبا العرب إن الفضل
جليل التدر عظيم الخطر. إذا جلس للناس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسه

وَذَا مِنَ الْجَبْرِ بَحْرُ الصِّينِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنَ الْبَرِّ بِرِ الْمَدْعُوِّ بَيْرُورِ
 فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْأَسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمٍ فَقُلْ تَوَرَّمٌ مِنْ لَسَعِ الزَّنَابِيرِ
 إِنْ أَشْعَرَ فَقُلْ بَرْدُ عَرَاهُ وَإِنْ يُحِمُّ قُلْ حَرُّهُ وَهَجُّ التَّنَابِيرِ
 وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءٍ دُونَهُ الْبُورِي
 فَإِنْ يَعِشْ قُلْ دَوَاءِي كَانَ مُنْعِشَهُ وَإِنْ يُمِتْ قُلْ آتَاهُ حُكْمٌ مَقْدُورِ
 فَإِنْ أَصَبْتَ فَقُلْ عَلِمِي وَمَعْرِفِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ صِدْقُ الْمُقَادِيرِ
 وَإِنْ رَأَيْتَ فِقِيهَا فِرٌّ مِنْهُ وَلَا تَطُوقِ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلِ وَتَكْفِيرِ
 وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَلِكَ إِلَى ذَوْقِ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرِ
 فَاتَّفَقَ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةَ الْأَنَامِ . رَأَى فِي الْمَنَامِ . شَيْئًا هَالَهُ . وَغَيْرِ
 حَالَهُ . فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ . وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ . فَسَمِعَ بِهَذَا الْمُعْبِرِ
 الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أُسْتَاذٌ مُفِيدٌ . فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
 أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَآخِرَ . أَعْطَنِي دِينَارًا
 آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ .
 فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا فُؤَادِهِ مِنْ أَلْمٍ .
 أَوْرَثَهُ الْوُجَعُ وَالضَّرَمُ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَيْضِ . صَمِّدْ رِجْلَكَ بِعَجَّةٍ بَيْضِ .
 مُضَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلِيَكُنْ ذَلِكَ مُسَخَّنًا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
 وَفَارَ كَالنَّارِ شَوْاطِطًا وَلَهَبًا . وَعَرَفُ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ عَافِلٌ .
 فَادَّبَهُ التَّأْدِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَةِ السَّالِعِ . وَاسْتَمَرَ
 عَلَى كَلَاحَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فِالَاحَتِهِ (فَاكِهِةُ الْخُلَفَاءِ لِابْنِ عَرَبِشَاهِ)

وَأَضَعَفَ هَمِي . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا دَاءٌ هَيِّنٌ .
وَعَلَّاجَةٌ بَيْنٌ . أَعْطَانِي دِينَارًا أَصْفَ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهَى
وَأَسْتَوْصَفَهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ ضَمِدْهُ بِجَعَةِ بَيْضِ كَثِيرَةٍ الْأَبْرَارِ . وَضَعْ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسَخَّنًا عَلَى النَّارِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ فَبَرَّتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِالْكُلِّيَةِ أَلْمَهُ .
فَفَكَّرَ الْفَلَّاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلِهِ الْمُصِيبِ . فَرَأَى الرَّاحَةَ . فِي
تَرْكِ الْفَلَّاحَةِ . وَالْإِسْتِعَالَ بِعِلْمِ الطَّبِّ فَإِنَّهُ أَمْرٌ هَيِّنٌ يُسِيرٌ . وَيَأْتِي
أَصْرُ حَقِيرٍ . يُحْصَلُ الْمَالُ الْكَثِيرُ . فَبَاعَ الْآتِ الزَّرَاعَةَ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاتِرَ . وَكَرَّارِيسَ خُرْمَةً
مَنَاثِرَ . وَوَسَّعَ كَعَمَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعَمَامَةٍ . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأُورَاقًا وَبَسَطَ بَسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى إِسَانِ مُخْبِرٍ : أَنَّ
الْمَكَانَ الْفَلَائِي فِيهِ طَيِّبٌ مُعْبَرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِدَتُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ .
وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانُ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرٌ بَيْنَ الْأَنْامِ بِهِ طَيْرُ الزَّنَابِيرِ
وَأَجْمَعُ لِذَلِكَ كَرَّارِيسًا مُنْتَرَةً وَجُمْلَةً مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
وَضَعُ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ كَقَبَةِ النَّسْرِ فِي وَزَنِ الْقِنَاطِيرِ
وَأَجْمَعُ مَعَاجِينَ مِنْ رَبِّ تَخْلَطُهَا وَأَسْحَقُ سَفُوفًا وَانْجَمَالَ الْعَوَاوِيرِ
وَسَمَّ مَا شِئْتَ مِنْ أَسْمَاءِ مُعَرَّبَةٍ كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخَنْفُورِ
وَقُلْ مِنْ الْهِنْدِ جَاهِدًا وَمِنْ عَدَنِ هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكِ تَقْمُورِ

كُونَ اللَّهُ حَدَبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ النَّضْلِ لَا مِنْ الْإِضْطَالِ
فَأَتَتْ رَبُّوَةً عَلَى طَوْدٍ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً بِبَجْرِ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءَ إِلَّا تَمَّتْ أَنَّهَا حَلِيَّةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبٍ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ الْفَتَّانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْخُدْبَانِ
يَا مُشْبِهَ الْغُضَنِ الرَّطِيبِ إِذَا أَتَيْتَنِي مِنْ حَدَبَةٍ فَيَمِيسُ كَالرِّيَّانِ
يَا مُعْجَلًا شَكَلَ الزَّمَانَ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُقْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْخُسُودُ جَهَالَةً إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةَ بِيَدِيَّانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحُرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يَرَى ذُو حَدَبَةٍ فِي حَابَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا أَشْتَقْنَا قِبَابَ الْمُخْنَى مِنْ حَاجِرٍ وَالْتَلَّى مِنْ عَسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبٌ وَهُوَ يَأْبِي مَطْرِبًا وَلَقَدْ تَمَعْتَ بِنِعْمَةِ الْعِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَجْرِ لَوْلَا حَدَبَةٌ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقْوِ لَطُوفَانِ
وَمُدِيرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عَامِهِ وَالْقَسَطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا انْكَتَسَى الْإِنْسَانُ قِيلَ تَمَثَّلًا بِالْمَدْحِ قَامَتْ حَدَبَةٌ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْخُدْبَانِ كُلِّ مُكَرَّبِ يَمِشِي الْهُوَيْنَا مِشِيَةَ السَّرَطَانِ
مُتَّجِعِ الْكُتْفَيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْخُصُوفِ الْاضْمَعَانِ
الطيب والحليمة

٣١٧ يُحْكَى أَنَّ فَلَاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضِ آئِلِهِ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْأَلَامَ وَقَالَ: أَلَمِي فِي رِجْلِي ضَاعَفَ هَي

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ

فِي الْفَكَاهَاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْخَازِنِ الْكَاتِبُ الدِّيَنْوَرِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَالْمَه :

رَحِمَ إِلَاهُ مُجَدِّلِينَ سَلِيمَهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مَبْضَعٌ مَبْضَعٌ
فَعَصَابٌ تَأْتِيهِمْ بِعَصَابٍ نَشَرَتْ فَتَطْوِي أذْرَعًا فِي الْأَذْرَعِ
أَفْصَدْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَدْتَهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشُّرَعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةٌ أَسْهَمُ أَمْ ذُو الْقَقَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَتْرَعِ
غَرًّا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَا غَنَّتَرَ الْعَبْسِيُّ غَيْرَ مَدْرَعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِ لَهُ يُطَابُ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بَرَاغِيثًا بُلَيْتُ بِهَا سُودًا إِذَا أَنْتَبَهُوا فِي اللَّيْلِ لَمْ أَنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدُعُنِي فَيَنْقِضِي اللَّيْلَ فِي صَيْدِي وَلَدَغِيهِمْ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يُنْقِذُنِي سِوَى ابْنَةِ الْكُرْمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَالْكَرْمِ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعَنْقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِنِّي أَنَامُ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكَ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَحَدَبِ :

لَا تَظَنَّ حِدْبَةَ الظُّهْرِ عَيْبًا فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ الْقِسِيِّ مُخْدُودَاتُ وَهِيَ أَنْكِي مِنَ الطَّبَا وَالْعَوَايِ
وَإِذَا مَا عَلَا السَّنَامُ فِقِيهِهِ لِقُرُومِ الْجَمَالِ أَيُّ جَمَالِ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ حَيْدِي بِحَيَاةِ عُدْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أُجْرِعْكَ مَرَارَةً أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظْنَهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدُ
 دَوَاتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
 الْعَفْوَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَائِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحَجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَّتِي .
 فَأَصْرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ الْجَمِيعِ . فَدَعَا جَارِيَّتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
 فَقَالَ مَا : مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا فَعَلْتِ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرَّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَصْرَ بَصْرَهَا
 مِائَةَ سَوَاطِئَ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحَجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرَّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحِجَامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمْرَ فَادْخُلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْلُحُ لِلْمِهْمَاتِ . ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى الْحَجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مَرْوَةٍ تَكِ مَا يُوْجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حَدِيثَةُ الْإِفْرَاحِ لِلْيَمِينِ)

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُنْعَةَ عَن رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّاهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَقَوَّدَ مَعَهُ بِعِذْرَةٍ
 وَعَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِهِ وَلِكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا فِي صُلبِ آدَمَ الْإِمَامِ السَّابِعِ
 مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَطَّلَتْ كَأَلْهَمٍ بِقَلْبِ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَن مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَجِمَتْ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَنِينِ وَالِدَةٍ بِقَلْبِ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتُ
 عَلَيْكَ مَالِكَ وَضِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَصَبَّتِ الْأَرْضَ وَأَنْشَدَتْ:

رَدَدْتَ مَالِي وَلَمْ تَجْزِلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَّقْتَ دَمِي
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعْمًا هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمِ
 فَلَوْ بَدَلْتَ دَمِي أَبْغِي رِضَاكَ بِهِ وَأُمُالَ حَتَّى أَسْأَلَ النُّعْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَلِكَ سِوَى عَارِيَّةٍ رَجَعَتْ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُبْرِهَا كُنْتَ لَمْ تَلَمْ
 فَإِنْ حَمَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ إِنِّي إِلَى اللُّؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
 فَقَالَ الْمَأْمُونُ: إِنَّ مِنَ الْكَلَامِ لِدُرًّا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَافَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِكِنِّكَ فَعَلَتْ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

عَيَانًا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمَأْمُونِ . فَعَقَدَ مَجَاسًا عَامًا
وَأَدَخَانِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَّاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَليَّ النَّارِ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَمَثَّلَ فَبِعَدْلِكَ وَإِنْ تَعَفُّ فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أُنشِدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَأُضْفِعْ بِجَاهِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنْ الْكِرَامِ فَكُنْتُ

قَالَ : فَرَفَعَ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :

أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ وَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَفَعَ لِي الْمَأْمُونُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَأَسْتَرَوْحَتْ رَوَاحِجُ

الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الْعَبَّاسُ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعَ مَنْ

حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَسَارٍ بِيَمِينِي

إِلَّا أَنَّهُمْ اُخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ

يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ قِتْلَتَهُ قَهْدٌ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قَتَلَ

مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ تُجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَنَكَّسَ الْمَأْمُونُ

رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنشِدَ :

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
 وَامْرَأَةً وَاعْتَفَةَ فِي الدَّهْلِيِّزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحْتَمِنِي دَمِي
 فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطَعَنِي إِلَى
 غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدَى رَوْعَكَ
 فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَيِنَّمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَقًا
 عَنيفًا . فَخَرَجْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي الَّذِي دَفَعْتَهُ عَلَى الْجِسْرِ
 وَهُوَ شَدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يُسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَنَاسٌ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
 لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَمَالَ : إِنِّي ظَفَرْتُ بِالْغَنِيِّ وَأَنْفَلْتَ مِنِّي .
 وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عُصَابًا وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
 لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّمَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَضْنُكَ أَنْتَ صَاحِبَ
 الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
 جَدَّدَتْ لِي الْكِرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
 عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَمْتُ زَوْجَهَا) لِيَلَّا يَطَّلِعَ عَلَيْكَ فَيَنِمَّ بِكَ .
 فَأَلَّوْهُ بِكَ أَنْ تَنجُوَ بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا أُمُومَةً إِلَى اللَّيْلِ .
 فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَبِستُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
 مِنْ عِنْدِهَا وَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةِ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَكَتُ وَتَوَجَّعَتْ
 وَحَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجْتُ وَهِيَ تُوَهِّبُنِي أَنَّهُا تَرِيدُ السُّوقَ
 الْأَهْتَمَامَ بِالضِّيَافَةِ وَظَنَّتْ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ
 قَدْ أَقْبَلَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَسَأَلْتَنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَاشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرْبُ وَنَمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْعِشَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحَجَّامِ وَحُسْنِ آدَابِهِ . فَكُنْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خُرَيْطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَانَايِرٌ لَهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَلكَ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنْ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدَرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَأَخْذُ عَلَيَّ
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ . فُرُبَاكَ وَحُلُوكَ فِي مَنْزِلِي غَنَى . وَاللَّهِ لَبِنٌ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا قَتَانَ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخُرَيْطَةَ إِلَى كُمِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمَاهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَنْتَهَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَانَ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْوِنَتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرِّطٍ أَنْ تُنْفِقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخُرَيْطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرِّطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الدَّعِيشِ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخُرَيْطَةِ شَيْئًا .
 فَتَدَمَّتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْسَمْتُ مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَبَّيْتُ
 بِزِيِّ النِّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَوَدَّعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرشُوشٍ فَنظَرَنِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمَأْمُونِ . ثُمَّ تَعَاقَبَنِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَا فِي ذَلِكَ الْمَزَلِقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَأَجْتَهَدْتُ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَلَاكَ عُلُوُّ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَحْسِنُ
 الْفَنَاءَ . فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُخْفِيَ أَلْسَتَ أَنْتَ
 سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ خَلِيفَتَنَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمَأْمُونُ لِمَنْ
 دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا تَبِعْتَ ذَلِكَ عَظَمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
 وَثَبَتَ مُرُوءُهُ عِنْدِي . فَتَتَأَوَّلُ الْعُودَ وَأَصْلَحَتْهُ وَقَدَّ مَرَّ بِخَاطِرِي
 فِرَاقَ أَهْلِي وَوَلَدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسِفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
 أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعُ تَمَلْنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيرُ
 فَاسْتَوَى عَلَيْهِ الطَّرْبُ الْمُرْطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
 وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُغْنِي مَا سَخَّ بِخَاطِرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
 أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ آدَبِكَ وَمُرُوءَتِكَ . فَأَخَذَ
 الْعُودَ وَالنَّشْدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
 وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عِيُونَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمَ أَعْيُنَا
 فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْقَوْنَ مِثْلَنَا نَلْقَى لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ أَخَانِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
 كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْهَلَعِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْأَحْسَانِ
 وَأَذْهَبَتْ عَنِّي أَلَمُ الْأَحْزَانِ . فَرَزْدَنِي مِنْ هَذِهِ التَّرْهُهَاتِ فَأَنْشُدَ لِلشُّعْرَاءِ :
 تَعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَمُنَا لَهَا إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلُ

فِيهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوَسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَغْلَقَ عَلَيَّ
 الْبَابَ وَمَضَى . فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَعَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَعَ
 بِالرُّبْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَيَّ فَبَقِيتُ أَتَقَلَّى عَلَى جَهْرٍ الْغَضَا . فَبَيْنَمَا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَالٌ حَامِلٌ كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْزٍ
 وَلَحْمٍ وَقَدْرًا جَدِيدَةً وَحَجْرَةً نَظِيفَةً وَكَبِيرَانَا جُدْدًا فَحَطَّهَا عَنْ الْحَمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَلَّاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَتَّعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قَدْرًا لَمْ أَذْرِ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ الذَّمَّنِيهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرَبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي أَلَمَ وَيُدْفَعُ أَلَمَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَانَسَتِكَ . فَمَضَى وَجَاءَ نِي بِقَدَحٍ وَبَدَسْتُ مَلَانَ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوِّقْ لِنَفْسِكَ مَخَافَةَ أَنْ تَتَهَرَّزَ مِنِّي . فَنَظَرْتُ فِي الدُّسْتِ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَّقْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهِةٍ وَأَبْقَالَ
 مُخْتَلَفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةِ
 أَمَامِكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرَبَهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفْعَلْ
 فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَةٍ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْغِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِبِلَادِكَ وَنَشْرَطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا
تُحَدِّثَ مِنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
فَجَعَلَهُ مِنْ سَازِرِهِ وَخَوَّاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلَيْتْ أَنْ وُلَّاهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ
أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكَمِي الْوَأَقِيدِي قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِي أَخَا هَارُونَ
الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ
يَبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَا كَلَّمَا
سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَأَثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ
الْإِنْقِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامَ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَيْسَ مِنْ
عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بَخِيلَهُ وَرَجَلَهُ وَذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَأَفْتَحَهَا
وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِطْتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ
دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أُوَجِّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ
جَعَلَ لِمَنْ آتَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَارًّا فِي الطَّرِيقِ
إِذَا أَنَا بِرُقَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِدٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثْرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ
نَافِدٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَالِمًا
عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أُقِيمُ بِهِ
سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَتَحَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ نَظِيفٍ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُعْجِبُهُ . قَالَ الرَّاوي : فَعَجِبَ
 الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَمَلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جِجْدَرُ إِنِّي قَادِفٌ بِكَ فِي
 حَفَايِرِ بِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَكَ كَفَانَا مَوْتِكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَمَوْنَا
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قَرُبَ الْقُرْبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
 بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِوَالِدِهِ أَنْ يَرْتَادِلَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَجْمَلَهُ
 إِلَيْهِ . فَأَرْتَادِلَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهًا أُنْظِرْ كَثِيرًا خَبِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
 الْمَوَاشِي . وَأَمَرَ بِأَنْ يَصِيرَ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَيُسْحَبَ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ .
 فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَفَايِرِ وَلَمْ يُطْعَمْ
 شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَأُسْتَكَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجِجْدَرٍ أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ
 فَأَعطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقِيدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
 يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجِجْدَرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جِجْدَرٍ
 نَهَضَ وَوَتَبَ وَتَمَطَّى وَزَارَ زَبِيرًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَأَرْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
 الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جِجْدَرٌ رَهُوً يَقُولُ :

أَيْتُ وَوَيْتُ فِي مَجَالِ صَنْكِ كِلَاهِمَا ذَوْ قُوَّةٍ وَسَمَكِ
 وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتَكِ إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
 فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمَلِكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسِنْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَأَعْجَبَ
 الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ نَزْرُكُ مَا أُنْجِدُكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَفَايِرِ وَفَكَتَ
 وَتَابَهُ وَفَقِيدَهُ . وَقَالَ لَهُ : أَخْتَرِ إِمَامًا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَتُقَرَّبَ

وَأَشْنَى عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَنَاءً وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْبَيْتِ :

مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَائِزُهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ أُمِّ دِيَةَ
أَبِيهِمَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ ابْتِغَاءً لَوَجْهِ اللَّهِ . وَمَنْ
نَيْتُهُ كَذَا . لَا يُتَّبَعُ إِحْسَانُهُ مَتَى وَلَا أَدَى . قَالَ الرَّاوي : فَأَعْتَدْتُهَا
مِنْ أَنْفَسِ الْعَجَائِبِ . وَأَثْبَتَهَا فِي دِيْوَانِ الْفَرَائِبِ (اللاتليدي)

جمندر والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ جَمْدَرَ بْنَ رَبِيعَةَ كَانَ بَطَلًا شَجَاعًا فَاتَّبَعَهُ شَاعِرًا بَلِيغًا .
فَعَزَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
عَامِلِهِ يُوجِّهُهُ بِتَغْلِبِ جَمْدَرَ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ
أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فَيْمَةَ بْنَ بِنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَعَائِلَ
الْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا جَمْدَرَ أَوْ تَوَاتُوا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفَيْمِيُّ إِلَى طَابَهٍ
فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثِقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيَمَّا هُوَ
مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
جَمْدَرُ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّكَ عَلَيَّ مَا بَلَغَنِي
عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَابُ الزَّمَانِ . وَجَفْوَةُ السُّلْطَانِ .
وَجَرَاءَةُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ ابْتَلَانِي الْأَمِيرُ

الْمَشِيحُ . فَعَرَضَ كِبَارَ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابِّينَ أَخَذَ الدِّيَةَ . وَاعْتَمَامَ
 الْأَثْنِيَّةِ . فَأَصْرَعَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَبْيَأَ إِلَّا الْأَخَذَ بِثَارِ الْمُقْتُولِ . فَيَدْنِي
 النَّاسُ يُوجُونَ تَلَهُمَا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْعُلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَيْمَ سَلَامٍ . وَوَجْهَهُ يَتَهَلَّلُ
 مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّمُ عَرَفًا . وَقَالَ : قَدْ أَسَلَمْتُ الصَّيِّ إِلَى أَحْوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
 خَفِيَّ أَحْوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَقْتَحَمْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ الْحَرِّ الْأَعْرَبِ . فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَأَجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ عَدَرَ . لَمْ يَعْفُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُبْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنَ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ضَمِنْتُ هَذَا الْعُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مِنْ حَضَرَ فَقَصَدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمِنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمُرُوءَةُ أَنْ تُخَيَّبَ قَصْدُهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْقَضَلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْعُلَامِ دَمَ آيِنَا . فَلْتَبْدَلْ وَحْشَتَهُ بِإِيْنِاسٍ .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْفَوْ
 عَنِ الْعُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَعَزَّرَ مُرُوءَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ حُلَسَائِهِ . وَاسْتَحْسِنَ اعْتِمَادَ الشَّابِّينَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

عَلِيٍّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْفَظْهُ جِهْدَكَ . فَأَتَّخَذَتْ لَذَلِكَ
 مَدِينًا . وَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
 بِمَتَلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكَذَلِكَ أَنْتَ السَّبَبُ . وَطَالَ بِكَ الصَّغِيرُ بِجَمَّةٍ .
 يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مَنْ
 يَتَوَلَّى أَمْرَ الْغُلَامِ . وَعُدْتُ وَأَنْمِيًا بِالذِّمَامِ . وَبِي مَنْ يَضْمَنُنِي عَلَى هَذَا
 الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عَمْرٌ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
 مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ عَلِيٍّ خَمَانِهِ . وَالْعُودُ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى
 وَجْهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
 وَقَالَ : هَذَا يَكْفُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمَنُنِي . فَقَالَ عَمْرٌ : أَتَضْمَنُهُ يَا أَبَا
 ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمَنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِيَ
 الشَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ
 الْإِمَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ الشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عَمْرٍ .
 وَالصَّحَابَةَ حَوْلَهُ كَالنَّجْمِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْحَضَمُ
 يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْعَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مَنْ قَدَفَرَ . فَلَا
 نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقَّ الْمَلِكِ
 الْغُلَامِ . إِنْ انْقَضَى قَامَ الْآيَامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْغُلَامُ . وَفِيَتْ بِالضَّمَانِ .
 وَأَسْلَمَتْ نَفْسِي وَبِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عَمْرٌ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْغُلَامُ .
 لَأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْبَضْتَهُ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ . فَهَمَلَتْ عِبْرَاتُ
 الْحَاضِرِينَ . وَارْفُضَتْ زَفَرَاتُ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّحِيحُ . وَتَرَايَدَ

قَصَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إِعْلَمْ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَفْضَتُ بِي
 بَعْضُ طَرِيقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . بِنَيْاقِ إِيَّ حَبِيبَاتِي . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتِي . بَيْنَهُنَّ فُحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلُ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَلِيحُ الشُّكْلِ .
 حَسَنُ النَّجَاحِ . يَمِشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ رَجْحٌ . فَدَانَتْ التُّوقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنْ الْحَائِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلَتْهَا بِمِشْرِهَا . فَطَرَدَتْهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَائِطَ وَزَفَرَ . فِي يَدِهِ
 الْيُمْنَى حَجْرٌ . يَتِمَادَى كَأَلَيْتِ إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ الْفُحْلَ بِذَلِكَ الْحَجْرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفُحْلَ سَطَطَ لِحْيَتَهُ وَأَنْقَابَ .
 تَوَقَّدَتْ فِي جَهْرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلَتْ ذَلِكَ الْحَجْرَ بَعِيْنَهُ فَضَرَبَتْهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْزِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَالْمَرْءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرَخَةً أَلِيمَةً . فَأَسْرَعَتْ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابِّينِ فَأَسْرَعْتُ أَنِي .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجَبَ الْقِصَاصُ . وَوَلَاتَ حِينَ مَنَاصُ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعْنَا وَطَوْعًا لِمَا حَكَّمَ الْإِمَامُ . وَرَضِينَا بِمَا اقْتَضَتْهُ شَرِيْعَةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبُو خَبِيرٍ . خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَزِيلٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَأَمَ أَمْرَهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ لِلَّهِ

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء .

٣١٠ حكي أنه بينما كان عمر بن الخطاب جالساً في بعض الأيام
وعنده أكابر الصحابة . وأهل الرأي والإهابة . وهو في القضاء .
يخكم بين الرعايا . إذ أقبل شاب من أحسن الشباب . نظيف
الأثواب . يكتفه شابان من أحسن الشباب أيضاً . وقد جذباه
وتحمباه . وأوقفاه بين يدي أمير المؤمنين وآباده . فلما وقفوا بين
يديه . نظر إليهما وإليه . فقال : يا أمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان .
جديران بالتابع الحق حقيقان . كان لنا أب شيخ كبير . حسن
التدبير . معظم في قبايله . نزده عن رذائله . معروف بفضائله .
رباناً صغاراً . وأولادنا من أغزارة . كما قيل في المني :

لنا والد لو كان للناس مثله أب آخر أغنهم بالمناقب

فخرج اليوم إلى حديقة له يتنزه في أشجارها . ويقتطف يانع
أثمارها . ففتاه هذا الشاب . وعدل عن طريق الصواب . فساءلك
القصاص عما جناه . والحكم فيه بما أمرك الله . قال الراوي : فظن
عمر إلى الشاب . وقال له : قد سمعت فما الجواب . والغلام مع ذلك
ثابت الجنان . خال عن الاستيحاء . قد خلع ثياب الهلع . وزرع
لباس الجزع . فتبسم عن مثل الجمان . وتكلم بأفصح إسان . وحيأ
بكلمات حسان . ثم قال : يا أمير المؤمنين والله لقد وعيا . في ما ادعيا .
وصدقا . في ما نطقا . وأخبراً بما جرى . وعبراً عما طرا . وسأني

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والفيل

٣٠٩ قَالَ الْقُرُوبِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قَدَامَ الْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سَيْفًا هَذَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرْفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيَالَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثَبَةً أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْفِيلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْبِيَاهِهِ. فَجَالَ بِهِ الْفِيَالُ جَوْلَةً كَادَ يَحْطُمُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَابِطَ الْجَأَشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَابِيهِ وَأَصْلَهُمَا مَجُوفٌ فَأَنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَدْبَرَ الْفِيلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدِ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنَمِ الْمُسْلِمِينَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ: مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَعَاوُ خُرْطُومَهُ بِجَسَامٍ فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْفِيلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هَذَا فَإِنْ تَكَلَّيْتُ مِنْهُ فَعُدْرُكُ وَاصْخُ لَدَى كُلِّ مَنْخُوبِ الْفَوَادِ عِبَامٌ وَلَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرْقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ فَعَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَازَمْتُ أَيَّ لِزَامٍ وَعَدْتُ نَابِيَهُ وَأَدْبَرَ هَارِبًا

لِلَّهِ أَيَّامٌ تَقَعَتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ تُحَوِّ ظِلَّهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مَشَايِي لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلٌ وَمَحَلُّ النَّبِيِّ لَا الْغَوِيرُ وَلَا النَّقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا الثَّرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ جِهَاهَا مُطْلَمًا
 لَذِيَا فَوَادٍ بِمَا بِهَا مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سَامَكَ أَحْطَبُ الْمَهْوَلِ فَأَقْلَقًا

سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية الغربية ما
 يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة
 ابواب مقوسة لياسة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل
 الى القاهرة بزازة مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز . وقد اتظمت امام بلاط دراج يتخدر
 عليها الى الدهليز وهي كخندق عظيم تتصل الى باب عظيم الارتفاع يتغير الطرف دونه سوا .
 قد حفته اعمدة كلذوع طولاً وكلاضواد ضخامة وبجانبى الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع
 مستديرة فيها حوانيت عطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت لكراء
 مشرفة على الدهليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض
 كبير مستدير من الرخام عليه قبة تعلها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض ابواب صفر
 يزعم الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله انابيب صفر ترمي الماء علواً فتخرج
 منها كفضان البين فكأنها اغصان تلك الدوحة المائية . ومنظرها البديع من ان يوصف . وعن
 عينا الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه تبه غرفة لها حية طاقى كبير مستدير
 فيه طيقان من صفر وقد فتحت ابواباً صاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدابير هندسية .
 فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صحنان من صفر من في بازيين من صفر قائمين على طاستين
 من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان اعناقهم بالبندقيتين الى الطاستين ويقذفهما بسرعة
 بتدبير عجيب تخيله الاوعام سحر . فعند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الاثقاب الى
 داخل الجدار الى العرفة وينغلق باب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي
 الساعات فننغلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالاتها الأولى ونها بالليل تدبير آخر . وذلك ان
 في القوس المعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من الفخاس محرومة في كل دائرة زجاجة
 وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فإذا انقضت عم الزجاجة
 ضوء المصباح وفاض عن الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة محمرة ثم ينقل الى الاخرى حتى تنقضي
 ساعات الليل . وقد وكى بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصحن الى موضعه وهي
 التي تسمى الميقاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (مشريشي)

قَدْ أَثَقَّتْ صُنَاعُهُ بُيَانَهُ فَاتَى الْمُرْخِيفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَتَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقِي
 وَثَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَادِنِ تَجَلِي مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَبَسْنَ أُلْمَقَا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَسَّأَلُوا بِرَتْمٌ يُشْجِي الْفَرَاةَ السَّمَقَا
 وَالْعَشْرَةَ الْأَبْرَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمَشْتَقِ بَابًا مُغَلَقَا
 يَا حَبْدَاكَ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَأُنْجَلِي فَعَدَا بِهِ مَاءُ اللَّسِيمِ مُرْقَرَقَا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَائِحًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجَمُّعًا وَتَفَرَّقَا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عَلِمَقَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَسْتَهِي وَتَلْدُهُ وَبُيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَقَا
 هِيَ شَامَنَا أَعْلَى الْإِلَهُ مَنَارَهَا وَبِهَا آدَامَ اللَّهُ عَيْشًا رَيْقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنَظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلَقَا

وسقف الجامع كله من خرّج الزّاح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتّصاة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقلّ جها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلت رأت مرّى هائلة . ومن اي جهة
 استقبلت الباد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شعاعها الزّاجية المذهبة الملوّنة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القبلي . ويتصل بالابصار منها اشعة ملوّنة هائلة لا تبلغ العبارة تصوّرها . ومحرابه
 من عجب الخراب الاسلامية حسناً وقرابة صنعة يتقد ذهباً كاه . قد قامت في وسطه محراب
 صفراء متصلة بجداره تحفها سوريات مقتولات قتل الاسورة . فانها من روضة بعضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شيء اجمل منها . وله اربعة ابواب وباب جبرون اعظمها وله والمغربي دهاليز
 متسعة بفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كايا مدخل الكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيده ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

كَيْفَ اتَّجَّهْتَ يَخْرُجُ نَحْوَكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُضُ كُلُّ غُصْنٍ زُرْقًا
 يَا حَبْدًا إِشْرَاقُ مَرَجَتِهَا الَّتِي أَضْحَى غَنِيُّ أَلْهَمٍ فِيهَا مُمْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَعَلُّوُا الْجِيَادَ السُّبَّتَا
 صَحَكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى النَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقَا
 قَدْ دَنَدَنْتِ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَلِكَ الْحَمَامُ وَشَقِشَقَا
 وَامْسَالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنْزِلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي التُّشُقِ
 وَبِهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَزْخَرَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلَّتِي بِهَجَّةٍ وَطَلَاوَةٌ فِيهَا السُّرُورُ تَحَقَّقَا
 سَقِيَتْ دِمَشْقُ الشَّامِ صُوبَ غَمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غِيَطَانِهَا فَتَدَفَّقَا
 كَمْ زَهَّةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرَفِ الْهَمُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأَمْوِيُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(*) ذكر ابن جبلة جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً
 واتقان بناءً وغرابةً صنعةً واحتفالاً تسميقاً وتزييناً . اتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في
 التألق فيه . وأوزت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيخفاء . وخلطت بها أنواع من
 الأصبغة الغربية قد مثَّات اشجاراً وفرعت أغصاناً منظومة بالفصوص بديع الصنعة المعجزة وصف
 كل واصف . فجاء يغشي العيون وميضاً وصبغاً . وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف الف دينار
 ومائتي ألف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذراع ثلاثمائة ذراع . وذراع في
 السعة من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ٥٥ سرية و ١٨ رجل و اثنتان مرخمة ملصقة بالحجارة الذي يبي الصحن . وأربع أرجل مرخمة بدع
 ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وشكلاً غريبة
 قائمة في البلاط الأوسط . دور كل رجل منها اثنتان وسبعون شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث بدع سبعة عشر خُصاً . عدد قوائمه سبع وأربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

وَبَلْبُ الدَّوْحِ وَصِيحٌ عَلَى الْأَيْكَةِ وَالشُّرُورُ مَتَامٌ
وَنَسْمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَاءٌ مَرٌّ وَالْمَاءُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

أَطْرَفُ قَاتِ طَرْفِي أَمْ شِهَابٌ هَذَا كَأَبْرِقِ ضَرَمَهُ التَّهَابُ
أَعَارَ الصُّبْحِ صَفْحَتَهُ نِقَابًا فَقَرَبَهُ وَصَحَّ لَنَا النَّقَابُ
إِذَا مَا انْقَضَ كَلَّ النَّجْمُ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
سَلَّ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فِعْنَدَ الرِّيحِ قَدْ يَأْنِي الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ الحَطْبُ المَهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَاسْكُنْ جِلْقَا
تَجِدِ المَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بِلَ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْضُحُ مَنْظَمَا
بِلَدِّ سَمْتِ بَيْنِ البِلَادِ مَحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا إِكْلٌ مُعْرَجٌ لِأَسِيًّا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقَى
إِنْ تَعَشَّقُوا وَطَنًا فَذِي أَوْلَى لَكُمْ دُونَ البِلَادِ بَانَ تَحَبُّ وَتَعَشَّقَا
خَيْرُ النَّاسِ أَنَسَهَا يَرْعُونَ أَنْوَاعَ الوُدَادِ وَيَحْفَظُونَ المَوْتَقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرُونَ بِهَا شَقَا
طَابَتْ هَوَاءٌ لِلنُّفُوسِ وَمَاوَهَا عَذْبُ زَلَالٍ سَائِعٌ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنِ التَّعْدَادِ فَلَنَاتِ بِمَا يُجْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفَ الزَّهْرُ فِيهِ وَعَبَقَا
وَتَرَأَسَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّي سَحْرًا فَهَيَّجَتْ أَلْفُؤَادَ الشِّيقَا

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرَ نَضِيرٍ أَوْ أَصْفَرَ فَاتِعٍ أَوْ أبيضٍ يَتَّقُ
وَالسُّبُّ تَبْكِي وَتَغْرُ الْبَرْقُ مُبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْمَعُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَنْقِ
فَالطَّيْرُ فِي طَرْبٍ وَالسُّبُّ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالْعَصْنُ فِي قَلْقِ

٣٠٣ قَالَ الْقَاعِي التَّنُوخِي يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْعُ عَلَيْهَا:

أَحْسَنُ بِدِجْلَةَ وَاللُّجَى مُتَّصِبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرَبٌ
فَكَاتَمَتْ فِيهِ بِسَاطُ أَرْزَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَارُ مُذْهَبٌ

٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٌ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ تَغْيَبَا
وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ الْإِفْوَالِ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبًا

٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِعَاتُ شَجْوِيهَا تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّقَا وَتَرْمَحُ
تُؤْوِحُ بِإِلَافٍ وَتَمَلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ يَرْقُمُ
وَتُغْرِبُ فِي أَلْحَانِهَا وَفُنُونِهَا فَتُغْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تَعْجَمُ
وَتَنْظُرُ فَرَحِيهَا قَدْ اخْتَطَفَتْهَا كَوَاسِرُ أَطْيَارِ عَلَى الْأَفْقِ حَوْمُ
تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشَهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
بِأَكْمَرِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَأَكْمَرُ

٣٠٦ مِنْ الْمُعْجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ لَوْلُوٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِرًا إِلَى الرُّوضَةِ تَسْتَجْلِهَا فَتَغْرُهَا فِي الصُّبْحِ بِسَامُ
وَالْتَرَجِسُ الْعُضُّ اعْتَرَاهُ الْحِيَا فَعَضَّ طَرْفًا فِيهِ أَسْقَامُ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَضْرٍ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَتْ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا قَدَّتْ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتْنَا مِنَ الْحُسَادِ عَيْنٌ فَافْتَتْ أَهْلَهَا بِالْمُخْنِيقِ
 وَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةً تُوحِ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةً تَنَادِي وَأَصْبَاحًا وَبَاكِيَةً لِفِضْدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفِرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِنْ التَّهَابِ وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمَفَكِرَاتٍ عَلَيْنَ الْقَلَائِدِ فِي الْحُلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقُ وَقَدْ فُقدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُعْتَرِبِ قَرِيبِ الدَّارِ مُلْقَى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَيِّ الْفَرِيقِ
 فَمَا وَلدُ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكَرُ دَارِ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَفِي الدِّينِ الْحَلِيِّ حَدِيثَهُ قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَمْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطْوَتَهُ وَلِلْمِيَاهِ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرَقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبَامَتَهُ وَالنَّرْجِسُ الْعُضْرُ فِيهَا شَاخِصٌ مُخَدَّقِ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّتْهَا ذُونَهَا الْجُدُرُ
 ٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعَرِّيُّ فِي السَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ التَّبَرِّ مِثْلِي حَلِيدَةٌ عَلَى نَوْبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةُ الضَّنْكَ
 تُرِيكَ أُتِسَامًا دَائِمًا وَتَجَادًّا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَلَبَّاهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
 وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَحَالُونَ أَيْ مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكَي
 فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدْتُهُ فَقَدْ تَدَمَّعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الْغَمِّحِكِ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغَاءِ :

أَلْقَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
 عَدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَالْآسَانِ يُوهَمُنِي بِأَنْبَاِ الْإِنْسَانِ
 تُهَيِّئِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفِي الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
 بِكَمَا إِلَّا أَنَّهَا سَمِعْتُهُ تَعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةً
 زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَأَسْتَوَطَّتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
 ضَيْفُ قِرَاهِ الْجُوزِ وَالْأَرُزُ وَالضَّيْفُ فِي إِيْتَانِهِ يُعْزُ
 تَرَاهُ فِي مَنَارِهَا الْخُلُوقِ كَلُولُوهُ يَلْقَطُ بِالْعَقِيقِ
 تَمِيسُ فِي حُطَّتِهَا الْخُضْرَاءُ مِثْلَ الْفَتَاةِ الْغَادَةِ الْعُذْرَاءِ
 خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
 مُحْسِنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِقَرْطِ الْحَبِّ
 تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كُنَيْتُ عَنْهَا وَأَسْمَى مَعْرُوفُ
 يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَيَانِ

أَوْ مَا تَرَى النِّعَمَ الرَّفِيقَ وَمَا بَدَأَ
وَالسُّحْبُ تَعْقِدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالنِّعَمُ يَحْكِي الْمَاءَ فِي جَرِيَانِهِ
فَابْكُرْ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زُرَّارٍ فِي مَدِينَةِ وَاْدِي آش :

وَاْدِي الْأَشَاتِ يَهِيحُ وَجَدِي كَلَّمَا
لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالْهَجِيرُ مُسَاطُ
وَالسَّمْسُ تَرَعْبُ أَنْ تَفُوزَ بِالْحِجَاةِ
وَالنَّهْرُ يَبْسُمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ الْغُصُونُ قَمِيهَا
٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

مُدْقِيلَ الْأَغْصَانِ إِنْ الْوَرْدُ قَدْ
بَسَمَتْ تُغُورُ الْأَشْحَوَانِ مَسْرَةً
وَأَفَى إِلَى الْأَزْهَارِ وَهُوَ أَمِيرُ
لِقُدُومِهِ وَتَلَوْنَ الْمُنْشُورُ

٢٩٩ قَالَ الصَّالِبِيُّ فِي بَيْعَةِ
وَلَيْلَةٍ مِنْ مُحَاقِ الشَّهْرِ مُدْجِنَةٍ
كَانَتْ نَفْسِي بِهَا الْأَدْلَاجُ مُنْطَبِئًا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزِلَةٌ
وَلَا دَلِيلٌ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غَضَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ أَثَرٌ فِي
لَا لِنَجْمٍ يَهْدِي السُّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
عَزْمًا هُوَ الصَّارِمُ الْعَمَّصَامَةُ الذَّكْرُ
مَا حَاهَا قَبْلَهُ نَجْمٌ وَلَا بَصْرُ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَحِجَّ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوتَةُ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ

وَالطَّلُّ فِي سِلْكِ الْعُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْعَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِرَادٍ تُوَلِّفُ
فِي سَنَنِ الْهَزَارِ تَهَازُرُ وَمِنَ التَّضْيِيبِ تَنْصَفُ
وَمِنَ النَّسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنَ الْعَدِيرِ تَعَطَّفُ

زهريه صفي الدين الحلي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّبِيعُ فَرَحِبًا يُوْرُوْدُهُ وَنُورٌ بِهَجْتِهِ وَنُورٌ وَرُوْدُهُ
وَجَحْسُنٌ مَنظَرُهُ وَطِيبٌ نَسِيمُهُ وَأَنِيقٌ مَأْبَسُهُ وَوَشِيٌّ يُوْرُوْدُهُ
فَضْلٌ إِذَا أَفْتَحَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْتٌ تَصِيدُهُ
يُغْنِي الْمِرْاجِعَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِاللُّطْفِ عِنْدَ هَبْرِهِ رُوْدُهُ
يَأْحَبُّهَا أَزْهَارُهُ وَثَمَارُهُ وَنَبَاتٌ نَاجِمُهُ وَحَبٌّ حَصِيدُهُ
وَتَجَارِبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَاتٌ مَعْبَدِي فِي مَوَاجِبِ عُوْدِهِ
وَالْعُصْنُ قَدْ كَسَى الْعَلَائِلَ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجْرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَابَ بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُوْدِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْعُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَخَفُّ بِهِ سِرَاةُ جُنُوْدِهِ
وَأَنْظُرْ لِنَرَجِسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرَفٌ تَدَّهَ بَعْدَ طُولِ هُجُوْدِهِ
وَأَعْجَبْ لِأَذْرِيُونِهِ وَبِهَارِهِ كَأَلْتَبْرِيزُهُو بِأَخْتِلَافِ نَقُوْدِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَنُورِهِ مُتَوَعًّا بِفُصُولِهِ وَعُقُوْدِهِ

غَيْرِ عُبُوسٍ • يَسْتَقْبَلُكَ بِطَلَاقَةٍ • وَيَحْيِيكَ بِبَشْرٍ • وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ
 غَيْثٍ وَجَمِيلٍ بِبَشْرٍ • يُهْجِكَ طَلَاقَتُهُ • وَيُرْضِيكَ بِبَشْرِهِ • صَحَّاحٌ عَلَى
 مَا نَدَيْتَهُ • عَبْدٌ لِضَيْفَانِهِ • غَيْرٌ مُلَاحِظٌ لِأَكْيَلِهِ • بَطِينٌ مِنَ الْعُقَلِ •
 حَمِيصٌ مِنَ الْجَهْلِ • رَاجِحٌ الْجُلْمِ • ثَاقِبٌ الرَّأْيِ • طَيِّبُ الْخُلُقِ •
 مُحْصَنُ الضَّرْبِيَّةِ • مُعْطٍ غَيْرُ سَأَلٍ • كَاسٌ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ • عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَأْمَةٍ • إِنْ سئِلَ بَدَلًا • وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنِ تَيْمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَدْ أَلْبَسَتْ لِحْيَتَهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسٍ بَسْتَانٍ تَدُورُ وَتَجْبِي وَتَنْفُضُ عَنْ أَرْيَاشِهَا بَلَلِ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْدَلِسِيِّ فِي دَوْلَابِ النَّاعُورَةَ :

لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَائِلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْتَتْ أَفْنَاَنَا
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَامُ شَجْوَهَا فَيَجِيهَا وَيَرْجِعُ الْأَحَانَا
 فَكَانَهُ دَنَفٌ يَدُورُ بِمَعْهَدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَ
 ضَائَتْ مَجَارِي جَنَنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَفْتَحُ أَضْلَاعُهُ أَجْفَانَا

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّدْبِيِّ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتٌ أَلُورِدٌ قَدْ خَجَلَتْ فِيهَا ضَخْمِي وَعُيُونُ الرَّجَسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَاَنِهَا سَحْرًا وَمَاتِ الْقُضْبُ لِلتَّغْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَالْقَطْرُ قَدَرَشُ ثَوْبِ الدَّوْحِ جِينِ رَأَى مَجَامِرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَتْ

٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمِ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ السَّاعَاتِي :

وَأَنَا أَشَارِفُ النُّجُومِ . وَأَسَارِقُ النُّجُومِ . وَأَسَابِقُ الرُّجُومِ . بِي تَكْثُرُ
 الْمِدْعُ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفَتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنْ
 التَّارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينَ
 يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَيَّ هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالشُّورِ .
 وَبِالْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتَأْتِي صَنْعَتِي مِنْ
 الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَّهُمْ مَرَامِي الْمَشُورَةِ نَافِذَةٌ فِي
 الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسَيْفُ مَنَاشِرِي الْمُسْمُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ
 وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ
 وَنَائِبٍ . وَمَنَعٍ مِنَ الْحَذِيرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مَنُوطٍ
 يَتَفَرِّقُ قُلُوبَهُمْ وَجَمَعَ سُؤْيَدَائِمَهَا إِلَى بَابِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا . مِنْ
 خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دِرَايَاتِ . وَفَقِيهِ فِي النَّادِي . فَاقَ
 الْحَاضِرَ وَالْبَادِي . يَعْلَمُ لِي فِي الشَّيْطَانَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْيَلِيسَةِ
 حَفَدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَابَ الطَّوَائِفِ . وَأَرَبَابِ الْوُضَائِفِ .
 عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَايِسِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفٌ .
 مُنَايَ مُنَاهِمٌ . وَرِضَايَ رِضَاهِمٌ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضَ سِرِّي نَجْوَاهِمٌ .
 إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
 ٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ دَجَلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكُفِّ . رَحْبُ
 الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْنَافِ . سَهْلُ الْخُلُقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
 مَعُوثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَصَحْوُكَ السِّنِّ . بِشِيرِ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

وَبَعِيدِ الْحِدْثَانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْحِدَاعِ وَالْوَسْوَاسِ .
 وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خَدَائِي وَمَعِي .
 وَجُنْدِي وَتَبِعِي . مِنْهُمْ رُؤُوسُ الرَّهَاءِ . وَعُلَمَاءُ الْعِبَادِ . وَعَلَى مَحَبَّتِي
 مَضْرًا . وَبَاتِبَاعِ أَوَامِرِي قَضُوا . فَأَنَافِتَةُ الْعَالَمِ . وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
 آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَابْلِيسُ الذَّمِيمُ . اسْمُ ذَاتِي . وَوَصَفُ
 صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْعَقَارِيثِ الْمُتَمَرِّدِينَ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 خَلَّتْ مِنْ مَارِجِ مِنْ نَارٍ . وَطُغِيَتْ عَلَى الْقَاءِ الْبَوَارِ وَالْدَّمَارِ . رُجُومُ
 النُّجُومِ إِنَّمَا أَعَدْتُ لِأَجْلِي . وَعَتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
 رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاجِرِ مَكْرِي . وَالزَّنْدِيُّ يَمْتَسُّ مِنْ
 ضَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَرُقْضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَابِرِ إِلَّا وَليَ شِرْكَةً فِيهَا .
 وَلَا حَدَثٌ مَحْنَةٌ لِنَبِيِّ وَلَا وَليَ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاظِيهَا . جَدِّي ابْلِيسُ .
 نَهَضَ جَدِّي التَّعِيسُ . وَإِلَى نَحْوِ آدَمَ هَوَى . فَمَضَى رَبُّهُ فَعَوَى . وَأَنَا
 قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَايِنَ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِي يَعْشُوبَ .
 رَحَاوَلْتُ فِي قَضِيَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
 وَجَرَّاتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْبِيَةِ الْوَسْوَاسِ .
 لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ
 قَوْمِ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفَرُّقِ وَالْإِضْلالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
 وَكَمْ أَعْوَيْتُ مِنْ بِلْدَانٍ . بِمَا زَخَرَفْتُ مِنْ أَوْثَانٍ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
 مُسْتَرْقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أُذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَرَ فِي ذَهْنِي .

وَأِنْ دَنَتْ مِنَ الصَّغَارِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَبَتْهُمْ . تَكُنُّ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرُضُ فِي عِنَانِهَا . وَتَمُشِي فِي سَنَةِ
أَفْلٍ مِنْ يَوْمِ الْوَيْلِ لِوَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمَتْ
تَمُدُّهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ أَكْزَبَتْهَا شَخَّرَتْ وَخَخَّرَتْ . مَنْ أَسْتَصَرَ بِهَا
خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . وَفَتَلَتْهُ . وَهِيَ حَمَلَتُهَا فَلَا تَهْبُضُ . وَتَقْرُضُ
فِي حَبَائِلِهَا . وَتُجْفَلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كِدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَانَتْهَا هَامَةٌ . وَرَوِي فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مُجُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتْدَ وَتَقْرُضُ الْجَسَدَ . وَتَقْتَتُ الْكَيْدَ . وَلَا تَرُكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
تَشْرِي وَتَعْدُرُ وَتَعْتُرُ . وَاقْفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهِيرِ . بَدَاءَةُ الْأَذْنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . تَصِيرَةُ الرَّجُلَيْنِ ضَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مُقَامَةُ الْأَضْرَاسِ . مَغْبِرَةُ الرَّاسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشِيهَا قَلِيلٌ . وَجَسْمُهَا
مَحْبِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْفَلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَشْرِي
بِالنَّوَى . وَتُجَبَّلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةٌ شَهَاقَةٌ غَيْرُ مَطْرَاقَةٍ . وَتُحْشَرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوِسُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَقْتَطِعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَقْرُضُ رُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَارَكِمْ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَاصْفَعْ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تَحْجُوجِنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ الْكَنْزُ الْمَدْفُونُ لِلسَّيْرُطِيِّ

وحذف اليبس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعُقَابِيَةِ الطُّغَّةُ الْمَصَالِيَتِ : إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ. حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
 الْمُدَى. وَغَدَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الْأَثْرَى. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ لَهَا بِهِ. وَيَغْنِي ذُبَابُهُ.
 فَيَدْنَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذُرَّةَ بَيْضَاءُ. إِذَا هِيَ غَبْرَةٌ سَوْدَاءُ. فَإِذَا هِيَ
 زَبْرَجْدَةٌ خَضْرَاءُ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْفَعَالُ لِمَا يَشَاءُ. فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
 قَالَ: لِلَّهِ دَرَكٌ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي مِصْرَ حَتَّى كَأَنِّي شَاهِدْتُهَا

وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةَ. فَوَجَدَ بِهَا عِيُوبًا كَثِيرَةً.
 فَخَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ. وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الْعَمِّ وَنَالَهُ. فَقَالَ لَهُ
 الْقَاضِي: مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ. وَمَا الَّذِي مِنَ الْهَمِّ وَالْعَمِّ دَهَاكَ.
 فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي. إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي. اشْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
 دَابَّةً اشْتَرَطْتُ لِي فِيهَا الْعِصَّةَ وَالسَّلَامَةَ. فَوَجَدْتُ بِهَا عِيُوبًا أَعْتَبْتَنِي
 نَدَامَةً. وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى. وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ أَيُّبَى: لَا أَهْلًا بِكَ
 وَلَا مَرَحَبًا. فَقَالَ الْقَاضِي: ابْنَ مَا بِهَا مِنَ الْعِيُوبِ. وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
 هَذِهِ الْحَشْبَةِ مَصْلُوبٌ. فَقَالَ: كَلَّمْتُ عِيُوبٌ وَذُنُوبٌ. وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
 أَنْحَسُ مَرْكُوبٍ. وَأَخْسَرُ مَصْحُوبٍ. إِنْ رَكِبْتَهَا رَنَسَتْ. وَإِنْ نَحَسْتَهَا
 تَمَسَتْ. وَإِنْ هَمَزْتَهَا قَمَصَتْ. وَإِنْ لَكَزْتَهَا رَقَصَتْ. وَإِنْ سَنَسْتَهَا
 رَقَدَتْ. وَإِنْ تَزَلَّتْ عَنْهَا شَرَدَتْ. تَقْطَعُ فِي يَدَيْهَا. وَتَقْطَعُ
 بِرِجْلَيْهَا. حَدْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَاءُ. لَا تَقُومُ حَتَّى تُحْمَلَ عَلَى الْحَشْبِ.
 وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكْبَلَ بِالسَّلْبِ. إِنْ قُرِبَتْ مِنَ الْجِرَارِ كَسَرَتْهَا.

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ
فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لَيْوُثُ غَابَاتٍ . وَعَيْوُثُ
جَدَابَاتٍ . مَا فِي عُهُودِهِمْ خَوْرٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدْرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعْرٌ . وَلَا فِي عِيُونِهِمْ خَزْرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغْرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زُورٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلْفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِيفَ لِي مِصْرَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . وَمِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ . طُولُهَا شَهْرَةٌ وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْتُنُّهَا جَبَلٌ
أَعْبَرٌ . وَرَمْلٌ أَعْفَرٌ . يَخْطُ وَسَطُهَا نَهْرٌ مِيمُونُ الْعَدَوَاتِ . مُبَارَكٌ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجَرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عَيْوَانُ الْأَرْضِ وَيَنَابِعُهَا . حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ عَجَاجُهُ . وَتَعَظَّمَتْ
أَمْوَاجُهُ . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْقُرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِزْفِ
الْقَوَارِبِ . وَصِمَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَلَّمَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَ عَلَيَّ
عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَاحِي فِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
مَحْمُورَةٌ يُجْرُجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدَلَّةً . يَجْرُثُونَ بَطُونَ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَابِيهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ لِغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

٢٨٤ وَقَالَ مُلْعَرًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنْ الْجَمَادَاتِ يُلْفَى وَتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانًا
 وَتَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا عَالِيًا مِنْهُ رَصَّوًا تِيَجَانًا
 وَتَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
 وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحْرِكُ الْأَغْصَانَا
 أَوْ بَدَأَ فِي مَقْصَصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَسْجَاعِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
 كَهُ طَائِرٌ وَفِي ثَلْثِيهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
 كَهُ عَاطِلٌ بِهِ تَتَحَلَّى كُلُّ خُودٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
 وَتَرَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبَتْخِيفِهِ حَقِيرًا مَهَانَا
 عَكْسُهُ فِي تَضَخُّفِهِ زِدْ بِنَمِّصٍ فَالْمَعَى هُنَا فَكُنْ يَهْضَانَا
 وَإِذَا لَمْ تَدْرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَّهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهَوَ يَدْرِي الْبَيَانَا
 وَتَحْرِيفِهِ تَوَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْفَانَا
 ثَلَاثُهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِي فِيهِ إِذَا جَاءَ يَصْحَبُ الْمَرْجَانَا
 لَكِنَّ الثَّلْثُ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَحَشْرٌ ذَبَّ عَنَّا تَضَخُّفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
 وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
 فَافْتَرَسَهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ أَيْثَا فَهُوَ لُغْرٌ عَن فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا
 ٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَفْصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ يَتُّ شَدُو مُرْقِصٌ مُطْرِبٌ وَبِالْقَلْبِ صَفَّقُ
 وَلِجَمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حَسَنُ فُزْتُ مِنْ بَعْضِهِ لِسَجْعِ الْمُطَوَّقِ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُعْزَا فِي بَابِ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكَتَبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِقٌ فِي نَشَأَتِهِ وَلَكِنْ يُجَدِّدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَصْحِيفُهُ لِمَنْ يَتَرَمَّقُ
 فَأَجْبَنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطَاعًا لَسْتُ فِي حَلَاةِ الْفَضَائِلِ تَسْبَقُ

٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْأَنْشَاءِ بِدِمَشْقَ الْخُرُوسَةَ مُعْزَا فِي فَاحْتَةِ:
 وَمَا طَرَّ يَهْوَى الرِّيَاضَ تَنْزَهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْئَانِهَا وَيَغْرَدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتَّ عَنْهُ فَآخْتُهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْمَغْزُورَدَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَحَلَّهُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجْمِيِّ يَقُولُهُ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيْلٌ وَسُودٌ غَدَا دُونَ رِقَاةِ سِمَاكٍ وَفَرَقْدُ
 تُقِيدُ يَسَارَ الْمُفْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيَسْرَاهُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَجُودُ
 سُؤَالِكَ عَنْ أَنْتَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَرَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَأْشُدُ
 وَتَجْدُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ نَشِيدِهَا لِنَحْوِ اتِّصَابِي لَا أُطِيقُ أَفْنِدُ
 وَمَذْبَانَ مِنْهَا الطَّرْفَ أُمَسْتَ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سَلِبْتَ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافِ بَلْ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأَوْهَاهُ مَعَ مَا بِيَايِهِ وَطَرَفُهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عِزُّكَ بَادِخٌ وَفِي مَفْرَقِ الْجُوزَا لِوَأَوَّلِكَ يُعْقَدُ
 فَخَذَهُ مِينًا مُغْضِيًّا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصَدُ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاغَةٌ رَتْعَهُ فَمَيَّرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبٌ
 يُرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ دُونَهُ تُسَبَّلُ الْحُجُبُ
 شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
 ٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي الْبَحْرِ :

وَحَمَالٍ أَثْقَالِ الْبَرِيَّةِ قَادِرٍ وَيَعْجَزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
 يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِالرَّجْلِ لَهُ سَيْرٌ أَرْقَمٌ
 ٢٧٩ لِأَخْرَفِي الْفِكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَرَادَ بِغَيْرِ عَيْنٍ
 يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِالْأَلْعُوبِ وَلَا يَبْرَحُ إِلَّا كَكَدَرٍ وَمَيْنٍ
 ٢٨٠ لِلْمُتَنَبِّيِّ فِي الْحُمَى :

وَزَائِرَةٌ كَأَنَّ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظُّلَامِ
 بَدَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
 يَضِيقُ الْجُلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوْسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
 ٢٨١ وَمَنْ أَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْعَازِ أَنْ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاةٍ
 كَتَبَ إِلَيَّ وَالِدِهِ مُلَغِّزًا فِي بَابِ بَقُولِهِ :

مَا وَقِفْتُ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمْجِي
 لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُرْمَجُ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابٌ وَوَجْهُ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
 بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

بَطْعٍ بَارِدٍ حَيًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارٌ

وَأَنْفَذَا الْغَزِينَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ عَلَى الْأَوَّلِ : هُوَ طَيْفُ الْخَيَالِ . وَكَتَبَ عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزَّبَقُ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَبِ الْغَزَا الْأَوَّلُ هُوَ طَيْفُ الْخَيَالِ وَالثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ . فَمَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالضَّحِكِ . وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ صَنَعَةِ الْكِيمِيَاءِ يَرْمِزُونَ بِالزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْقَرَارِ وَالْأَبْقِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلَا فِرَاطَ بَرْدِهِ ثَقُلَ جِسْمُهُ وَجَرَمَهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَتَشَكُّلِهِ فِي أَفْتِرَاقِهِ وَالتَّمَامِهِ . فَأَعْجَبَا مِنْ ذَكَائِهِ وَتَوَقَّدَا عَمَلِهِ

(ابن حجة الحموي)

٢٧٥ قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْمَدَامِ :

وَمَا شِيءٌ حَشَادٌ فِيهِ دَاءٌ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءٌ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمَعَ يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاءُ
وَإِنْ أَهْمَتَ أَوَّلُهُ فَفِعْلٌ لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ أَعْتَاءُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَرِّ فِي شَمْعَةٍ :

صَمْرَاءٌ مِنْ غَيْرِ عِلَالٍ مَرُّ نُورَةٍ مِثْلَ الْأَسَلِ
كَأَنَّهَا عُمُرُ الْقَتَى وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرَبِ :

وَمَا حَيَوَانٌ عَكْسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ لَهُ جَسَدٌ سَبَطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَابُ

وَطَائِرٍ فِي وَكْرِهِ نَائِمٍ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَمْرِهِ
حَيَاتِهِ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مَنَقَارِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَشْعِ الْقَارِ كِي يَأْخُذَ بِالْمُنْقَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بَصَاقَةَ مُنْغَزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّهَا لَتَقْبَلُ نَفْحَ الرُّوحِ بَعْدَ وِلَادِهَا
وَتَسْمَعُ عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الوَعَى وَلَكِنْ تُمَوِّمُ يَكُنْ بِمَرَادِهَا
أَرَادَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أَنشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغَزَا فِي شَبَابَةٍ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءَ بَادٍ شُحُوبَهَا تَكْنَمُهَا عَشْرٌ وَعَنْبِنٌ تَخْبِرُ
يَلِدُ إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعَ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَنخَرُ جَاشٍ مَنخَرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنهُ . فَتَمَافَوْضَ أَبُو غَالِبِ بْنِ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ الْأَلْغَزِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورِ :
تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغَزًا مُحَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَنَظَّمَ أَبُو مَنْصُورِ :

وَمَا شِيءَ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلٌ وَمَوْضِعٌ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاةُ
إِذَا عَمَّضَتْ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحَتْ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تِيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارٌ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارٌ

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :

أَقَّتْ فِيكُمْ عَلَى الْإِفْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
 وَظَلَّتْ أَبِي لَكُمْ عُدْرًا لِعَالَمِكُمْ تَسْتَيْقِظُونَ وَقَدْ نُمْتُمْ عَنِ الْكُرَمِ
 فَلَا حِدِيقَتَكُمْ يُجْنِي بِهَا ثَمْرُ وَلَا سَمَاءُكُمْ تُزِيلُ بِالذِّمِّ
 أَوْغَلَتْ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزَنِي نَيْلُ الرَّغَائِبِ حَتَّى آبَتْ بِالنَّدَمِ
 ٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ السَّاهِبِيُّ يُهْجُو أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِيَّ السَّاجِرَ :

أَبَا الْبَقَاءِ خَلَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّيِّبَةُ قَدْ قَدَّتْ مِنَ الْحَجْرِ
 كَمْ يَدْعِي بِعُلُومِ النُّجُومِ مَعْرِفَةً وَأَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ النُّجُومِ وَالْقَمَرِ
 ٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْعَرَبِ رِبَةَ قِبَالِ الْبَرِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
 أَنَّ الْبَرَّاءَ أَسْلُ مِنْكَ ، قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَائِقَةٌ إِنْ كَانَ مَارِعَمُو

أَلْبَابُ الثَّلَاثِ عَشَرَ

فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لُغَزِي فِي خَاتَمِ لِصَفْدِي :
 وَمُسْتَدِيرٌ رُوقُ الْعَيْنِ بِهَجْتِهِ كَأَنَّهُ مَلَكَ نُجُومِ الدَّحْجِ فِيهِ
 حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُكِبَتْ فَإِذَا مَا قُلْتَ أَوَّلَ حَرْفِهِ تَمَّ بَاقِيهِ
 ٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْفِزًا فِي قَالِمٍ :

الرُّوحُ يَشْكُو لِحُثْمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا

٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ :

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتَجَرِّهِ وَقَدْ فَتَحَتْ لَكَ الْحَانُوتَ بِالدِّينِ

بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِإِلْغَاقِ تَبْتَاعُ بِالدِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ

صَيَّرَتْ دِينَكَ شَاهِينًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلُحُ أَصْحَابُ الشُّوَاهِينِ

٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الزُّبَيْرِ :

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا

وَمَتَى تُسْأَلُوا فَضْلًا تَضْنُوا وَتُخْلُوا وَنِيرَانُكُمْ لُشْرٌ فِيهَا تَحْرَقُ

إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمًا قُرَيْشٍ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكْنَا وَذُو الْمَجْدِ يَسْبِقُ

تَحْيِيُونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُوْدًا وَجُوهَكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشٌ لِلْأَصَامِمِ أَصْفَقُوا

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لِلْوَمِ طَابَعًا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ

٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِي يُذِمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ فَاسٍ :

مَشَى الْوَمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يَجُوبُ بِإِلَادِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

فَلَمَّا أَتَى فَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا

٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُرْجِ الْمُنْجِمُ لَمَّا احْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ :

أَقُولُ وَقَدْ عَابَيْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَالنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ

كَذَا كُلُّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ قَعَمًا قَلِيلٌ فِي نَهَارٍ يُغْرَمُ

وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عَمْرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ

٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيَّةٍ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خِوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يَحْضُرُهُ الرِّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْحِ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكْ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مَجَاوِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ السِّكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَاتَمْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ السِّكِلَابَ طَوِيلَةَ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ :

لَوْ أُوحِيَ الْخَوْ إِلَى نَفْطَوِيهِ مَا كَانَ هَذَا الْخَوْ يُعْزَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِي صُرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِيُّ فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكَنتَ أَخِي بِالذَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتَ فَلَمَّا عَادَ عُدْتَ مَعَ الذَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِدْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثْرِ
وَمَا كُنتَ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مَهْدَبَ الدِّينِ بْنِ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْمَرَ جَازَ الطَّبَّ أَجْمَعَهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَجْمَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعَمَلَا
فِي حِيلَةِ الْبُرِّ قَلَّتْ عِنْدَهُ حِيلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَدْرِي لِلرَّدَى حِيَلًا

أَلْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْحَجْوِ

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ وَأَخْلَاقُ
تَقْتَضِي أَنْ تُجَوِّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدْعِي الذُّكَاءَ وَأَنَّ حَاطِرَهُ مِنْ نَارِهِ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :
إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارِ خُلِقْتَ وَفَقِمْتَ كُلَّ النَّاسِ فَمَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَأَكَ حَتَّى صِرْتَ مَحْمُومًا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَحْيِلٍ :
يِرَاعَةُ غَرْنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْبَسًا
فَصَادَفَتْ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمِهِ بَعْصًا مُوسَى لَمَا أُنْجِسًا
٢٥٦ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فَعَدَّانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُوُوسًا خَمْرُهَا رِيحُ الْمُدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمَانَ إِلَّا وَكُنْتُ كَمَنْ تَعَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَّارَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحُسَامُ
لَنْ يُضَعَ الْحِوَانُ وَلَا حَ شَخْصٌ لَأَخْتَطِفَنَّ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

٢٥٠ وَمَا يَسْتَجَادُ لِعَبِيدِنِ الْأَبْرَصِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَبَانِنَا
 سَائِلُ بِنَا حُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى
 قَوْمِي بُوْدُهُ دَانَ أَهْلُ الْحَجَى
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ أَيْدِ سَيِّدِ
 مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ
 لَا يَحْرِمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ
 الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى
 أَنْتَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلٌ
 فَسَلْ تَنْبَأَ أَيُّهَا السَّائِلُ
 يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَافِلُ
 يَوْمًا إِذَا انْفَلَحَتِ الْحَائِلُ
 ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ فَاعِلُ
 فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
 وَلَا يُعْقِبِي سَبَبُهُ الْعَاذِلُ
 يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَائِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَبُّ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ :

لَا يَسْتَكُونُ الْمَوْتَ إِنْ تَرَاتِ بِهِمْ
 وَرِثُوا السِّيَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
 شَهْبَاءُ ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارِ
 إِنْ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
 ٢٥٢ قَوْلُ الْمُتَنَبِّيِّ :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجَالِسَنَا
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي
 الْخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالْبَيْدَاءِ تَعْرِفُنِي
 بَأَنِّي خَيْرٌ مِنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
 وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
 وَالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَالْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ
 ٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسٍ الْخَلَافَةَ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْمَايَ آفَةُ
 وَرُبَّ جَهْلٍ عَابَنِي بِمَجَالِسِنِي
 سَوَى نَقْصِ تَمْيِزِ الْمَعَانِدِ فِي نَقْدِي
 وَيُضِجُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرُّمْدِ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَى عَمَاءَ فَإِنِّي عَلِمُ فِي ذَلِكَ الْعَلَمِ

٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أُجْرَى فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مَبْهَمِ

وَسَلَّ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمْتَرْتَ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ غَادَرْتَ مِنْ مُرَدِّمِ

سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَابِ الرَّكْبَانِ فِي الْبَيْدِ تَرْتَمِي

وَرَبَّتْ مَا غَنَى بِهِ كُلُّ سَاحِجٍ يَرُدُّهُ فِي شَجْوِهِ وَالْتَرَمِ

وَضِعْيَ قَوْمِي لِأَنِّي لِإِسَانِهِمْ إِذَا أَفْجَمَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ

وَطَائِبِي دَهْرِي لِأَنِّي زَنْتُهُ وَأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ آدَمِ

٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيْنُوا سُنْدًا لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْأَلِهَ وَبِالْأَصْرِ الَّذِي شَرَعُوا

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ تَفَعُّوا

سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخْدَتَةٍ إِنْ أَحْلَاقَ فَاعَلِمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ

لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ أَوْ وَارَثُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مُنَعُوا

لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا قَالُوا ضُورٌ وَلَا هَاعُ

وَلَا يَضُنُّونَ عَن جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ

كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعُ

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
 وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَاطِئُ الثَّرَى
 وَلَوْ عَلِمْتُ زُهْرُ النُّجُومِ مَكَانِي
 أَرَى أَحْلَقُ دُونِي إِذْ أَرَانِي فَوْقَهُمْ
 وَبَدَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
 وَلِي قَلَمٌ فِي أُمَّلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
 إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
 ٢٤٥ لِأَبِي الطَّحَّانِ الْقَيْنِيِّ :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
 نُجُومٌ سَمَاءٌ كَلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ
 أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
 وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودٌ
 ٢٤٦ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَلَقَدْ ثَقَلْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
 وَتَوَرُّرَ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ رِكَابَنَا
 وَنَحَاوِلِ الْأَمْرِ الْمُهْمِ خَطَابُهُ
 ٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا لَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
 لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
 أَبَاؤُنَا الْعُرُّ مِنْ مُجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

٢٤٢ وَمِنْ الْعَجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُبِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُنِي وَقَدَّحِي الْوَعْيِ فِي مَوْقِفِ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعزِلِ
تَبْرَى أَنَايِبَ الْقَنَاةِ عَلَى يَدِي تَجْرِي دَمًا مِنْ مَتِّ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
٢٤٣ قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ يَتَهَدَّدُ بِمُورَانِكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ بِفُوقِ
السِّيفِ وَالرُّشْحِ وَالنَّشَابِ قَدَعَلِمَتْ مِنَّا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا تَلِيكََا
إِذَا التَّقِينَا تَجِدُ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَثْبَتْ فَأَمْرُ اللَّهِ آتِيكََا
بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَّفَنَا فَضْلًا وَمَلَكَنَا الْأَمْصَارَ تَمْلِيكََا
وَبِالْجَمِيلِ وَحَلُّو النَّصْرِ عَوَدْنَا خِذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُنِيكََا
وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكََا

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

يَوَايِبَ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ خُلْدًا
وَأَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذِرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِثُ الدَّهْرِ كَفَّهُ لِحَدَّثَتْ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّهُ لِيَدَا
تَوَقُّدُ عَزْمِي يَبْرُكُ الْمَاءُ جَمْرَةً وَحِيلَةٌ جَاهِي تَبْرُكُ السِّيفِ مِهْرَدَا
وَقَرِطُ أَحْتِقَارِي الْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلَى سُودْدِي سُدَى
وَيَأْتِي إِبَائِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدَى لِي الْمَاءُ مِنْةً وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَوْرَدَا
وَلَوْ كَانَ إِدْرَالُ الْهُدَى بِتَذَلُّلِ رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
وَقَدَّمَا بَعِيرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَبَا وَيِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

حَاقَ الرُّخَّ بِصَفِي وَأَحْسَامُ الْهُندَوَانِي
 وَمَعِي فِي الْمَهْدِ كَانَا فَوْقَ صَدْرِي يُونَسَانِي
 وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ
 وَالذَّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنَهَا أَحْمَرُ قَوْنِي
 فَاسْقِيَانِي وَأَتَمِّعَانِي نِعْمَةً كَي تَطْرِبَانِي
 أَطِيبِ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُندَوَانِي
 وَصَرِيحِ الرُّخِّ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطَّعَانِ
 وَصِيَاخِ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانِ :

وَمَا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَفْرَعُ بِالْقَنَا فَوَارِسُهَا حُمْرُ الْعُيُونِ دَوَامِ
 وَأَقْبَلَ رَهْجِي فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ غَمَامَةٌ دَجَنُ أَوْ عِرَاضُ تَتَامِ
 وَمِنْ كَلِّحِي قَدْ أَتْنَا عِصَابَةَ ذُووُ تَجَدَّاتٍ فِي اللَّقَاءِ كِرَامِ
 وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ إِتَامِ
 فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعَزَلِ غَدَاةِ الْوَعْيِ مِنْ شَائِكِ وَسَنَامِ
 يَقُودُهُمْ حَارِمِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُحَامِي
 حَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجِنَانَ فَإِنَّهُمْ سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
 مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ لَسْتُ تَضِينُهُمْ تَيْتُ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
 وَفَوْهُ يُجِبُونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَهُ سِرَاعٌ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامِ
 فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَمَاتُ لِمَمْدَانَ أَدْخَلُوا إِسْلَامِ

وَتَحْنُ أَنْاسُ لَا نَدِيلَ لِحَانِفٍ عَلَيْنَا وَلَا نَرْضَى حُكُومَةَ حَائِفٍ
 مَلَكْنَا الْعَوَالِي بِالْمَعَايِ فَجَارْنَا عَزِيزٌ وَمَنْ نَكْفُلُ بِهِ غَيْرَ خَائِفٍ
 وَرِثَاعِنِ الْآبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَائِهَا صَفَائِحُ تُعْنِي عَنْ رُسُومِ الصَّخَائِفِ
 يُؤَمِّرُنَا أَسْيَافَنَا وَرِمَاحُنَا إِذَا لَمْ يُؤَمِّرْنَا لِيَوَاءِ الْخَلَائِفِ
 بَيْنَنَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ كَعَبَّةٍ أَطَافَ بِهَا قَسْرًا مُلُوكُ الطَّوَائِفِ
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيُخْشِنُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِينُ فَمَا نَقَدْنَا إِنْ قَارَضُونَا بِرَائِفِ
 وَسَوْفَ مُجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا وَنَسِي زَعَا فِ السَّمِ أَهْلَ الْكُتَائِفِ
 ٢٣٩ قَالَ الْقُرَيْظِيُّ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَأَاتٍ وَوُحْدَانَا
 لَا يَسْأَلُونَ أَحَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
 لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
 يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشُّوءِ إِحْسَانَا
 كَانَ رَبِّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِحْسَانَا
 فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُوا الْإِغَارَةَ فَرَسَانَا وَرُكْبَانَا
 ٢٤٠ وَلِلَّهِ عُنْرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ غَيْرُ مَجْهُولِ الْمَلِكَانِ
 وَحُسَامِي مَعَ قَنَاتِي إِنْ عَلِيٍّ شَاهِدَانِ
 إِنِّي أَطْعَمُ خَصْمِي وَهُوَ يَقْطَعُ الْجَنَانَ
 أَسْفَهُ كَسِ الْمَنَايَا وَقَرَاهَا مِنْهُ دَانَ

وَجَوَادًا مَا سَارَ إِلَّا سَرَى الْبِرِّ قَ وَرَادَ مِنْ أُقْتَدَاحِ النَّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدَّجَى بِسَوَادِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غَرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأُقْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا قَامَ سَوْقَ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّقَالِ
 كُنْتُ دَلَاهَا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْغَوَالِي
 يَا سِبَاعَ الْفَلَاحِ إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْبُ بَ اتَّبِعِينِي مِنَ الْقَمَارِ الْخَوَالِي
 اتَّبِعِينِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّبِّي وَالرَّمَالِ
 ثُمَّ عَوْدِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ الشُّكْرِ بِنِي وَأَذْكُرِي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخِذِي مِنْ جَمَاجِمِ الْقَوْمِ قَوَاتًا لِيَنِيكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ
 ٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبَ أَوْ تُرْدَهَا تَجِدْنَا مَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودًا
 وَأَعْظَمَهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَالنِّهَا لِبَاغِي الْخَيْرِ عُدُودًا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُهُودًا
 إِذَا نُدِعَى لِشَارٍ أَوْ لِجَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِيدًا
 مَتَى مَا نُدِعَ فِي جُشْمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أَعْمَمَ وَلَا وَحِيدًا
 وَحَوْطِي جَمْعُ سَاعِدَةٍ بِنِ عَمْرٍ وَتَيْمِ اللَّاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحَدِيدًا
 زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ نِلْتُمْ مَلُوكًا وَزَعَمْنَا أَنْنَا نِنَا عَيْدًا
 وَمَا نَبْعِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَتَرَا وَقَدْ نِلْنَا الْمُسُودَ وَالْمُسُودَا
 ٢٣٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

حِصَانِي كَانَ دَلَالَ النَّيَا
وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيْبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي حُبِرَتْ عَنْهُ
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانٍ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعِي :

وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَصِيدِ
نُضْحًا وَإِنْ نَزَّ صَالِحًا لَا نَفْسِدُ
مِنَّا الْجَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ
حَتَّى يُنْسِرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ
عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَجِدِ
حَتَّى تَبُوحَ وَحَمِينًا لَمْ يَبْرُدِ
رُتَعُ الْجَمَالِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ
إِنَّا لَنُصْنَعُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا
وَمَتَى نَخْفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا تَوَّصَعَدْنَا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَنُعِينُ فَاعْلَانَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنُحِبُّ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبِ
فَنَفْلُ شَوْكَتِهَا وَنَفْثًا حَمِيهَا
وَنَحْلُ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بِيُونَنَا
٢٣٦ وَقَالَ عَنَتْرَةُ الْعَبْسِي :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصَّخْرِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبَتْ بِهِ أَلْدَهْ
وَسِينَانًا إِذَا تَعَسَّفَتْ فِي اللَّيْلِ
أَنْتِ وَاللَّهِ لَمْ تُلْمِي بِبَالِي
رِوَأَقْوَى مِنْ رَأْسِيَاتِ الْجَبَالِ
رَتَخَتْ عَنْهُ الْقُرُونُ الْحَوَالِي
لِ هِدَانِي وَرَدَّنِي عَنْ ضَلَالِي

وَإِنِّي لَأَسْتَعْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْغَنَى
 وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي
 وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
 وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيْقَتِي
 وَأَسْتَنْفِذُ أُمُورِي مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
 وَأَمْنَحُهُ مَا لِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي
 وَيَعْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
 وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
 وَأَسْتَبِيذِي وَجِهَيْنَ فِيمَنْ عَرَفْتَهُ
 وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تَغْيِرُ شَيْئِي
 ٢٣٤ وَلِعَنْتَرَةَ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
 وَدَافِعٌ مَا أُسْتَطَعَتْ لَهَا دِفَاعًا
 وَلَا تَحْتَرُ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
 وَحَوَاكٍ نِسْوَةٍ يَنْدُبْنَ حَزْنًا
 يَقُولُ لَكَ الطَّيِّبُ دَوَاكَ عِنْدِي
 وَلَوْ عَرَفَ الطَّيِّبُ دَوَاءَ دَاءٍ
 وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكَنَا
 أَقْنَا بِالذَّوَابِلِ سَوْقَ حَرْبٍ
 وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
 وَدَافِعٌ مَا أُسْتَطَعَتْ لَهَا دِفَاعًا
 وَلَا تَحْتَرُ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
 وَحَوَاكٍ نِسْوَةٍ يَنْدُبْنَ حَزْنًا
 يَقُولُ لَكَ الطَّيِّبُ دَوَاكَ عِنْدِي
 وَلَوْ عَرَفَ الطَّيِّبُ دَوَاءَ دَاءٍ
 وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكَنَا
 أَقْنَا بِالذَّوَابِلِ سَوْقَ حَرْبٍ

نَهْدًا وَذَا شَطْبٍ يَشْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًّا
 وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلٌ كَعَمِيًا وَنَهْدًا
 قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ تَمَرُّوا حَقًّا وَقَدًّا
 كُلُّ أَمْرِي يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا
 نَازَتْ كَبَشْتَهُمْ وَلَمْ أَرْ مِنْ زَالِ الْكَبْشِ بُدًّا
 هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنْذُرُكُمْ بِأَنْ أَشَدَّا
 كُمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بِوَأْتَهُ بِيَدِي لِحَدًّا
 مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَالَعْتُ وَلَا يُوَدُّ بَكَايَ زَنْدًا
 الْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخَلِقْتُ يَوْمَ خَلِقْتُ جَلْدًا
 أَغْنِي عَنَّا الْأَذَاهِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ
 ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَنَّا وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَبِيدٍ فِي طَابِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ:
 أَطْوِي فَيَأْتِي الْفَلَاحَ وَاللَّيْلَ مُعْتَكِرٌ
 وَلَا أَرَى مُؤَسَّأً غَيْرَ الْحُسَامِ وَإِنْ
 فَخَازِرِي يَا سِبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ
 وَرَافِقِي تَرِي هَامًا مُفْلَقَةً
 مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدَسَتْ طَالِبُهُ
 وَلَا دِيَارَهُمْ بِالْأَهْلِ أَسْتَهْ
 ٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
 وَفِي الْحَرْبِ أَعْوَانٍ وُلِدْتُ طِفْلاً
 فَمَا لِلرُّمْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبٌ
 وَلي بَيْتٌ عَالٍ فَلَاكَ الثَّرِيَا
 ٢٣٠ وَقَالَ أَيْضًا يَفْتَخِرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرٍ لَا يُعَادِي
 وَأَظْهَرَ نَصْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
 أَعْلَلُ بِالْمَنَى قَلْبًا عَلِيًّا
 تُعِيرُنِي أَعْدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
 وَرَدَّتْ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالَ حَوْلِي
 وَخُضْتُ بِمُهْجَتِي بِحَرِّ الْمَنَايَا
 وَعَدْتُ مُخَضَّبًا بِدَمِ الْأَعَادِي
 وَسَيَّنِي مُرْهَفُ أَحْلَدَيْنِ مَاضٍ
 وَرُحِّي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِينًا
 وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِمَانُ رُحِّي
 ٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ :

فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّتَ بُرْدًا
 وَمَنَايِبُ أَوْرَشَ مَجْدًا
 يَغَةَ وَعَدَاءُ عُنْدَا
 أَعَدَّتْ لِلْحَدَثَانِ سَا

أَبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ

٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ:

أَنَا أَشْعَرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرِ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوَّنَهُ الْوَرَى بِالطَّبَعِ لَا يَتَكَلَّفُ الْإِلْقَاءَ
كَالصَّوْتِ فِي قَلْبِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوَبَ الْأَصْدَاءُ
٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعَسَايِيُّ الْأَسْوَانِيُّ:

جَلَّتْ لَدَيَّ الرَّزَايَا بَلْ جَاتْ هَمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
عَيْرِي يُعِيرُهُ عَنْ حُسْنِ شَيْتِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مَحْرَقَةً أَكَانَ يَشْتَبِهُ الْيَاقُوتَ بِالْحَجَرِ
فَلَا تَعْرَنُكَ أَطْحَارِي وَقِيمَتُهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرِّ
وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ النُّجُومِ عَنْ صِغْرِ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَلِكَ مُحْمَرٌ عَلَى الْبَصْرِ

٢٢٩ قَالَ عَنَّا تَهْدِدُ هَوَازِنَ وَجْشَمٍ وَكَانَا قَدْ أَعَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسَ:
سَكَتُ فَعَرَّأْتُ عَدَائِي السُّكُوتُ وَظُنُونِي لِأَهْلِي قَدْ تَسَيْتُ
وَكَيفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمِ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَبِيْتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجِبْتُ مَتَى دُعِيْتُ
بِسَيْفٍ حَدَهُ مَوْجُ الْمُنَايَا وَرَمَحٍ صَدْرَهُ الْخَيْفُ الْمُمِيْتُ
خَلَقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلِيْتُ

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزِّ لِعِزَّتِهِ كُنْتَ الْأَحَقَّ بِتَعْمِيرِ وَتَخْيِيدِ
تَبَلَى الْكُرَامُ وَأَثَارُ الْكُرَامِ وَمَا تَزْدَادُ فِي كُلِّ عَصْرِ غَيْرَ تَجْدِيدِ
٢٢٣ لَا يَبِي الشَّيْصِ الْخَزَاعِي :

عَشَقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغَلٌ بِهَا وَالْمَكَرَمَاتُ قَلِيلَةٌ الْعَشَاقُ
وَأَقَامَ سُوقًا لِلثَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقَ الثَّاءِ فِي الْأَسْوَاقِ
بَثَّ الصَّنَائِعَ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ تَحْجِي إِلَيْهِ مَحَامِدُ الْأَفَاقِ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوْتَةَ :

قَوْمٌ إِذَا اقْتَحَمُوا الْعَجَاجَ رَأَيْتَهُمْ أَسَدًا وَخِطَاتَ وُجُوهِهُمْ أَقْمَارًا
لَا يَعْدِلُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ عَدَلُ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَمَةِ بَدَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارًا
وَإِذَا زِنَادُ الْحَرْبِ أُخِذَ نَارُهَا قَدَحُوا بِأَضْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَارًا

٢٢٥ قَالَ الْعَرَنْدَسُ يُمَدِّحٌ قَوْمًا :

هَيِّنُونَ أَيْنُونَ أَيْسَارُ ذُووِ كَرَمٍ سُوَاسُ مَكْرَمَةِ أَبْنَاءِ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يَعْدُ الْمَجْدُ مُتَلَدًا وَلَا يَعْدُ نَثَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ تَطَقُوا وَلَا يِمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتَ سَيْدِهِمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسِي بِهَا السَّارِي

٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ النَّبَشِيُّ فِي عَلِيٍّ بَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ :
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَاةَهُ وَاللَّيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَاتِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

لَيْسَ ضَعُفٌ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ
يَضْعَفْ قُوَى عَمَّاكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
لَوْ كَانَ أَفْضَلَ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشَهُمْ
دُونَ الْعُقُولِ إِنْ كَانَ أَفْضَلَ لِلْأَسَدِ
٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ أَلَيْبِي :

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفَاءً وَمَعْنَى
تَعْتَلِي كَوَكْبًا وَتَشْرُقُ تَمَسًّا
وَتُحَايِي لَيْثًا وَتَنْهَلُ مِرْنَا
٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِي وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
فَلَيْسَ تَرْحَلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشَبَةٌ
قَلِيلَةَ الْعَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
٢١٩ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ السَّبْعَاءُ فِي
سَيْفِ الدُّوَلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ النِّمَامُ نَعَامُ
فَهَذَا يُبْدِلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنْعَمٌ
وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي
وَعَزَمَكَ إِنْ فَلَ الْحَسَامُ حُسَامُ
وَذَاكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لِهَامُ
٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسَيْطِيُّ فِي نَجْلِ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :

فَتَّى جَمَعَ الْعُلَمَاءُ عِلْمًا وَعَمَّةً
كَمَا جَمَعَ التُّفَاحَ شَكْلًا وَبَهْجَةً
وَجُودًا وَبَأْسًا لَا يُفِيقُ قَوَاقِمًا
وَرَائِحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقًا
٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ لَهَيْعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَّالُهَا
فَهُمْ أَنْجَمٌ فِيهَا وَأَنْتَ هِيَ الْهَالِكَةُ
٢٢٢ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ غَلْبُونَ :

وَلَقُرُقُورٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
 قَدْ تَأَنَيْتَ الْبَقَاءَ لَهُ فَأَبَى الْخُتُومُ مِنْ قَدْرِهِ
 فَلَمَّا أُنْشِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُؤْفَ
 وَسَرَّ بِهَا وَأَصْرَلَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ

٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو دُؤْفَ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلٍ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ صَرَ بِأَمْرَاتَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ •
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا: هَذَا أَبُو دُؤْفَ. قَالَتْ: وَمَنْ أَبُو دُؤْفَ •
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ: (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُؤْفَ). (قَالَ):
 فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُؤْفَ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ. قَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: مَا لَكَ يَا أَخِي
 تَبْكِي. قَالَ: لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْأَغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمَدْحِ:

أَهْلٌ بَانَ يَسْعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى
 فَلَقَدْ غَدَا بِالْمَكْرُمَاتِ مُقَلِّدًا
 ٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ يَمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ:

صَاقَ الزَّمَانَ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مَلِكِ
 وَنَحْنُ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلِ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا:

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمِشِي عَلَى قَدَمِ
 عَمَلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الخَبْرَا
 إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَّ صَارِمُهُ
 لَيْتُ يَلِاقِي رِجَالَ الحَرْبِ مُقْتَدِرًا
 يَا حَامِيًا عَبَسَ قَدْ بَنَانَا عَلَى وَجَلِ
 لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الحَطْبِ تُدْرِكُنَا
 وَمِنْ دِمَاهِمُ تَرَوِي الصَّارِمَ الذِّكْرَا
 ٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا دَأْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قَرْقُورًا فِي الحَرْبِ

إِمْتَدَحَ مِنْ وَائِلِ رَجُلًا
 المَنَايَا فِي مَنَاقِبِهِ
 مَلَأْتُ تَدَى أَنَامِلُهُ
 مُسْتَهْلٌ عَنْ بَوَاهِبِهِ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَأْفٍ
 فَإِذَا وَوَى أَبُو دَأْفٍ
 يَأْدُوَاءَ الأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ
 كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
 مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ
 وَزُخُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ
 قُدَّتْهُ وَأَمُوتُ مُكْتَمِينَ
 زُرَّتُهُ وَالْحَيْلُ عَائِسَةٌ
 خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا
 عَصَرَ الأَفَاقَ فِي عَصْرِهِ
 وَالْعَطَايَا فِي ذُرَا حَجْرِهِ
 كَأَنْبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
 كَأَنْبِسَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ
 بَيْنَ بَادِيِهِ وَمُسْتَضْرِهِ
 وَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
 وَمَدْيَلِ الأَيْسَرِ مِنْ عَسْرِهِ
 بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
 يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُقْتَنَرِهِ
 كَهَيْبَةِ الحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
 فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجْرِهِ
 تَحْمِلُ البُوسَ عَلَى عَقْرِهِ
 كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطِقُ بِهِ وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ تَجِدُ مِاءَ الْمَسَامِعِ رِأْفَوَاهِ وَالْمَقَلِ
 ٢٠٨ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ فِي أُخْيَاهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَبِيهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
 حَقِّ الْوَالِدِ بِيَزَادَةِ مَدْحٍ لَا يَنْقُصُ بِهِ حَقُّ الْوَالِدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَ لَهَا وَهَمَّا يَتَعَاوَرَانِ مِائَةَ الْفَخْرِ
 وَهَمَّا وَقَدْ بَرَزَا كَكُنْهُمَا صَمْرَانَ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرِ
 بَرَقَتْ صَنِيجَةٌ وَجْهَهُ وَالِدِهِ وَضَى عَلَى غُلُوَانِهِ يُجْرِي
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكَبِيرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلْحَى فِي بَنِي سِنَانٍ :

قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَنْسِبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَتَعَدُّ فَوْقَ السَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَبَائِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمُ بْنُ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ فَيَاضَ يَدَاهُ عِمَامَةٌ عَلَى مُعْتَمِيهِ مَا تَقُبُّ فَوَاضِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَبَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُو شِمَّةٍ لَا تُتَلَفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتَلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ

٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانَ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَنْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتِ وُجُوهُ الرِّجَالِ
 فَرَعٌ نَبْعٌ يَهْتَرُ فِي عُصْنِ الْأَمْجِدِ غَزِيرُ الْأَلْهَى عَظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَسْبَحَ فَجَزُو نَاوَكَيْكَ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ

٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

٢٠٣ قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدَحُ غُسَّانَ حِينَ ارْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ جِيرَانًا تَرَكَتَهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجَلَّوْا أَيْلَةَ الظُّلَمِ
هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوْلَاءِ وَالنَّعَمِ
أَحْلَامٌ عَادٍ وَأَجْسَادٌ مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْمُعَقَّةِ وَالْأَفَاتِ وَالْأَلَمِ

٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَائِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِخَافَتِيهِ وَقَامُوا
فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصُّوْلُ عَلَيْهِمْ وَكَانَهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَطَمَ عَلَيْهِ
٢٠٥ قَالَ ابْنُ بُبَايَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَاتَمَتْنَا هِبَاتُهُ فَنَشْرُ الْعَطَا مِنْهُ وَنَنْظُمُ الشَّنَاءِ مِنَّا
يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُنْشِي لَهُ لَفْظًا فَيُنْشِي لِنَامَعِنِي
٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا مِيعَ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَتَّقِيَانِ
وَمَنْ قَمَّ فِي الْمُعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بِأَثَبَتْ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَمَّا خُلِقَتْ كَفَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعْقَلْ لَهْنٌ ثَوَانِي
لِتَقْيِيلِ أَفْوَاهِهِ وَإِعْطَاءِ نَائِلِ وَتَثَابِيبِ هِنْدِي وَحَبْسِ عِنَانِ
٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْقَيْرَوَانِي :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَحْفَلُ بِجَادَتِهِ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلِ عَنِ الْأَسَلِ

مَنَابٍ فِي الْجَلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَّبَعُ

١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ :

تَرَكَ الْمَنَابِرَ وَالسَّرِيرَ قَرِضًا وَلَهُ مَنَابِرٌ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرٌ
وَالْغَيْرُ يُجِبِي الْخِرَاجَ وَإِنَّمَا يُجِبِي إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ وَأَجُورُ

٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ :

إِنَّ الْإِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلَلَ الْبَرَايَا ظَاهِرًا وَدَخِيلاً
حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا مَحْمُولًا

٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ :

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضْنَا وَأَسْتَمْنَاكَ فِي النَّوَابِ رُكْنَا
وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأْتِي فِعْلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ كَانَ سَمْحًا وَإِذَا مَا هَزَزْتَهُ كَانَ لَدْنَا
أَنْتَ مَاءُ السَّمَاءِ أَخْضَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأُتِجَعْنَا
زَرَعْتَ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَحْبَبْتَ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا

٢٠٢ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَمْدَحُ صَالِحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ :

هُوَ الْعَادِلُ الظَّالِمَ لِلدَّالِ وَالْعَدِيَّ خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتَدَارُهَا
حَسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوءُ مِضَاؤُهُ وَصَفْحَةٌ صَفْحٌ لِلذُّنُوبِ أَعْتَدَارُهَا
لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تُجَنِّي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هِيَاجِ الْحَرْبِ تُوقِدُ نَارُهَا
أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ تَوَاصِرُ وَطَوْرًا سُيُوفٌ دَامِيَاتُ شِفَارُهَا

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَّتْ عِنْدَهُمْ
 أَفَادَنِي الْمَلِكُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
 وَأَشْتَقُّ مِنْ حَقِّهِ بَحْرًا طَغَى وَطَمَا
 فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ
 ١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَصْرٍ :

أَبَا نَصْرٍ نَصِرْتُ عَلَى الْأَعَادِي
 بِرَأْيِي يَهْزِمُ الْجَيْشَ اللَّهُمَّ
 ١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ
 مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا
 عَقَلَتِ السُّنُحُومُ عَنْ قَوْلِ لَا
 مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَا جَدُّ
 زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زِينَتْ
 ١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أَحِيَّةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبِ
 بَنِي فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنْزِلًا
 وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمِ الْكُرْبِيَّةِ سَيْفُهُ
 وَإِنْ وَهَبَتْ كِفَاهُ وَالْعَيْثُ هَاطِلٌ
 وَيَأْمَنُ فِي آيَاتِهِ كُلُّ خَائِفٍ
 فَنَادَ أَبَا عَمْرٍو أَحِيَّةَ يَسْمَعُ
 لَهُ فَوْقَ أَكْنَافِ السَّمَاءِ كَيْنِ مَوْضِعِ
 رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السَّيْفِ يَمْعُ
 يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ تَطْلَعُ
 وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

أَيُّ بُحْتَانٍ قَدْ هَمَى أَجْمًا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنَزِلِ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَزْيَا بِهِ فَهَمَا شِبَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَعِبِ
 قَدْ وَمَقَا شَهْـنَـجَهُ وَسِيرَتَهُ وَأَحْكَامِنُهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعْمَ أَلْفَتِي تُقْرَنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاثِيِ الْخُصُومِ لِلرُّكَّابِ
 تَرَى لَهُ أَلْجَمَ وَالنَّهْيَ خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلِ جَاحِمِ اللَّهَبِ
 سَيْفُ الْإِمَامِينَ ذَاكَ وَذَا إِذَا قَلَّ بُنَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
 ذَا مَوَادَّةٍ لَا يُخَافُ نَبُوتَهَا وَدِينَهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا مَعِينَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَثْبَنَّاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمُدِيحِ وَهُوَ مُحْتَاجٌ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَنَا مِنْ أَمِيرِ خَيْرِ كَسْبِ لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَاءِ
 وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَضْحِكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلَقِي . وَقَالَ : لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَخَلَّصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لِعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ
 (الآغَانِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ يُمْدَحُ آلَ فَرِيعُونَ :

بَنُو فَرِيعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُورٌ أَهْدَى وَضِيَاءُ السُّودِّ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خُلِقُوا مِنْ سُودِّ وَعَالٍ وَسَاوَرُ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلَالِ
 مَنْ تَقَى مِنْهُ تَقَلُّ هَذَا أَجْلِهِمْ شَانًا وَأَسْحَمَهُمُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

أَخَاصَتْ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَقَّيْتُ فِيهِ بِالْمُدُورِ
 لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُعَبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ
 مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفُؤَادِ وَبَيْنِ مَكْتَبِ الضَّمِيرِ
 يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا وَاللَّخْطَبِ الْخَطِيرِ
 كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَوْ أَمَاقِي بِالذَّمْعِ الْغَزِيرِ
 لَوْ لَمْ أُمَّتْ جَزَعًا لَعَمَّ رُكَّ إِنِّي عِزُّ الصُّبُورِ
 يَوْمِي هُنَاكَ كَأَسِيدِ نِ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
 يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلِ أَوْ هَابِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ
 الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ خَضَمَ الْعُودِ ذَا وَرَقِ نَضِيرِ
 وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَا فَةً وَهِيَ أَرْسَى مِنْ تَبِيرِ
 قَدْ حَالَتْكَ وَعَاقَدَتْكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ لِلْفَتْحِ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ عَجْزُ
 وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ فَمَتَّمَّ بِأَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
 ١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْهَاهَا :

أَعْمَلًا وَسَمَلًا بِسَيْدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرْرِ الْوَاضِحَاتِ وَاللُّجَبِ
 فَتَى بَرَارٍ وَكَهَانَهَا وَأَخِي أَوْ جُودِ حَوَى عَائِنَهُ مِنْ كَتَبِ
 جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ الْهَمُومُ بِهِ حِينَ يَلْزُقُ الْوَضِينَ بِالْحَقَبِ
 شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَائِرَهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
 يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِأَلَا حَطَبِ

خَبَطُوا فِيهِ خَبَطَ عَشَوَاءٌ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُعْضَلَةِ عَمِيَاءٍ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تَيْهِ بِلَا دَلِيلٍ ... (المطرزي)

١٩٢ قَالَ الْبُرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْقَتِي ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَّتْ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرٍ مَنْ يَلُوي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَافَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصَبًا وَأَخْصَبَ رَبْعًا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكُوْرُ النَّيَاضُ فِي آلِ فَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يُجَلُّو وَالزَّمَانَ يُطِيبُ
عَمَامٌ يَعْمُ الْخَلْقَ ظِلًّا فَنَائِلًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَايِكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَارًا وَشَأْنِي وَوَقِيتَ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوْمَلُ مِنْكَ الْبِرَّ وَالْبِرُّ وَاسِعٌ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمَّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقَمَّ بِي وَعَايَنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يُخِيبُ
وَصُنْ مَاءً وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَرَّ عُصْنُ فِي الْأَرَالِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدِيرِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكَّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوِيَ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُضُوعِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَأَقَّةٍ . وَدَخَلَتْ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَى اسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْقَتْعِ وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَتَانَا بِالسَّرُورِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

فِيمَا بَقِيَ فَلَا زُجُودَ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوَاكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصَبَ لَنَا
 جَنَابَكَ وَعَدَبَ ثَوَابِكَ . وَحَسَنَتَ نَظْرَتِكَ . وَكَرَمَتَ مَقْدَرَتِكَ .
 جَبَرَتَ الْفَقِيرَ . وَفَبَكَتَ الْأَسِيرَ . وَالْخَيْرُ بِفِنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مَنْوُطٌ بِلِوَاءِكَ . وَالْحِذْلَانُ مَعَ الْوَيْةِ حُسَادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ مَطَّحَ عَدُوَّكَ غَضَبِكَ . وَهَزَمَ مَقَابِلَهُمْ مَشْهَدِكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدَاؤُكَ . وَشَسِعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفْرُكَ . أَلْذَّهَبُ عَطَاؤُكَ . وَالذَّوَاتُ رَمَزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ

(لابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١
 إِنِّي لَمْ أَرَفِي كُتُبَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصْنِيفِ
 الْعَجْمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَعْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَشْمَلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَكَثَرَ تَضَمُّنًا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنَكَتَ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ الْعَصْرِ . وَكَمَالَ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مُضْجَعَهُ . وَطَبَّ مَهْجَعَهُ . إِنْشَاءً فَآخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَصْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجِزًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعْوِزًا . نَعَمْ كِتَابٌ بَدِيعٌ
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدَّمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْأَعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَمَا خَرَجَ مَشْبُولَ النَّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيهَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ بِنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاظِبُوعًا عَلَى تَفْهَمِ جَمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زَبْمًا

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: الْعَرَبُ كَأَلْبَدَنِ وَقُرَيْشُ رُوحُهَا. وَقُرَيْشُ رُوحُ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبْهَاءُ وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مِلْحُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحِي الْعَالَمِ وَالسَّنَامُ الْأَصْحَمُ. وَالكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ عُنْصُرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَثِيقُ وَمَعْدِنُ الْفَهْمِ وَيَبُوعُ الْعِلْمِ. وَتَهْلَانُ ذُو الْمَضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَاةِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحِ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمُتَدَمُّ. وَالسَّنَامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَمَاءُ الَّذِي لَا يُجَسَّهُ شَيْءٌ. وَكَأَتَمَسِ الَّتِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلَذَهَبٍ لَا يُعْرَفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلنَّجْمٍ لِلْخَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمَانِ (للقيرواني)

مديح الماهون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَعْدَادَ فَمَلَأَهُ وَجْوهَ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ لِي نِعْمَتَكَ وَشُكْرَكَ عَن رِعْيَتِكَ. تَقَدَّمْتُ مِنْ قِبَلِكَ. وَأَتَعَبْتُ مَنْ بَعْدَكَ. وَآيَسْتُ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ. وَأَمَا

١٨٦ لِتَاجِ الدِّينِ بْنِ أَبِي الحَوَارِيِّ فِي المَرْقِصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخْرَتْ عَنْكَ مَدَائِحِي لِأَمْرِ سِوَى أَنِي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رَضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَأَعُ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى مِثْلِكَ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتَمَّاكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى النَّجْرِ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحِ المُرْسِيِّ لِرئيسِ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَدْحَهُ :

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَثْنَيْكُمْ فِي دَوْحِ مَجْدِكُمْ أَقُومُ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسَابُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَصُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أُغْرِدُ

١٨٨ كَتَبَ الحَمْدَانِيُّ إِلَى القَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرِّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ عَدَا لَأَفَرَّقَ اللهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدَا

يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بَعْدٍ وَمَنْ أَخَالِصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا

رَاعَ الفِرَاقُ فَوَادًا كُنْتُ تَوْنُسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الجُنُونِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا

لَا يَبْعِدُ اللهُ شَخْصًا لَا أَرَى أَنَسَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا

أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّ وَفِي عَانِ أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَدَنِي وَلَدَا

مَا زَالَ يَنْظُمُ فِي الشَّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضَلًا وَأَنْظُمُ فِيهِ الشَّعْرَ مُجْتَهِدَا

حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّيْتَنِي فَضَائِلُهُ وَفَاتَ سَبَقًا وَحَارَ الفُضْلُ مُنْفَرِدَا

إِنْ قَصَرَ الجُهْدُ عَنِ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعَذَرُ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا

لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ المَحْدُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الحَادِثَاتُ يَدَا

أَبَقَ لَنَا اللهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَدَا



لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَارٍ إِذْ عَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوَى جُدَاذَا
 غَيْرُ صَاكِّ أَحْمَرَ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ اُعْتَاءَ صَحَّ هَذَا
 ١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّيِّ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ . فَقَالَ مُعْتَدِرًا :
 إِذْ كُنْتُ حِينَ لَمْتَيْتِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِبِكَ
 فَشَغَلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ
 ١٨٤ سَأَلَ الْحَجَّاجُ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ قَالَ . أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
 بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :
 تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضَ مُغْمَرًا قَبِيحُ
 تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يَرَفِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مَبِيحُ
 بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا التَّبَاكِي وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيحُ
 فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تَنُوحُ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَبِالْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيحُ
 وَكُنْتَ بِهِ وَعِرْسَكَ فِي نَعِيمٍ مِنْ الدُّنْيَا وَقَلْبِكَ مُسْتَرِيحُ
 فَمَا زِلْتَ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثُّنُنُّ الرَّبِيحُ
 ١٨٥ لِأَمِيرِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْمَعْرِيِّ فِي الْمَرْقِصِ :
 أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبًا عَرَّتْنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطْرِ
 لِتَنْظَرُ تَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرْتَهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتَ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
 وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صَبِيَةٌ قَدْ رَكَتْهُمْ يُطْلُونَ إِطْلَالَ الْفِرَاحِ إِلَى الْوَسْرِ
 جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جِنَايَةً فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ بُيُوتٌ رَفِيعَةٌ تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّأْبِ بَدَعَانِمِ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَسْتَمِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَسْكَامِ
 وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ الْأَزْهَارَ غَيْرَ الْكَمَاثِمِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورٍ تَمَعْتَهُ وَقَدِجْتِ أَرْجُو الْعَفْوِي زِيَّ ظَالِمِ

فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَتَبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مَجْدٍ بِمَجْدِهِ وَمَجْدَهُ وَمَجْدَهُ
 أَتَاكَ تَجَلُّ خُرُوفٍ فَأَمِنَ عَلَيْهِ بِمَجْدِهِ

١٧٩ كَتَبَ آخِرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الشُّعْرُ عَنْ أَوْصَافِكُمْ فَسَرِي مِنْ طَيْبِ عَرْمِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشِمْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذْنَ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رَفَعْتُ سَمَاةَ عَجَاجَتِي وَالْحَرْبُ تَتَعَدُّ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَقُرُّهُ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ يَحُومُ
 مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نَجُومُ

١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونِ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَعِلْوَدَ الْحَجِيِّ لَأَزِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعِلْمِ تَعْتَرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْأَبَابِ فَقُلْ مُنْعَمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ

١٨٢ كَتَبَ ابْنُ هُدَيْلِ الْغَزَارِيِّ لِلْعَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانَ ابْنِ الْأَخْطِيبِ :

أَحَدٍ وَزَرَءَ دَوَاتِهِ . وَسَيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَدِيهًا فِي وَرِيْقَةٍ
كُرْتُبٍ يَعُودُ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبَلْ أَبَا طَابٍ إِلَيْنَا وَاسْقُطْ سُقُوطَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَتَحْنُ عَهْدُ بَعِيرٍ وَسُطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَنَا مِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ

بَادِيسَ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي الْمِيدَانِ وَقَدَرَمَى بِالنَّشَابِ فَصَنَعَتْ فِيهِ بَدِيهًا :
يَا مَلِكًا قَدْ خَلَقْتَ كَفُّهُ لَمْ تَدْرِ إِلَّا الْجُودَ وَاللَّبَاسَا
إِنَّ النُّجُومَ الزُّهْرَ مَعَ بَعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمَنَّى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى لِنَشَابِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخِطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأُسْتَرَضَاهُ فَأَمْتَمَعَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنَ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ الْمَأْمُولَا
فَكَمْ أُرْتَجَيْتُكَ فِي آتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ فَنَاتُ السُّوَلَا
وَضَلَّتْ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجَدْتُ حِمَاكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُوكِي يَزْدَادُ عَفْوِكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طَوْلَا
فَالْعَفْوُ أَجْمَلُ وَالْتَفَضُّلُ بِأَمْرِي لَمْ يَعْدَمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلَا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بِدَائِعِ الْبَدَائِعِ لِلْأَزْدِيِّ)

١٧٨ وَشِيءَ بَابُنْ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَافَاهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

وَلَا غَرْوَ أَنْ تَعْفُوَ وَأَنْتَ ابْنُ مَنْ عَدَا يَعُودُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجَرَائِمِ

١٧٣ وَقَالَ يَعْتَدِرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيِّ وَتَدْحِبُ عَنْ بَابِهِ :
 قَدْ جِئْتُ مَعْتَدِرًا وَأَعْفُومَن شَيْمِكَ فَأَمَهْدُ لِعُدْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
 وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْحَدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الحليل ويزيد بن المزيدي

١٧٤ وُلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ بْنِ أَبِي نَافِعَةَ عَلِيِّ بْنِ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمِعْ أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ تَهْنِئَةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَبَسَمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَشَدَّهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّبَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
 يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النِّزَالِ
 جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيُّونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
 عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيَا تَبَاشِيرٍ وَسِيَا جَلَالِ
 وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ الْأَيَّامِ
 حَتَّى زَاهُ قَدْ عَلَا مَنبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالنَّوَالِ
 وَسَدِّ ثَعْرًا فَكُنِي شَرَّهُ وَقَارِعَ الْأَبْطَالِ تَحْتَ الْعَوَالِ
 كَمَا كُنَّا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَدِي أَفْعَالَهُمْ عَن مِثَالِ

فَأَسْرَلَهُ عَن كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الآغاني)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
 يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مَنَازِلِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبُهَيْجُ .
 وَتَنَفَّسَتْ عَن مِسْكِيهَا الْأَرِيحُ . وَمَاسَتْ مِعَاطِفُ أَغْصَانِهَا . وَتَكَالَتِ
 بِالْأَلْيَاءِ الطَّلَّ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمِ .

عَلَى السَّهْلِ الْحَدَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ السَّوَابِي عَلَى
الْبَدِيهِةِ . فَأَرُوذُنِي تَتَأَلَّفُ لِي نَوَائِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْحِي ، قَالَ : قَدْ
فَعَلْتَ وَجَعَلْتَ أَعْتَدَارَكَ بَدَلًا مِنْ أَمْتَحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفَسْتَ الْخِنَاقَ . وَسَمَّيْتَ مَيْدَانَ السَّبَاقِ . فَأَنشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبِيدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرَى قَبَّةِ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عَوْدُهَا
هِيَ طُوبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلِّ وَلَا تَكُنْ مَسْئَلَتِكَ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهُنَيْدَةَ . فَأَحْرَلَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعَ خَلْعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِي يُعْتَذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمَنْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَمْتَ عَنِّي أَخْلَاقَكَ الْغُرِّيَّ فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَفْوٌ نَمَشُ الْقَصْرِ فَأَخْتَمَ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُنُورَ لَهُ ثَمْرٌ فِي الْوَقْتِ يَتَمَعُّ تَمَعُ الْمَرْءِ وَالْبَصْرَا
حَتَّى آتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدُّرَا
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي آيَاتِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمْرًا
تَسَابَقًا فَأَصَابَا بِالْقَصْدِ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمْرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رَبَّنَا وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
رُكْبٍ مِنْ شُكْرِي وَبِرِّكَ صُورَةٌ فَبِرِّكَ بِي حَيٌّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ الْأَوْلِينَ وَيَا أَبَا الْمُتَأَخِّرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَنَا أَيُّمٌ مُخْتَرِمٌ الْقَرِيئَا
 وَمَضَى وَخَلَّفَ صَبِيَّةً بِعِرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَ
 وَمُهَيَّرَةً عَبْرِي خِلَافَ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
 أَصْبَحَنَ فِي رَيْبِ الْحَوَا دِثٍ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةَ جِرَايَةً كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمَّنْ بِرِدِّ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤَمِّلُ أَفْضَلَ الْمُتَفَضِّلِينَ
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلَ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْلَامٌ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أُمَّيِّ نِضْوًا تَعَاوَرَدَ تَعَاقَبُ الْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَأْسِ

الباهلي والرشيدي

١٦٩ قَدِيمٌ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جَبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءٌ
 يَمَانٌ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسَطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 قَوْذِيهِ . وَأَرَاخِي لَهَا عَذْبَةٌ مِنْ حَلْفِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِيُّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَفَعَ فِي شِعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِيُّ أَسْمَعُكَ مُسْتَحْسِنًا وَأَنْكُرُكَ مُتَهَمًا . فَقُلْنَا
 بَيْتَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْنِي مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْأَمُونَ ابْنَيْهِ وَهَمَا
 حِقَافَاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْقَرْدِدِ . وَأَرَجَمْتَنِي

غَلْمَانِهِ مَاءً • فَيِدْنَاهُ هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بَثَلَتْ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقِيَهُ • فَطَابَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ مَعَ غَلْمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ نُصُولَهَا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتِ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ الْآيَاتِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرَكَّبُ فِي السِّهَامِ نُصُولَ تَبْرِ وَيَرْمِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلَمَرَضَى عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَأَكْفَانٌ لِمَنْ سَكَنَ اللُّحُودَا

وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَحَارِبٍ مِنْ فَرَطِ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَسْكَارُمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيَّغَتْ نُصُولَ سِهَامِهِ مِنْ عَسْجِدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ التَّقَارِبُ وَاللَّندَى

وَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيضِيَّ صَيَّغَتْ نُصُولَهَا
لِيُنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَائِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

الحسين بن الضحاك عند التبركل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّاحِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقٌ فَمَاتَ فَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يُخَاطَبُ الْمُتَوَكِّلَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ ابْنِهِ الْمُتَوَفَّى لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَدِيدِكَ الْمُعْتَرِّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُشَجَّعُ الْوَلَاةُ
 فَقُلْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا وَمَنْ كَفَّاهُ دِجْلَةَ وَالْفُرَاتُ
 فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمَدْحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تَغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تَغْنِي الزَّكَاةُ
 فَأَمَّا إِذْ أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقِبِي الْهُمُومُ السَّاعَاتُ
 فَيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُشِطَّنِي الصَّلَاتُ
 فَتُصَلِّحْ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيُصَلِّحْ لِي عَلَى هَذَا الْمَمَاتُ

فَضْحِكُ وَأَسْتَظِرُّهُ وَأَمْرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوَيْ قَال: وُلِدَ لِلْهَادِي وَوَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِي الْخِلاَفَةَ
 فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
 وَجَاءَنَا مِنْ صُلَيْهِ سَيِّدُ أَصِيدٍ فِي تَشْطِيعِ أَجْدَادِهِ
 فَأَكْثَمَتِ الْأَرْضُ بِهِ بِهَجَّةً وَأَسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيْلَادِهِ
 وَأَبْتَسَمَ الْمُنْبِرُ عَنْ فَرَحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةٌ أَعْوَادِهِ
 كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
 فِي مَحْفَلٍ تَحْتَقُ رِيَاثُهُ قَدْ طَبَقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمْرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الغانبي)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ حَيُودِهِ فَمَطَّشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْمَصِيدَةِ وَجَعَفَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَابْتُكَ عَلَى هَذِهِ الْمُرْتِيَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَالِدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٌ حَيًّا ثُمَّ تَمَعِمًا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُشِيكُ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرَبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَنْظُرُ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبِضْ مِنَ الْخَازِنِ الْمَاءَ وَسِتْمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانَ يُذَكِّرُ جَعْفَرَ أَوْ مَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحْتُمْ مَكَافِيَاءَ عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ سِجَالًا
 فَعَجَلَتِ الْعَطِيَّةُ يَا بَنِي يَحْيَى لِإِسَادِهِ وَلَمْ تُرِدِ الْمَطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَدَلَتْ نَوَالَا
 بَنِي لَكَ خَالِدٌ وَأَبْرُوكٌ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمِكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ إِكْلَ مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصَّلَاتُ وَالصَّلَاةُ

١٦٥ وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجَنُّبِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمُدَبَّرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : اْمْضِ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تَقَارِفُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلَّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْمُجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الشُّيُورِ . فَقَالَ : أَعْرِفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدْ :

قَالَ آخِرُ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَصَحَّتْ خِلَالَ أَبِي حُصَيْنٍ
كَسَانِي طَلَّ وَابِلِهِ وَأَوَى
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا
فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الصُّلُوبِ حَيْبُ
قَالَ آخِرُ فِي قِلَّةِ الْمَرْوَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الْمَرْوَةِ وَهِيَ تَبْكِي
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي
قَالَ الْبَهَاءُ زَهَيْرِي فِي الْمَوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَعِصْنَتَهُ
فَلَا تُنْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى
فَهَا هُوَ مَخْتَوْمٌ لَكُمْ بِخِتَامِ
إِلَيْكُمْ فَذَلِكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن ابى حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنشَدَهُ :

أَبْرَ مَا تَرْجُو الْجِيَادُ حَلَاقَهُ
وَزِيرٌ إِذَا نَابَ الْخِلَافَةَ حَادِثُ
فَقَالَ جَعْفَرٌ : أَنَشِدْنِي مَرِئِيَّتَكَ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ فَأَنشَدَهُ :

أَقْمَنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا
وَقُلْنَا أَيْنَ نَذَهَبُ بَعْدَ مَعْنِ
مُقَامًا لَا زَيْدُ بِهِ زَوَالًا
وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانَوَالًا

أَلْبَابُ التَّاسِعِ فِي اللَّطَائِفِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الْغَضَبِ . رُبَّمَا أُغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَوَاتِهِ
أَوْ شَتَّاهُ فَأَفْخَشَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَنْشَدَهُ :

لَمَّا أَمْنَحْنَا بِالْوَزِيرِ رِكَابَنَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
ثَبَّتَ رَحًا مُلْكِ الْإِمَامِ بِثَابِتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ
يَقْرِي الْوَفُودَ عَالِقَةً وَسَمَاحَةً وَالنَّاسِ كَيْنَ مَهْنَدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غَيْثًا مُرْعَاً مُتَخَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَأَرْجَحَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَحِرَ أَبُو عَبَّادٍ وَعَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ فَقُلْ : قَرْنَا نَا أَوْ صَفَعْنَا وَخَلَصْنَا . فَصَحَّكَ جَمِيعٌ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَصَحَّكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (لابن الطِّقْطَقِيِّ)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا :

عَبَّتْ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبَدَتْ لِي الْعُذْرَا
بَنُو الْجَهْلِ أَبْنَائِي وَأَمَّا أَوْلَا النَّهْيِ فإِنَّهُمْ أَبْنَاءُ صُرَّتِي الْأُخْرَى

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صَنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَخْتَلِسُ بِطُفْهَاهَا الْأَحْلَامَ . صَافِيَةٌ الْجَوَاهِرُ . زَاهِيَةٌ
الْأَزَاهِرُ . لِيِنَّهُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةٌ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِمَةٌ .
وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مَتَكَلِّمَةٌ . قَدِ اعْتَدَلَتْ قُدُودُهَا .
وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاةِ سَعُودُهَا . أَسَانَتُهَا مُرْهَفَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُتَوَفِّةٌ .
تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرِّهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
تَمِيسُ فِي وَشِي أِبْرَادِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بَعْدُوبَةٍ إِبْرَادِهَا . نَشَاتُ
عَلَى شُطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَامَتِ الْأَحْنُ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
الْأَنْبَابِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِبِ . تَدْهَشُ النَّاطِرَ وَتُحْجِلُ
الْعَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتِطَاءِ غَيْرِ الْأَنْدَالِ . الشَّجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنُّصَارَةِ نَوَاطِرَ الْبَهَارِ . وَتَطْرِزُ
بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِإِقَابِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَتْرَةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . تَجَدَّتْ لِلطَّرْسِ فَرَفَعَتْ إِلَى
أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسَمِيَتْ بِالْقَصَبِ (الكحل الدين الحلبي)

١٦١ إِعْتَمَدْنَا وَهَبِ بِقَلَمِ صَاحِبِ فَصْرِ الْقَلَمِ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ :

إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَأَنْتَضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصْمُ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَسَاقَطَ فِي الْقِرطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمَثَلِ الْأَلِي نَقْطَمَهَا وَتَشِيرُهَا
تُقَوِّدُ آيَاتِ الْبَيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْمَبْلَاغَةِ نُورُهَا
تَنْزِلُ الْمُنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شَفْنَا وَتَضِي أُمُورُهَا

إِذَا أَفْخَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ وَعَدَّوْهُ مِمَّا يَكْسِبُ أُجْحَدٌ وَالْكَرْمُ
 كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ فَخْرًا وَرَفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنْ اللَّهُ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
 لِأَبِي الْفَرْجِ بْنِ الدَّهَّانِ

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمَنِيَّاتِ
 نَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعَدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
 فِي شَرَفِ الْكُتَّابِ

١٦٠ الْكُتَّابُ عِمَادُ الْمَلِكِ وَأَرْكَانُهُ . وَعِيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ . وَبِهَاءِ
 الدُّوْلِ وَنِظَامِهَا . وَرُؤُوسِ الرِّيَاسَةِ وَقَوَائِمِهَا . مَا لَيْسَ لَهُمْ فَخْرَةٌ . وَمَحَاسِنُهُمْ
 بَاهِرَةٌ . وَشَمَائِلُهُمْ أَطْيَفَةٌ . وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ . مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
 عَلَيْهِمْ . وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ . بِهِمْ تُحَلَّى الْعَوَاطِلُ . وَتَسْتَسِمُّ
 تُغَوَّرُ الْمَغَاطِلُ . مَجَاسِنُهُمْ بِالْقَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ . وَبِنَدَاهُمْ أُنْدِيَةُ الْقَضَادِ
 مَعْمُورَةٌ . يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ . وَيَنْزَهُونَ الْأَحْدَاقَ فِي
 حَدَائِقِ التَّوَشِيحِ وَالتَّوَشِيحِ . هُمْ أَهْلُ الْبِرَاعَةِ وَاللَّسَنِ . وَشِيئَتِهِمْ لَفٌ
 الْقَبِيحِ وَنَشْرُ الْحَسَنِ . يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ . وَلَا يَمْلُؤُونَ
 مِنْ مَرَاجِعَةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي الْمُنْعِ . دَابُّهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ .
 وَعَدَمُ التَّوْرِيَةِ عَنِ الْعَانِي وَالْمَاهُوفِ . يَحْلُونَ الْكَبِيرَ . وَيَجْلُونَ الصَّغِيرَ .
 وَلَا يَجْلُونَ بِمَرَاعَةِ النَّظِيرِ . لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَاللِّغَاتُ . وَبِأَجْمَلَةٍ
 فَمَدَّ حَارُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كُتِبَتْ فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قَسَتْ خَطَاكَ بِالْمَحْرِ

لِمَنْصُورٍ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوَزْرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ

(مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُقَابِلُهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
يَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُوتٌ أَنْ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأَرْهَفَتْ خَدَمُ
١٥٨ قَالَ حَبِيبٌ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَّنَاهُ تَصَابُ مِنْ الْمَرْءِ السُّكْلَى وَالْمَفَاصِلُ
لَهُ الْجَلُوتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا نَجِيهَا لَمَّا أُحْتَفِلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمُحَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتَهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَابِكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِنْ أُسْتَنْطِقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْحُمْسَ اللَّطَافِ وَأُفِيغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْمُحَافِلُ
إِذَا اسْتَعْدَرَ الذَّهْنَ الذِّكْيَ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاجِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
رَأَيْتَ جَالِيلاً شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاجِلُ
١٥٩ قَالَ أَبُو الْقَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة مادام أهلها
 في تهديد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم إذ القلم في تلك الحال خادم
 فقط منفذ للحكم السلطاني . والسيف شريك في المعونة . وكذلك
 في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها ويقل أهلها بما ينالهم من الهرم .
 فتحتاح الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتتوى الحاجة إليهم
 في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تهديدها .
 فتكون للسيف زية في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
 حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
 فيستغني صاحبها بغض الشيء عن السيف . لأنه قد تهدأ أمره ولم
 يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة
 الدول وتنفيذ الأحكام . والقلم هو المميز له في ذلك فتعظم الحاجة
 إلى تضريفه وتكون السيوف مهمة في مضاجع عيودها . إلا إذا نابت
 نائبة أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
 فيكون أرباب الأعلام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
 نعمة ورؤية . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
 خلواته نجياً . لأنه حينئذ الله التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
 والنظر في أعطائه وتثيف أطرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
 حينئذ وأهل السيوف مستغني عنهم مبعدين عن ناظر السلطان حذرين
 على أنفسهم من بؤاديره . وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم

وَإِذَا مَرَّ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَامِلِ يَحْمِلْنَ شَحِيحًا مُرْهَفًا
 مُتَقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُفَصَّلًا وَمُوصَلًا وَمُشْتَمًا وَمُؤَلَّفًا
 تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا وَقَالَعَهَا قُلْعًا هُنَالِكَ رُجْفًا
 كَالْحَيَّةِ الرَّفْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْفُظًا
 يَرِي بِهِ قَلَمًا يُجِئُ لِعَابَهُ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُشَقَّفًا
 وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيُّ :

أَخْرَسُ يُبَيْكُ بِإِطْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
 يَدْرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَدْرِي
 يَرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
 أَخْرَقُ لَوْ لَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِي
 كَالْبَجْرِ إِذْ يُجْرِي وَكَاللَّيْلِ إِذْ يَغْشَى وَكَالصَّارِمِ إِذْ يَفْرِي
 وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهْيَفُ مُشَوِّقٌ بِبُخْرِيكِهِ يُجِلُّ عَمَدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
 لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَدُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
 تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجَبَانُ
 كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِثْرِهِ ذِيلاً مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
 لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى وَلَا سَمَا لِلْمَلَائِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمُ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

الْبَابُ الثَّامِنُ
فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا
أَقْتُلُ بِالْأَعْرَبِ . وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ . أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ
الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مَرَادُهُ وَإِلَّا
فَيَأْتِي السَّيْفَ مَعَادَهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ أَحَدٌ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
يَبِضُّ السَّمَّاحَ لِأَسْوَدِ الصَّخَائِفِ فِي مُتُونِ جَلَاءِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي أَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْجِدُّ لِلْقَلَمِ
الْكُتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ الْأَسْيَافُ كَالْخَدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

أَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخْوَفَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ الْمُنِيَّةِ فِي جَانِبَيْهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ الْمُنِيَّةِ فِي جَانِبِ وَحْدُ الْمُنِيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَى فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرَّدْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاصِبِ

١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

الْخَيْرِ دَابَّهِمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غَاظَةِ
 جَنَانِكَ . وَأَنْتُمْ عَنْهُمْ مَيْلٌ . وَأَفْضُ فِيهِمْ جُودُكَ وَنَيْلُكَ . وَأَثْبَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفُ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الصَّرَائِرِ . وَالْمُهَلَّةَ عِنْدَ اسْتِخْفَافِ الْجَرَائِرِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَائِرِ . وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحَسَّنَ
 الْأَصْطِنَاعَ وَالْإِحْتِرَاسَ . وَالْإِسْتِكْثَارَ مِنْ أَوْلِي الْمَرَاتِبِ وَالْمَعْلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرِهَ إِلَيْهِمْ مُجَاسَاةَ الْمُلْهَيْنِ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينِ . جَاهِدَ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذَرَ الْكُذِبَ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشَّحَهُمْ إِذَا آتَيْتَ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدْيًا . وَأَرْضَعَهُمْ
 مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ ثَدْيًا . لِيَمْرُنَهُمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرَضَعَهُمْ رِيَاضَةَ الْجِيَادِ . وَأَحْذَرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاؤُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارِكُ الْحَاقِ الذَّمِيَّةَ كُلَّ
 مَا نَجَمَتْ . وَأَقْدَعَهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضْعِيفُهَا . وَيَقْوَى ضَعْفُهَا :
 إِنَّ الْعُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا أَعْتَدَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْخَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَمْلِ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ إِمْكَانِكَ . وَفَرِّقَهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عَبْدَانِكَ . وَاسْتَعْمَلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَأَنْظِرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّمَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّمَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْمُحِبَّةِ وَالْمُتَّقَةِ

(للمقري)

فَالْأَمْرُ يَصْعَبُ ثُمَّ يَرْجِعُ هِينًا
 حَتَّى إِذَا أَذْرَكَتَ مَا أَمَلْتَهُ
 وَلَرَبِّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 أَضْحَيْتَ رَبِّ مَسْرَةً وَحَبُورٍ
 فَاشْكُرْ لِلَّهِكَ وَاتَّبِعْ رِضْوَانَهُ
 إِنَّ الْإِلَهَ يُحِبُّ كُلَّ شَكُورٍ
 وَأَرْغَبُ بِكَ أَنْ تُحْطَ بِنَانِهَا
 خَيْرًا تَخْلِفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
 فَجَمِيعُ فِعْلِ الْمَرْءِ يَلْتَأَدُ عَدَا
 عِنْدَ التَّقَاءِ كِتَابَهُ الْمَشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هَبَةَ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَالِيٍّ مَدْرَسَ أَنَّهُ :
 أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْحَوْرُونَ وَمَا
 يَحْطَى بِجَدْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعُمَرُ
 إِنِّي لِأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ
 حَتَّى أَرَى وَبِهِ أُنْمُو وَأَفْتَحُرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مُكَافَأَةً عَلَى مَنِّ
 أَسَدَيْتَهَا لَتَقَضَى دُونَهَا الْعُمَرُ
 عَهْدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكَرَةً
 وَحَسَنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعٌ سَدَادَكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحَتْ
 بِهِ الْيَلْبَابِي عَلَى أَحْدَانِهَا وَزَرُ
 وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ
 مَضَتْ بِتَاكِيدِهَا الْأَيَّامُ وَالْعَصْرُ
 وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قَسْطًا مِنْ مُمْلِحَةِ
 فَمَا يُرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُدْرُ
 فَأَنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ
 صُلبٌ عَلَى الْعُجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعْرُ
 دَلَائِلُ مُخْبِرَاتٍ عَنْ نَجَابَتِهِ
 كَأَنْتَارٍ تُخْبِرُ عَنْ ضَوْضَائِهَا الشَّرْرُ
 مِنْ مَعَشَرَ حَلَّتِ الْعُلِيَاءُ بَيْنَهُمْ
 يَعُدُّ شُكْرَهُمْ فُخْرًا إِذَا شُكِرُوا
 ١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ أَدَابَهُمْ . وَأَجْعَلِ

قصيدة ابن البواب في وصف صناعة الخط

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّحْرِيرِ وَيَرُومُ حُسْنَ الحُطِّ وَالتَّصْوِيرِ
إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الكِتَابَةِ صَادِقًا فَارْعَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّيْسِيرِ
أَعْدِدْ مِنَ الأَقْلَامِ كُلِّ مُثَقِّفٍ صَبِّ يَصُوغُ صِيَاغَةَ التَّخْمِيرِ
وَإِذَا عَمَدْتَ لِبرِيهِ فَتَوَخَّهْ عِنْدَ القِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
أَنْظِرْ إِلَى طَرْفِيهِ فَاجْعَلْ بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
وَاجْعَلْ لِجَانِبِيهِ قَوَامًا عَادِلًا يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّمْصِيرِ
وَالشَّقِّ وَسَطَهُ لِيَبْقَ بَرِيَهُ مِنْ جَانِبِيهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
حَتَّى إِذَا أَتَقَنْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِثْقَانَ طَبِّ بِالمُرَادِ خَيْرِ
فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ القَطِّ عَزَمَكَ كُلَّهُ فَاقْطُ فِيهِ جُمْلَةَ التَّدْبِيرِ
لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضُنُّ بِسِرِّهِ المُسْتَوْرِ
لَكِنَّ جُمْلَةَ مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا بَيْنَ تَحْرِيفِ إِلَى تَدْوِيرِ
وَأَلْقِ دَوَاتِكَ بِالدُّخَانِ مُدْبِرًا بِالحُلِّ أَوْ بِالحِضْمِ المُعْصُورِ
وَاصْفُ إِلَيْهِ مُغْرَةً قَدْ صَوَّاتِ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِيجِ وَالكَافُورِ
حَتَّى إِذَا مَا خَمَرْتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الحُجْبُورِ
فَاكْبِسْهُ بَعْدَ القَطْعِ بِالمُعْصَارِ كِي يَنَائِي عَنِ التَّشْعِيثِ وَالتَّغْبِيرِ
ثُمَّ اجْعَلِ التَّمْثِيلَ دَأْبَكَ صَابِرًا مَا أَدْرَكَ المَأْمُولِ مِثْلُ صَبُورِ
إِبْدَأْ بِهِ فِي الأَلُوحِ مُتَضَيًّا لَهُ عَزْمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْمِيرِ
لَا تُخْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِّيِّ تَحْطُهُ فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

اللِّسَانُ وَنَهْسَتُهُ الْهَوَاتُ وَقَطَعَتُهُ الْأَسْنَانُ وَنَفْظَتُهُ السَّفَاهُ وَوَعَّتُهُ
 الْأَسْمَاعُ عَنْ أَتْحَاءِ شَتَّى مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ . قَالَ الْجُبَيْرِيُّ :
 طِعَانٌ بِأَطْرَافِ التَّوَافِي كَأَنَّهُ طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقِنَا الْمُتَكَبِّرِ .
 ١٤٩ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ مُحَبَّرَةً :

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى الْخُدَّتِ أَيْمًا وَإِذَا بِمُحَبَّرَتِهِ طِبَاءُ رُبْعٍ
 وَإِذَا طِبَاءُ الْإِنْسِ تَكْتَبُ كُلُّ مَا يَمِي وَيُحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
 يَتَجَاذِبُونَ الْجِبْرَ مِنْ مَلْمُومَةٍ بَيْضَاءَ تَحْمَلِيهَا عَلائِقُ أَرْبَعٍ
 مِنْ خَالِصِ الْبَلُورِ غَيْرَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّمَا سَجَّ يُلُوحُ وَيَلْمَعُ
 إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِيكُهَا فِيهَا حَوْتُهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
 وَمَتَى أَمَلُوهَا لِرَشْفِ رُضَائِهَا آدَاهُ فُوهَا وَهِيَ لَا تَتَمَعُ
 وَكَأَنَّهَا قَلْبِي يَضُنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوَدَعُ

وصف الخط

١٥٠ سَأَلَ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ .
 قَالَ : إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ . وَطَالَتِ أَلْفُهُ وَوَلَّامُهُ . وَأَسْتَقَامَتِ سُطُورُهُ .
 وَضَاهَى صَعُودُهُ حُدُورُهُ . وَتَفَتَّحَتْ عِيُونُهُ . وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأُودُهُ وَنُونُهُ .
 وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ . وَأَظْلَمَتْ أَنْفَاسُهُ . وَلَمْ تَخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ . وَأَسْرَعَ إِلَى
 الْعِيُونِ تَصَوُّرُهُ . وَإِلَى الْعُقُولِ تَثْمَرُهُ . وَقَدَّرَتْ فُصُولُهُ . وَأَنْدَجَتْ
 أُصُولُهُ . وَتَنَاسَبَ دَقِيقَتُهُ وَجَلِيلُهُ . وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ الْوَرَّاقِينَ . وَبَعْدَ عَنْ
 تَصْنَعِ الْمُحَبَّرِينَ . وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامَ النَّسْبَةِ وَالْحَلِيَّةِ (لِلْقِيروَانِي)

الأمم • وجعلت عرضة شارة لسهام الأقوام • وسائل هنا أن يسأل
ويقول : لم عدت إلى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم • فأقول : إني
لم أعدل إليهم اتفاقاً وإنما عدت نظراً واجتهاداً • وذلك أني وقعت
على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم يبق ديوان شاعرٍ مفقٍ ثبت
شعره على المحك إلا وعرضته على نظري • فلم أجد أجمع من ديوان
أي تمام وأي الطيب للمعاني الدقيقة ولا أكثر استخراجاً منها لطيف
الأغراض والمقاصد • ولم أجد أحسن تهديباً للألفاظ من أي عبادة
ولا أنفس ديباجةً ولا أبهج سبكاً • فأخترت دواوينهم لأشتاتها
على محاسن الطرفين من المعاني والألفاظ • ولما حفظتها ألفت ما
سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قالوا : القلم أحد اللسانين وهو المخاطب للغيوب • بسرار
القلوب • على لغات مختلفة من معان معقولة • بحروف معلولة • متباينات
الصور مختلفات الجهات • لقاحها التفكير ونتائجها التدبير • تحرس
منفردات • وتتطق مردوجات • بلا أصوات مسموعة ولا ألسن محدودة
ولا حركات ظاهرة • خالقلم حرف باريه • قطته ليتعلق المداد فيه
وأرھف جانبيه ليرد ما أنتشر عنه إليه وشق رأسه ليتخس المداد
عده • فهناك استمد القلم بشقه ونثر في القرطاس بخطه حرّوقاً
أحكمها التفكير وأولى الأسماع بها الكلام الذي سده العقل والحمه

بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ • وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
 مُتَأَثِّمًا • وَلَا مِنْهُ مُتَلْتَمِئًا • وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
 لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا • وَأَشْجَعُ مِنْ أَبْطَالِهَا • وَقَلَمَتْ أَقْوَالُهُ لِلسَّمْعِ
 مَقَامَ أَفْعَالِهَا • حَتَّى نَظُنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا • وَالسَّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا •
 وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَضَلُّ بِسَالِكِهِ • وَتَقُومُ بِعُذْرِ تَارِكِهِ • وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
 كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ إِسَانُهُ • مَا أَدَاهُ إِلَيْهِ
 عِيَانُهُ • وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ •
 فَإِذَا مَفْرُطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَامٌ مَفْرُطٌ • وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقٍ صَارَ أَبَا
 عُذْرِهِ • فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ • وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
 خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ • وَمَهْدَا وَصَفٍ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ • وَلَقَدْ
 صَدَّقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ آيَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْبَنُّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ • إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا حُتْمُوا
 وَلَا تُبَالٍ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ • قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمَ
 وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعَيْنِ الْمُعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى • وَعَيْنِ
 الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى • وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً • خُمْسُ
 مِنْهَا فِي الْغَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا • وَخُمْسٌ مِنْ جِدِّ الشُّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
 فِيهِ غَيْرُهُ • وَخُمْسٌ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشُّعْرِ • وَخُمْسٌ دُونَ ذَلِكَ •
 وَخُمْسٌ فِي الْغَايَةِ الْمُتَمَهِّقَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا • وَعَدَمًا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا •
 وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْ قَادَهُ اللَّهُ شَرَّهَا • فَلَيْبَأُ هِيَ الَّتِي الْبَسْتَهُ لِبَاسَ

غَرَابَةُ الْمُحَدَّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقَدَمَاءِ • وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
 وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ • أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانَ • وَصَيَّقَلَ أَلْبَابَ وَأَذْهَانَ •
 قَدْ شُهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ • لَمْ يَمِشْ فِيهِ عَلَى آثَرٍ • فَهُوَ غَيْرُ مَدْفَعٍ
 عَنْ مَقَامِ الْإِعْرَابِ • الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ • وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
 الشُّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ • وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ • فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ
 الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ • وَرَاضَ فِي كُرِّهِ بِرَاضِهِ • أَطَاعَتْهُ أَعْيُنُهُ
 الْكَلَامِ • وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ • فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ
 قَوْلَ حَكِيمٍ • وَتَعْلَمُ فَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ • وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْأَنْجَرِيُّ
 فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى • وَارَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى • وَلَقَدْ
 حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزَالَ عَلَى الْإِطْلَاقِ • فَبَيْنَمَا يَكُونُ فِي شَطْفِ نَجْدٍ
 حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرَيْفِ الْعِرَاقِ • وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
 وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ • وَالشَّاعِرُ الْأَنْجَرِيُّ • وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
 أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ • وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةِ عِلْمِهِ • فَإِنَّ أَبَا
 عِبَادَةَ آتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمُقْدُودِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ • فِي اللَّفْظِ
 الْمَصُوغِ مِنْ سَلَاةِ الْمَاءِ • فَادْرَكَ بِذَلِكَ بَعْدَ الْمُرَامِ • مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
 الْأَفْهَامِ • وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ آتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ • وَوَرَقِي فِي
 دِيبَاجَةِ أَنْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ • وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
 أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَقَصُرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ • وَلَمْ يُعْطِهِ الشُّعْرُ مِنْ
 قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ • وَلكِنَّهُ حَظِي فِي شِعْرِهِ بِالْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ • وَأَخْتَصَّ

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ خَالٍ مِنَ الْمَعَارِضَةِ • حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ • مُؤَدٍّ إِلَى
 الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ • وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ • وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ • وَقِيَامُ
 أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالْتِجَارِ • وَتَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ • قِيلَ :
 فَأَلْعَرُوضُ • قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِمَارُ النَّظْمِ • وَرَائِضُ الطَّبَعِ وَسَائِسُ
 الْفَهْمِ • وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ • وَفَلَاكٌ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ •
 قِيلَ : فَأَلْخَطُ • قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَالْهَجَةُ الصَّمِيرِ • وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
 الْخَبْرِ • وَحَافِظُ الْأَثَرِ • وَعَمْدَةُ الدِّينِ وَالِدُنْيَا • وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى • فَبِذَا
 آخِرُ مَا حَكِي عَنِ الْجَلِاحِظِ فِي مَدْحِ الْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحتري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَمَجْمُوعٍ •
 وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ الْعَمْرِ فِي الْحَفُوظِ مِنْهُ وَالْمَسْمُوعِ • فَأَلْقَيْتُهُ بَحْرًا الْأَيُوقِفُ
 عَلَى سَاحِلِهِ • وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ • فَعِنْدَ
 ذَلِكَ فَتَصَرَّتْ مِنْهُ عَلَى مَا تَكْثُرُ فَوَائِدُهُ • وَتَنْشَبُ مَقَاصِدُهُ • وَلَمْ أَكُنْ مِنْ
 آخِذٍ بِالتَّمْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ • فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظْرَهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ • إِذِ
 الْمُرَادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ • فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
 اللَّطِيفِ • فَهَتَى وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَيْثُ فَهُوَ بَابِلٌ • وَقَدْ
 اكْتَفَيْتُ مِنْ هَذَا بِشِعْرِ أَبِي تَمَّامِ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ الْوَلِيدِ
 وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ • وَهَوْلَاءِ الثَّلَاثَةِ هُمُ اللَّاتُ الشَّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاةُ •
 الَّذِينَ خَبَّرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتَهُ وَمُسْتَحْسَنَاتَهُ • وَقَدْ حَوَتْ أَشَارَهُمْ

لإظهار الغامض المشته. وأداة إكشاف الحفي المتبس. وبه تعرف
ربوبية الرب وحجة الرسل. ويحترز به من شبهات المقالات. وفساد
التأويلات. وبه تدفع مضلات الأهواء والتحل. وتبطل تأويلات
الأديان والملا. وينزه عن عبادة التقليد وعمه الترديد. قيل :
فالفلسفة. قال : أداة الضمائر وآلة الحواطر. ونتائج العقل وأدلة
المعرفة الأجناس والعناصر. وعلم الأعراض والجواهر. وعمل
الأشخاص والصور. واختلاف الأخلاق والطباع والسجاياء والغرائز.
قيل : فالنجوم. قال : معرفة الأهله ومقادير الأظلة. وسמות البلدان.
وإقدام الزوال في كل وقت وزمان. وعلم ساعات الليل والنهار في
الزيادة والنقصان. وأمارات الفيوت والآطار. وأوقات سلامة
الزرع والثمار. قيل : فالطب. قال : سائس الأبدان. والمنبه على
طباع الحيوان. وبه يكون حفظ الصحة. ومرة العلة. والوقوف على
المنافع والمضار. والإبانه عن خبايا الأسرار. وعلم يضطر إليه الخاص
والعام. ويفتقر إليه الناس والأنعام. ولا يستغني عنه الصغير والكبير.
ويحتاج إليه الحفير والخطير. قيل : فالنحو. قال : يبسط من العمي
اللسان. ويجري من الحصر البيان. وبه يسلم من هجنة اللحن وتحريف
القول. وهو آلة لصواب المنطق وتسيديد كلام العرب. قيل :
فالحساب. قال : علم طبيعي لا خلاف عليه. واضطراري لا مطعن
فيه. ثابت الدلالة صائب المقالة. واضح البرهان شديد البنيان.

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاهِظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُعْرَبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبَعْدَ شَأْوَرٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثْرِ
فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ وَأَنْبَاءُ الْغَابِرِينَ وَفِصْصُ الْمُرْسَلِينَ وَأَدَابُ
الدُّنْيَا وَالِدِينِ وَمَعْرِفَةُ الْفُرْضِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُصَلِّحَةِ
وَالْمُنْسِدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تَشَدُّ الرَّحَالِ وَحَوْلَهُ يَعْتَكِفُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ وَيَبْقَى اسْمُهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَأَنْفَقَهُ قَوْلٌ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تَعْرِفُ الشَّرَائِعَ
وَتَقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عَصِيَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يُحْتَبِ إِصْحَابِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ وَيُخْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَيَلْبَسُهُ
الْفَنَى وَيُلْبَغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَا قِيلَ: فَأَلْكَامُ قَال: عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَمَقْسَطُاسُ يُعْرِفُ بِهِ الْقَضْلَ وَالرَّجْحَانَ وَمِيزَانَ
يَعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ وَكَبِيرٌ يُمَيِّزُ بِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْحَالِصُ
وَالْمُنْتَوِبُ وَيُعْرِفُ بِهِ الْأَبْرِيذَ وَالسُّتُوقَ وَيَنْظُرُ بِهِ الصَّفْوَ وَالْكُدْرَ
وَسَلَّمَ يَرْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْحَقِيرِ
وَالْحَاطِرِ وَوَادِلَةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَّخْصِيلِ وَإِدْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَوَالَةٌ

وَتَضَاعَفَ نُحُولُهُ . وَتَرَايَدَ ذُبُولُهُ . فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خَمَاعًا . بَعْدَ مَا كُنَّ بَطَانًا .
 وَجِنَّةُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَ أَوْطَانًا . فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
 وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ . ثُمَّ قَالُوا : نَحْنُ لَا نُزِيدُ إِلَّا
 الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ . وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ .
 وَصَبَرْنَا عَلَى ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ . ثُمَّ لَا نَسْتَعِلُّ بِالْمَلَابِسِ وَالْمَقَاخِرِ . فَوَالَّذِي لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ . لَا نُزِيدُ إِلَّا هُوَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَيَحْكُمُ لِأَيِّ شَيْءٍ
 جِئْتُمْ . وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ . قَالُوا : أَتَيْنَاكَ بِبَذْلَةِ الْعَمِيدِ . وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
 مَا نُزِيدُ . وَقَالَ لَهُمُ : أُرْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ . فَأَنَا الْمَلِكُ شِدْتُمْ أَوْ أَيْدِيكُمْ .
 وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْكُمْ . قَالُوا : سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ .
 وَأَنْتَ الْعَزِيزُ وَنَحْنُ الْأَذَلَاءُ . وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ . فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
 تَرْجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا . وَنَحَلَّ عَرَانَا . وَأَضْحَمَلَّ وَجُودَنَا مِمَّا أَعْتَرَانَا .
 فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَعَزَّتِي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ أَفْتِقَادُكُمْ . وَثَبَتَ انْكِسَارُكُمْ .
 فَعَلِيَّ انْجِبَارُكُمْ . انْطَلِقُوا فِدَاوُوا الْعَلِيلَ . فِي ظِلِّ الظَّلِيلِ . وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
 مَقِيلٍ . فَحَصَلُوا حَيْثُ وَصَلُوا . فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا . فَأِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ .
 وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ . وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ :

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامُ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
 أَمَا تَرَى نَفْحَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسَهَا وَبُرُوقِ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
 فَعَشْ هَنِيئًا بَوْصَلٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ مَعَ مَنْ تُحِبُّ وَحُجْبِ الْهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
 وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤَيْتِهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حِمِيهِ أَنْصَدَعَتْ

أَيْدِيهِنَّ . فَتَقَسَّمَهُ بِالسُّوِيَّةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظٌّ مَنْقُوصٍ

إشارة العنقاء

١٤٥ (قَالَ الشَّيْخُ) : لَكُمْ الْإِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ قَهَمْتُمْ رَمَضَ
هَذِهِ الْعِبَارَةَ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بَدَلْنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعْرَفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي
طَلَبِهِ . وَانْتَمَسِكْ بِسَبِيهِ . وَنَعِشْ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمْ بِحَبَابِهِ . وَقَدْ بَاغَنَا
أَنْ بَجَزَائِرِ الْبَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عُنُقَاءُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَايِئِهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ الْبَحْرَ عَمِيقٌ
وَالطَّرِيقَ مَضِيقٌ . وَالسَّبِيلَ سَحِيقٌ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبِحَارٌ مَعْرِقَةٌ . وَبِرَانَ مَحْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ إِلَيْكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ
تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدَّ النَّصَالِ . فَافْهِنَ فِي أَوْكَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْعَجْزَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكَ غَنِيٌّ عَنْكَ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنِحَةٍ . وَتَيَفَّكُرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى
ظَمًا أَمْوَاجٍ . بِإِشَارَةٍ : وَمَنْ يُخْرَجُ مِنْ بَيْتِهِ مَهَاجِرًا . فَسَلَكَنَّ سَبِيلًا عَدَلًا .
إِنْ أَخَذَنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرْمَتَهُنَّ بَرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلَنَ ذَاتَ
السَّمَالِ أَحْرَقَتْهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهَمَّ بَيْنَ سِبَاقٍ . وَحَاقٍ وَحَاقٍ .
وَأَلَّاشِ وَأَحْتَرَاقٍ . وَتَغَاشٍ وَأَسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَأَفْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمُ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رَيْشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا بَيْتٌ مِثْوَالِكِ فَمَوْتِي

إشارة التهمة

١٤٤ فَقَالَتْ أَنْتَلَةَ: إِذَا مَرَامَكَ الدَّهْرُ جَمْرِي فَنَمَّ لَهُ . وَتَعَلَّمَ مِنِّي قُوَّةَ الْإِسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَانْظُرْ إِلَى غُرَّةِ عَزْمِي . وَصِحَّةِ حَزْمِي . وَتَأَمَّلْ كَيْفَ شَدَّتْ يَدُ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلَ مَا فَتَحْتَ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتَنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ جَمَلَةِ الْحَدَمِ . ثُمَّ كَلَّمْتُ بِجَمْعِ الْمُؤَوَّنَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمُعَوَّنَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاحِ . مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَالَمُ الرَّاسِخُ . فَأَذِيرُ مَا أَذْخَرُهُ مِنَ الْحَبِّ الْقَوِيِّ . فِي بُيُوتِي . فَيُلْهِمُنِي فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى . أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتْ أَحَبَّةَ كَرْبُرَةٍ . فَلَهَا حِكْمَةٌ مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلِقَهَا أَرْبَعَ فَلِقٍ فَإِنِهَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ قَطَعَتْ أَرْبَعًا انْتَبَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عُفُونَةَ الْأَرْضِ أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَجَنَّفَهُ السَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّه أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَقْصًا . وَانَّهُمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحَرِصًا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي . لَأَقَمْتَ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا رَتَفَعَّ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَيَكُنْ نَمْلَةً تَجْتَدِي فِي سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلَ خَيْرِهَا . لِنَفْعِ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَائِدِ الْأَشْرَاكِ . فَاِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطَشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ رُجُوعًا . تَحْتَطِفُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَّأَهَا دَابَّةٌ . فَتَأْتِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

لِلتُّرَابِ . وَأَنَا لَسَجِي زِينَةُ الْكَوْعِبِ الْأَتْرَابِ . أَمَا قَدْ ضَرِبَ بَضْعُكَ
الْمَثْلُ . وَأَيْنَ السُّكْحَلِ مِنَ السُّكْحَلِ . وَأَيْنَ الْبَدْرِ مِنَ النُّجْمِ إِذَا أَفَلَ

اشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبَيْوتِ . وَحَبْلِي
مَبْتُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَجَلِ الذِّكْرِ مَشْبُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنْهُ . وَلَا لِأُمِّ عَلِيٍّ حَنَّةٌ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَسْبَجَ الْبَيْتِ أَيْبَاتٍ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوْلُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ الْبَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْخَبَايَا . وَمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْخَفَايَا . فَأَلْقِ لِعَايِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذْرًا مِنَ الْخَطَاةِ وَأَقْلَتِهَا . ثُمَّ
أَفْرِدْ مِنْ طَافَاتِ عَزْلِي خَيْطًا دَقِيمًا . مُنْكَسًا فِي الْهُوَاءِ رَقِيمًا . فَاتَّعَلَّقْ
بِهِ مُسْبَلَةً يَدَيَّ . مُسَكَّةً بِرَجْلِي . فَيَظُنُّ الْغَيْرُ بِتِلْكَ الْحَالَةِ . أَنَّ بِي
مَيْتًا لَا حَيَّةَ . فَتَمْرُ الذُّبَابَةُ فَأَخْطَفَهَا بِجَبَائِلِ كَيْدِي . وَأَوْدَعَهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْعُدَّارَةُ . الَّتِي بَرَّخْرِ فِيهَا غَرَارَةُ . إِنَّمَا جُعِلَتْ
زِينَةُ لِنَقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَلَهُوَا لِلصَّبِيَانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْمُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يُحْوَلُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مَحْضُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَضُولٌ . فَيَا وَجْحَ مَحْرُومِ حُرْمِ السُّؤْلِ :

أَيُّهَا الْمُنْجِبُ فَخْرًا بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِثُوبٍ وَمِنْ الْعَيْشِ بِشُوتِ
وَأَخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلَ وَصَلِي . فَأَنْظَرُ فِي يَوْمِ مِيْلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمَّ . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالْتَرِيَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأَحْمِي عَنْ تَخَالِيطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أُطْعَمُ إِلَّا غِذَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأَشْرَعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِأُمُورٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَبْتَدِرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شُكْوَى . فَأَنْسُجُ
 بِالْهَامِ التَّقْدِيرِ . مَا يَعْجِزُ عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسْئَلُ مِنْ لِعَابِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَائِسَ . تَرِينُ
 اللَّابِسِ . فَأَلْمَلُوكُ تَفْتَحِرُ بِخَزْيِ . وَالسَّالِطِينَ تُتَنَافَسُ فِي أَرْدِيَةِ
 قَزْيِ . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَادَيْتُ شُكْرًا مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِي الْمَسْجِدَ
 قَبْرِي . وَفِي صَيْهِ لَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِمِخْرِي . وَأَبَالِغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعْدَبَةُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْمَجْبُولَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنِّي أَتَلَيْتُ بِحَرِيقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ اعْتَدَى عَلَيَّ ظُلْمًا وَجَارًا . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةَ بِأَوْهِنِ
 الْبُيُوتِ . تَجَاوَرَنِي وَتَجَاوَزَنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَفَقَاتُ لَهَا : وَمِجْكَ أَنْتِ نَسِجُكَ شَبَكَةُ الذُّبَابِ . وَمَجْمَعُ

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أوثقتُ بِشِكَالِي . كَيْلًا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَجْمْتُ
 بِلِجَامِي . لِمَا لَا يَفْسُدُ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِجِزَامِي . خَشِيَةَ مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنَعَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ إِقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّالِمَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيٍّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَالْهَمْتُ التَّمْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرِحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَنْزًا . وَصَحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكُضْتُ فِي مِيدَانٍ وَمَا أَبَدْتُ عِجْزًا .
 فَكَمْ كَسَيْتُ فِي السَّبَاقِ حِزًّا . وَكَمْ حَزَزْتُ أَهْلَ النِّفَاقِ حِزًّا . فَكَمْ
 أَخَلَيْتُ مِنْهُمْ إِلَّا فِاقَ فِهْلٍ تُحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبْتُهُ) تَاللَّهِ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْحِلَالِ أَجْمَاهَا . وَمِنَ الْعَمَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القر

١٤٢ فَقَاتَ دُودَةَ الْقَرِّ : تَاللَّهِ لَيْسَتْ الْفُحُولِيَّةُ بِالصُّورِ وَالْمِيَاكِلِ .
 وَلَا الرَّجُولِيَّةُ بِتَرَكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَأْكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِبَدْلِ
 النِّثَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ مِنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلَاهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٍ . وَلَا أَهْلَ الْوِدِّ وَدُودَةٍ . أَنَا الْمَتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٍ . أَوْخَذُ فِي الْبِدَايَةِ بِزْرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّرَّاعُ بِذَرًّا . فَأِذَا تَمَّتْ
 أَيَّامُ حَمَلِي . وَأَذَنْتِ الْقُدْرَةُ بِمَجْمَعِ سَمَلِي . إِنْ فَصَلَ عَنِ ذَلِكَ الْحَمَلِ

١٤١ فَقَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّيِّبُ سُبُلَ الْمَاءِ . تَعَلَّمَ
 مِنِّي حُسْنَ الْأَدَبِ . وَصِدْقَ الطَّابِ . لِبُلُوغِ الْأَرْبِ . هَذَا أَنَا أَحْمَلُ
 مُبَاهِي . عَلَى كَاهِلِي . فَأَجْتَهِدُ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقُ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
 هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَقْتَحِمُ أَقْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ .
 وَبَلَغَ بِي أَرْبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
 أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُجْجَبَةً . فَلَا يُدْرِكُنِي إِلَّا الْغَبَارُ . وَلَا يَسْمَعُنِي
 إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ الْجَمَلُ هُوَ الصَّابِرُ الْمُجْرَبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
 الْمُقْرَبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُتَمَسِّدُ الْأَلْحِقَ . فَأَنَا الْمُجْتَهِدُ السَّابِقُ .
 فَإِذَا كَانَ يَوْمُ اللَّقَا . وَأَوَانَ الْمُلتَقَى . أَقَدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَبْتُ
 ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَفٌ لِثِقَلِ أَعْمَالِهِ . مُعَاقٌ لِتَمْتِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
 وَرَأَيْتُ شَمَّ حَقُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُؤَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَتَطَعُهَا إِلَّا
 كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَلِكَ ثَمَرْتُ عَنْ سَاقِ . وَتَضَمَّرْتُ أَيَوْمَ السَّبَاقِ .
 وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكِرَهُ الطَّيِّشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
 عِنْدَكُمْ يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقُ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مَرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
 مَطْرُودٌ . هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَفَهِمْتَ الْمُقْصُودَ . وَأَقَمْتَ عَلَى
 نَفْسِكَ الْحُدُودَ . وَأَوْثَقْتَ جَوَارِحَكَ بِالْهُيُودِ . وَذَكَّرْتَ الْأَجَلَ
 الْمُحْدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمُعْدُودَ . وَخَشِيتَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَذَا أَنَا لَمَّا أَوْثِقَ
 سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِسِي مِنْ صَيْدِي .

فَخَالِي عَلَى خَسَاةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَنْقَنُ كُلَّ خِلَالِ

إشارة للجمل

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّائِبُ فِي السُّلُوكِ . إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ . إِنْ
 كُنْتَ تَعَلَّمْتَ مِنَ السُّكْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا . فَتَعَلَّمْ مِنِّي جَلْدًا وَصَبْرًا .
 فَإِنَّ مَنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ . وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ . فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ .
 مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ . هَذَا أَنَا جَمَلُ الْأَحْمَالِ الثَّقَالِ . وَأَقْطَعُ الْمَرَّاحِلَ
 الطَّوَالَ . وَأَسْكَأُ الْأَهْوَالَ . وَأَصْبِرُ عَلَى صُرِّ السَّكَالِ . وَلَا يَمْتَرِيَنِي
 فِي ذَلِكَ مَلَالٌ . وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ الْأَرْدَالِ . بَلْ أَنْقَادُ لَطْفِ الصَّغِيرِ .
 وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَصَبْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ . فَأَنَا الدَّلُولُ . الَّذِي
 لِلْأَثْمَالِ حَوْلٌ . وَفِي الْأَحْمَالِ ذَمٌّ . وَأَسْتُ بِالْحَائِنِ وَلَا بِالْمُلُولِ . وَلَا
 بِالصَّائِلِ عَنِ الْمَصُولِ . وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ . أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ .
 مَا تَعَجَّرُ عَنْهُ الصَّنَائِدُ الْفُحُولِ . وَأَصَابِرُ فِي ظَهْرِ الْهَوَاحِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
 أَحُولُ . فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي . وَبَلَغْتُ مَارِي . أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
 غَارِي . وَذَهَبْتُ فِي الْبُؤَادِي . أَسْتَسِبُّ مِنَ الْمَبَاحِ زَادِي . وَإِنْ
 سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي . سَأَمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي . وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سُهَادِي .
 وَمَدَدْتُ عُنُقِي الْبُلُوغِ مُرَادِي . فَإِنْ ضَلَّتْ فَالدَّلِيلُ هَادِي . وَإِنْ
 زَلَّتْ أَخَذَ بِيَدِي مَنْ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي . فَأَنَا الْمُسَخَّرُ الْكَمُّ بِإِشَارَةِ
 وَتَحْمَلُ أَثْقَالَكُمْ . فَلَا أَرَا بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ . حَتَّى أَصِلَ إِلَى
 ذَلِكَ الْمَقَامِ

أَتَفِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أُحْرِدُ فَاَعُودُ . وَأَضْرِبُ
 وَلَسْتُ بِالْحَقُودِ . وَأَنَا حَافِظٌ لِوَدِّ بَاقٍ عَلَى الْعُهُودِ . أَقُومُ إِذَا كَانَ
 الْأَنَامُ رُقُودًا . وَأَصُومُ وَالْحَيَّوانُ مَمْدُودًا . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودًا . وَلَا
 سِمَاطٌ مَمْدُودًا . وَلَا رِبَاطٌ مَعَهُودًا . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودًا . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرًا .
 وَإِنْ مُنِعْتُ صَبْرًا . لَا أُرَى فِي الْأَفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَافَاتِ
 بَاكِيًا . إِنْ مَرِضْتُ فَلَا أُعَادُ . وَإِنْ مُتُّ فَلَا أُحْمَلُ عَلَى أَعْوَادٍ . وَإِنْ غَبْتُ
 فَلَا يُقَالُ لِيْتَهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِينِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
 فَلَا أَسْتَصْحِبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَمَّارٌ فَيُخْرِثُ . إِنْ فُقِدْتُ
 فَلَا يَبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وَجِدْتُ فَلَا يُنْخِرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
 جِهَاهُمْ . وَأَدُومُ عَلَى وَفَاهُمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلَبِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
 فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَافِي فَتَمَسَّكْ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقْ بِجِبَابِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
 وَفَاقِي . فَتَحَاقَّ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعَلَّمَ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي	وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِجِبَابِي
أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدْرٌ وَلَكِنْ	لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْأَدْغَالِ
أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِ وَدَائِي	أَنْ أُحَامِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ	صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مُتُّ جُوعًا	أَوْ سَقَمْتَنِي الْأَيَّامُ حَصْرَ النِّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهَ أَشْكَرُ لِحَلْقِي	إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ التَّسْكَالِي
أَجْمَلُ الضَّمِيمِ فِيهِ صَوْنًا عَرَضِي	وَفِرَارًا مِنْ مَرْدَلِ السُّؤَالِ

الْحَيْرَةَ . قَدْ أَنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ . فَرَأَيْتَ الْحَسْنَ قَبِيحًا . وَالْقَبِيحَ حَسَنًا .
 الْأَتْرَى إِلَى الْمُدْهَدِ حِينَ حَسَنْتَ سَيْرُهُ . وَصَفْتَ سَرِيرَتَهُ . كَيْفَ
 نَفَذْتَ بَصِيرَتَهُ . فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالنَّظَرِ . مَا تَحْجُبُهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ . فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ الْتَجَّاجَ . كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الرُّجَاجِ . وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ : هَذَا عَذْبُ فَرَاتٍ وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ . وَيَقُولُ : أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتَ مَعَ صِغَرِ الْجُثْمَانِ . مَا لَمْ يُوْتَهُ سُلَيْمَانُ . فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ
 يَقْبَلُ نَصْحِي . فَحَسِّنْ سَيْرَتَكَ . وَأَصْفِ سَرِيرَتَكَ . وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ .
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ . وَتَأَدَّبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ . وَلَوْ أَنَّهَا مِنْ الدُّوَابِّ .
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِإِشَارَتِهِ مِنْ صَرِيرِ الْأَبَابِ وَطَنِينِ الدُّبَابِ . وَنَبِيحِ
 الْكَلَابِ . وَحَشْرَاتِ التُّرَابِ . وَيَفْهَمُ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ .
 وَلَمْعُ السَّرَابِ . وَضِيَاءُ الضُّبَابِ . فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

إشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَدِينَا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخِطَابِ . مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ .
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ . يَلْقُطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْبَابِ .
 فَقَالَ : يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَابِ . يَا مَحْجُوبًا عَنِ الْمُسْتَبِّبِ بِالْأَسْبَابِ .
 يَا مُسْبِلًا ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . تَأَدَّبُ بِأَدَابِي . فَإِنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ دَابِي .
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي . وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي . وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي . فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا . تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 فَعِيرًا . لَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي . غَيْرَ رَاغِبٍ فِي سِيَادَتِي . فَلَا

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَوَلَيْكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أُنَادِي

اشارة المراد

١٣٨ - (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقَفِي . وَحَذَرَنِي مَقْتِي .
 انْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّمِيعُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ . الْمَتَأَسِّفِ عَلَى فَوَاتِ الْخَيْرِ .
 تَاللَّهِ لَوْ صَفَتِ الضَّمَايِرُ . لَنَفَذَتِ الْبَصَائِرُ . وَاهْتَدَى السَّارِ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَائِرُ . وَلَوْ طَابَتِ الْخَوَاطِرُ . لَبَانَتِ الْأَمَائِرُ . وَلَوْ شَرَحَتِ السَّرَائِرُ
 لَطَهَّرَتِ الْبَشَائِرُ . وَلَوْ انْشَرَحَتِ الصُّدُورُ . لَطَهَّرَ لَكَ الْبُحُورُ . وَلَوْ
 ارْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمَسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرَتِ الْقُلُوبُ . لَطَهَّرَتِ
 سَرَائِرَ الْغُيُوبِ . وَلَوْ خَلَّتْ ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . لَرَفَعَ لَكَ الْحِجَابُ . وَلَوْ
 غِيبَتْ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ . أَشَاهَدَتْ عَالَمَ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقَ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْخَطَائِقُ . وَلَوْ خَالَفَتِ الْعَادَةَ . لَمَا انْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَلَادَةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدَتْ عَنِ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلَتْ إِلَى رُتْبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مَلَتْ عَنْ
 هَوَاكَ . نَالَ بِكَ إِلَيْهِ . وَلَوْ فَارَقَتْ أَبَاكَ جَلَمَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعْدَ عَنَّا
 لَوَجَدْتَ الزُّلْفَى لَدَيْهِ . وَوَلَكِنَّاكَ مَسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبِيعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَا لَوْفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشُؤْنِغِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خِيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرْمَمْتَكَ بِرُودَةِ عَزْمِكَ وَأَحْرَقْتَكَ حَرَارَةَ حِرْصِكَ . وَأَثَلْتَكَ نُخْمَةَ
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَمْتَكَ عُقُوبَةَ رُعُونَتِكَ . وَبَرَّيْتَمْتَكَ وَسَارِسَ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهِمَّةِ . مُتَعَمِّدُ الْعَزْمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْفِطْرَةِ . كَثِيرُ

اللَّاحِي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَشَحَّتْ بِوِشَاحِي . وَوَأَفْتَنِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجَبْتَنِي بِالنُّوْحِ . مِنْ سَاوِرِ النُّوْحِ . لَكِنَّ الْمَالِكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عَجْبُكَ وَزَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا عَرَفَ النَّاظِلِ . بِخَرَابِ الْمُنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكْلِ . غُصَّةَ الْمَأْكَلِ . وَأُبَشِّرُ الرَّاحِلِ . بِقُرْبِ الْمَرَّاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ . لَا مَنْ صَدَقَكَ . وَمَنْ عَذَاكَ . لَا مَنْ
 عَذَرَكَ . وَمَنْ بَصَرَكَ . لَا مَنْ تَصَرَكَ . وَمَنْ وَعَظَكَ . فَقَدْ أَيْقَظَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعْتُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوْحُ عَلَى ذَهَابِ الْعُمْرِ مِنِّي وَحَقِّي أَنْ أَنْوْحَ وَأَنْ أَنْادِي
 وَأَنْدُبُ كَمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَادًا يَمُّهُمُ لَوْشُكَ الْبَيْنِ حَادِي
 يُعْنِفُنِي الْجَهْلُ إِذَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَلَيْتُ أَثَابَ الْجِدَادِ
 فَقُلْتُ لَهُ أَتَعْظُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِأَجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَأَخِطِيبٍ وَلَيْسَ بِدَعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رُبْعًا أَنْادِي بِالنَّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوْحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي نَوَاجِيهَا نَوَاحِي مِنْ الْبَيْنِ الْمُقْتِ لِقُودِ
 تَيْقُظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَأَفْهَمُ إِشَارَةَ مَا تُشِيرُ بِهِ الْغَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَاهِدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْغَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَائِحٍ فِيهَا وَعَادِ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ يَبَادِ

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قَصْرًا عَالِيًا ابْشَرْتَ بِدُرُوسِ
 عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْخُلَيْطِ الْمُعَاشِرِ أَشَامٌ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ الْآيِبِ
 الْخَازِرِ . الْأَمُّ مِنْ جَاذِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ رَجُلِهِ الْفَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
 حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحَاكَ أَنْتَ لَا تُتَفَرَّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالنَّبِيحِ . وَقَدْ
 تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالنَّصِيحُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَنْهَمُ وَلَا بِالنَّصْرِ يَحُ .
 كَانَ الْمَوَاعِظَ فِي أُذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامَ الْمَوَاعِظِ فِي نَمْعٍ هَوَاكُ كَالنَّبِيحِ .
 أَمَا تَذَكَّرُ رَحِيلَكَ مِنْ هَذَا الْفَيْحِ الْفَسِيحِ . إِلَى ظَلْمَةِ الْقَبْرِ وَصِقِ
 الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَعَاكَ مَا جَرَى عَلَى أَيْكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
 وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ بِنُوحٍ نُوحٍ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
 بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحُ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمَسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يُتَفَرَّقْ . أَيُّ
 شَمْلٍ لَمْ يُتَمَرَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلُومٍ لَمْ يُتَمَرَّرْ . أَيُّ أَمَلٍ لَمْ
 يَقْطَعْهُ الْأَجَلُ . أَيُّ تَدْبِيرٍ لَمْ يُبْطَلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ لَمْ يُعْقِبْهُ
 نَذِيرٌ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مُقِيمٍ مَا
 زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنِ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذُووُ الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
 ذُووُ الْمَالِ الْخَزِيلِ . أَيْنَ ذُووُ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ جِيلًا
 بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
 أَمَا هَتَفَ بِالْمُتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تُلَوِّمُنِي عَلَى
 نَوَاحِي . وَتَسْتَشْمُ بِصِيحِي . فِي مَسَاءِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيُّهَا

وَدَمَعٌ مَهْرَاقٍ . قَامِحٌ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجْمَلُ ضَرَرِي وَضَيْرِي .
 وَأَحْرَقَ نَفْسِي لِأَشْرَقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مَعْدَبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُسْتَمِعٌ
 بِخَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامَ عَلَى أَصْفَرَارِي ، وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
 الْأَوْبَاشُ . مِنْ الْفَرَّاشِ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذْ هَابَ أَضْوَائِي . فَأَحْرَقَهُ
 مَكَا فَاتَةً لِفِعْلِهِ . وَلَا يَجِيحُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهَائِهِ . فَلَوْ مَلَأْتِ الْأَرْضُ
 فَرَّاشًا لَكُنْتُمْ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مَلَأْتُمْ أَوْبَاشًا مَا أَطْفَؤُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
 يُرِيدُونَ لِيُطْفَؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا مَرْزُوقُ
 تَعْنَاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيُّ نُورٍ
 فَهْدَايَ وَضَالِي بِكَ يَا كَلَّ سُرُورِي
 لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَدُولٍ فِيكَ يَمِينِي بَزُورِي
 وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيُنَمَّا أَنَا فِي نَشْوَةِ هَذَا الْعَتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
 إِذْ تَمَّتْ صَوْتُ غُرَابٍ . يَنْعَقُ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيَنْوَحُ نَوْحَ الْمُصَابِ .
 وَيَبُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْإِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْجِدَادِ جَلْبَابُ .
 وَرَضِي مِنَ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْرِيدِ الثِّيَابِ . فَقَالَتْ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَقَدْ
 كَدَرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَرْتَ مَا كَانَ حُلُومًا شَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَرَلْ فِي
 الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَالِى الْبَيْنِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ سَمَلًا

مَنِّي فَهَرَأَ أَحَابِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدْفَعَ عَنْهُ بَرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
 ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جَنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلِيَّ
 جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تَعَانِي . فَهَمْدٌ رُمِزْتَ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنْكَ لَا
 تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى حَدِّ نِصَالِي :

إِصْبِرْ عَلَى مَرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مِنِّي وَصَالَا
 وَأَتْرَكَ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
 وَمَتَّ إِذَا شِئْتَ تَحْمِيَا وَأَسْتَعْجِلِ الْآجَالَا
 إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَعْنَى فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
 فَإِنْ فَهَمْتَ رُمُوزِي إِقْدِمْ وَإِلَّا فَالَا لَا

إشارة الشع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّخْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْنَعِي إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ
 يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمُعِ غِزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّخْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
 رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْتِي . وَفَرَّقَ اللَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
 أَبِي . وَفِي الْإِبْجَادِ سَبَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ بَحْرِي قِي . أَنَا وَالْحَسَلُ
 شَقِي قِي . وَهُوَ أَخِي رَرَفِي قِي . فَبَيْنَمَا نَحْنُ مُجْتَمِعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمَسَانِ .
 إِذْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَّ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
 فَأَفْرَدَتْ عَنْهُ وَأَفْرَدَعَنِي . وَبِنْتُ مِنْهُ وَبَانَ مِنِّي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَيَّ النَّارُ .
 وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَبِدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتِ رِقِّ
 وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ يَسْتَضِيئونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ .

إشارة النحل

١٣٥ (قَالَ): فَكَانَتْ النُّحْلَةُ: يَا لَهَا مِنْ نُحْلَةٍ. مَا صَحَّحَ فِي رِوَايَتِهَا رَحْلَةً.
 فَأَلْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَادُ. وَقِيلَ دَعْوَاهُ. وَعَلِمَ صَفَاءَ سِرِّهِ مِنْ نَجْوَاهُ.
 وَمِنْ مُحَاقِقَتِهِ دَعْوَاهُ. ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَادُ. فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ.
 وَلَا تُرَبِّ فِرْعَا يُنْقِضُهُ أَصْلُكَ. أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي.
 كَيْفَ رَفَعْتَ رُتْبَتِي. وَعَلَامَنْ صِيبِي. وَكَمَلْ أَدْبِي. لَوْلَا أَيْيَ أَكْسَلْتُ
 الْحِلَالَ. وَلَكَيْفَ أَشْرَفَ الْحِلَالَ. حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالَ. أَسَلْتُ سُبُلَ
 رَبِّي ذَالًا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعْمِهِ فُضُولًا وَجَمَلًا. أَبْتَغِي الْمُبَاحَ. الَّذِي لَيْسَ
 عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جَنَاحٍ. فَأَجْعَلُ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمَنْ مُبَاحِ الْأَشْجَارِ
 قُوَّتِي. أَبْتَنِي بُيُوتًا يُعْجِزُ كُلَّ صَانِعٍ عَنِ تَأْسِيسِهَا. وَيُخَيِّرُ أَفْلَيْدُسَ فِي
 حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ أَسْقِطُ عَلَى الزَّهْرِ وَالثَّمْرِ. فَلَا أَكُلُ ثَمْرَةً.
 وَلَا أَهْشَمُ زَهْرَةً. بَلْ أَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ. فَأَتَعَدَّى بِهِ
 قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عَشْبِي. وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي. فَأَشْتَعِلُ
 فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأَخْلَصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتَرُ عَنْ
 الذِّكْرِ. وَلَا أَغْمَلُ عَنِ الشُّكْرِ. قَدْ أُنْبِجَ عَلَمِي وَعَمَلِي. سَمِعِي وَعَسَلِي.
 فَالْتَمَعْ ثَمْرَةَ الْعِلْمِ الْمُنْقُولِ، وَالْعَسَلِ ثَمْرَةَ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ. فَالْتَمَعْ لِلضِّيَاءِ.
 وَالْعَسَلِ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَائِي. وَإِنْ أَتَانِي
 عَلِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أَجْرِعَهُ مَرَارَةً
 لَسْمِي. وَلَا أَنِيلَهُ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جُهْدِي. فَإِنْ أَقْتَنَصَهُ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَاحٍ . وَفِي الْبَحْرِ سَاحٍ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَاحٍ . وَقَدْ جَمَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَنْزِي . فَأَعْوَصُ فِي
 صَفَاءِ تَلَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَا إِلَيْهِ . وَأَطَّلِعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَائِلِهِ . لَمْ
 يَنْظُرْ إِلَّا بِزْبَدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَحْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَجَلَاغِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَطِّمِ لِحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْأَسْعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ فُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِلْسَّمَاتِ نَحَّاتِهِ . مَا دَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَشَائِفَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى مَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ .
 فَهَذَا لِكَيْ يَتِمَّ إِلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرِدُ مِنْ عَذْبِهِ وَفِرَاتِهِ :

يَا طَابَ الْبَاءُ لِلْمَعَالِي مَهْرُ الْمَعَالِي غَالِي
 قَدِّ قَاوُلُ نَقْدِ مُعْجَلُ الْآجَالِ
 مَا اسْتَعَذَبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرَّجَالِ
 حَمَاهُ دُونَ الْوَصَالِ حَمَةٌ حَدِّ النَّصَالِ
 كَذَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي حَفَّتْ بِسَمْرِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جِنَاهُ لَدَغُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حَمَاهُ ذَوُ الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَأَتْرُكْ مِنْ أَزَلِ الْأَبْطَالِ

وَرَدِّي سِرًّا وَلَا إِجْهَارًا . قَسَمْتُ وَظَائِفَ الطَّاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ السَّاعَاتِ .
 فَمَا تَرُ سَاعَةٌ . إِلَّا وَبِي فِيهَا وَظِيفَةٌ طَاعَةٌ . فِي تَعْرِفِ الْمَوَاقِيتِ . وَلَا
 تَعْلُو قِيَمِي وَلَوْ أُشْرُتِ بِالْيَوَاقِيتِ . فَهَذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَالِي .
 وَإِشْفَاقِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ الدَّجَاجِ . أَفْعُ بِالْأَجَابِ . وَلَا أَخْتَصُّ
 دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَمْجِرُ دُونَهُمْ بِشَرْبَةٍ . وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحُبَّةِ . إِنْ
 رَأَيْتُ حَبَّةً دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي الْإِيثَارُ . إِذَا
 حَصَلَ الْفِتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوَّعْتُ لِأَهْلِ الدَّارِ . أَصْبِرُهُمْ عَلَى سُوءِ الْجَوَارِ .
 يَنْدُبُونَ أَفْرَاحِي . وَأَنَا لَهُمْ كَالْحِلِّ الْمَوَاحِي . وَيَنْتَبِهُونَ أَتْبَاعِي . وَأَنَا فِي
 نَعْمِهِمْ سَاعِي . فَهَذِهِ سِمَةُ أَوْصَافِي . وَسَجِيَّةُ إِنْصَافِي . وَاللَّهُ لِي كَافِي :
 بِذِكْرِ اللَّهِ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ وَيَدْنُو الْحَزِينُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
 وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يُصْنِي وَيَدْرِي مَعَانِي مَا أَقُولُ وَمَنْ يَعِيهِ

اشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَتَادَى الْبَطُّ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْغَطُّ . وَقَالَ يَا مَنْ بِدَيْ
 هِمَّتِهِ انْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقَى . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الضَّيْرِ فَتَبْقَى .
 فَأَنْتَ كَأَمَلْتِ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ . وَلَا لَزُومَكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ يَنْفَعُ .
 سُفُوطَ نَفْسِكَ الْقَالِكَ عَلَى الْمَزَابِلِ . وَوَقُوفَكَ عِنْدَ الطَّلِّ حَجَبَكَ عَنْ
 الْوَابِلِ . وَمَا رَجَّحَ فِي الْمَتَاجِرِ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ الْمَرَاحِلَ . وَلَا يَنْظُرُ بِالْجَوَاهِرِ
 مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ ثَبَتَ تَمَكِينُكَ . وَقَوِيَ يَقِينُكَ . لَطَرْتَ فِي
 الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرِنِي كَيْفَ مَلَكَتُ هَوَايَ . فَمَا كُنْتُ

فَلذَلِكَ زَاحَمَتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَاتَّشَبَهَ بِهِمْ .
وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَتَّخَقَ بِهِمْ وَأَخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلَّتْ
قِيَمَتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ النَّدِيمِ . وَالْفَ بِيَدِي وَبَيْنَهُمْ
السَّمِيعِ الْعَلِيمِ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبِرْ حَالِي تَجِدْنِي مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ مَجْبُرٌ
أَنَا قَدْ أَحْبَبْتُ قَوْمًا شَرُّوا مَعْنَى وَمَنْظَرٌ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَعْلَى

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَاسَرَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَمَا لِي لَا
أُرَاجِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمُرَاجِمِ . لَعَلَّهُ يُوهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاجِمٍ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا الْجِنَايَةَ لِلنَّادِمِ .

إشارة اليك

١٣٣ (قَالَ) قُلْتُ : تَأَلَّهَ لَقَدْ فَازَ أَهْلُ الْخَلَوَاتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمُنِعَ مِنْ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدَّيْكَ .
كَمْ أَنَادِيكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَغَاشِيكَ . جَعَلْتَ الْأَذَانَ لِي
وَضَيْفَةً . أَوْقِظْ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبْشِرِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخَيْفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصَفَّقُ بِمَجْنَحِي بِشْرًا لِلْقِيَامِ .
وَأَعْلَنُ بِالصِّيَاحِ تَنْبِيْهَا لِلنِّيَامِ . فَتَضْفِيقُ الْجَنَاحِ . بِشْرَى الْبَنِيَّاحِ . وَتَرْدِيدُ
الصِّيَاحِ . دَعَاءٌ لِلْفَلَاحِ . لَا أُخِلُّ بِوَضِيفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَعْفَلُ عَنْ

وَمِنَ الْقَرْنَاءِ فَرِيدًا . وَعَنِ الْأَثْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنَهُ
 الْأَثْرَابَ . كَيْفَ يَسَاكِنُ الْأَثْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَإِنْ كَثُرَ إِلَى الْقَتْلِ بَصِيرٌ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 الشَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْبَيْسِيرِ . وَعَلِمَ أَنَّ فَرِيئًا فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيئًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَفْتَرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحَسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَانْتِسَابِهَا . فَشَفَّنِي التَّنَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنِ مَنْزِلِي الْخَالِي . وَأَذْهَبَنِي مَاعِيَّ وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنِ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صِحَّتِي وَأَعْتَلَالِي . عَنِ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَّالَ الْيَقِينِ
 عَنِ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شَبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَأَفْرَصَةَ تَدْوِمٍ وَلَا رُهَةً .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ):
 فَأَخَذَتْ مَوْعِظَتَهُ بِجَمَاعِ قَلْبِي . وَخَلَمْتُ عَنِّي مَلَابِسَ عَجْبِي

إشارة الدرّة

١٣٣ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدُّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمَنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لَمَاعَتِ
 هِمَّتِي وَسَمَّتِ عَزِيَّتِي . كَيْفَ غَلَّتْ قِيَّتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْضِيهِ
 أَبْنَاءُ جِنْسِي . الْكِنْيَةُ نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودُ قِرَايَتِ آدَمَ
 وَبَيْنَهُ مِنْ دُونَ الْكُلِّ هُوَ الْمُتَّصُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَاثِبَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسِبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَّسِبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَسِبٌ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بَرِّهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِنْ زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا يُجِبَّكَ
 اللَّهُ . وَأِنْ زَهَدْتُ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُجِبَّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرَكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتُ سَيْرًا حَمِيدًا . وَوَقِفْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَفُتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْقَرِدٌ فِي الْخُرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخُطَّافِ وَاثِقًا . وَلَا
 لِعَمَلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شِبْهِ زَادِهِمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ نَزْهِ فَرَجِهِمْ
 وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثْرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبْتَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غَلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَعَلِمَ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعِزَّةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عِزَّةً . فَهَلَا أَسْتَسَنَّ
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَى بِوَحْدَتِي . وَأَعْتَرَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَزَهَدَ فِي الْمَأْكَلِ
 وَالْأَكْلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أُرَاجِعُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ
 أُخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْخُرَابِ عَنِ الْعُرَانَ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَحِفْظُ الْعَهْدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَزَانَهُ

إشارة لخطاف

١٣٠ (قَالَ): فَيَيْنَمَا نَحْنُ نَتَذَكَّرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ بِهِ. وَأَشْرَافُ
 الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَّافٍ. وَهُوَ بِالْأَيْتِ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
 مَا بِي أَرَاكَ لَلْبَيْتِ لِأَزِمًا. وَعَلَى مَوَاسِمَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتَ فِي
 أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتَ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ. وَرَضَيْتَ فِي الْبُيُوتِ بِجَبْسِكَ.
 ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
 عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَثِيفَ الطَّمَعِ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. إِسْمِعْ تَرْجَمَةَ حَالِي.
 وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْتَحَالِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
 وَاسْتَوَطَنْتُ السُّمُوفَ. دُونَ السَّعَابِ وَالْكَهُوفِ. لِغَضِيَّةِ الْغُرَبَةِ.
 وَزُرُومًا لِأَدَابِ الصَّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُورَ غَرِيبًا.
 وَجَاوَرْتُ غَيْرًا مِنِّي لِأَهْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشَ عَيْشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزَ
 بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغَرِيبَ مَرْحُومًا فِي غُرْبَتِهِ. مَا طُوفُ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
 فَتَصَدَّتْ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
 وَكَتَسَبُ قُوتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقَفَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
 الدَّارِ كَأَعْدَادِ. بَلْ أَحْسِنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ
 جَارِي. أَكْثَرَ سَوْلَاهُمْ. وَلَا اسْتَطَعِمَ رَادَهُمْ. فَزُهَيْدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
 هُوَ الَّذِي حَبَيْتِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوتِهِمْ. لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
 بَيْتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَعْدِيَتِهِمْ. مُزَاجُهُمْ فِي

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ الْعُبُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَرِيقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ بِطَوْقِ الْأَمَانَةِ ،
 الْمُقَدَّاةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُدِبْتُ لِحِمْلِ الرِّسَائِلِ . وَتَسْلِيغِ الْوَسَائِلِ
 لِلسَّائِلِ . وَكَيْبِي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ ،
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَافِيٍّ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَائِلِكٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِحِمْلِ الْأَمَانَةِ جَائِسِي .
 فَيَسْتَرِي بِاتِّخَرِجِ بِيحٍ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِاتَّدْرِجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَحْمِلْ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَطَائِفَ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأَطِيرُ وَعَقَلِي
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحِ جَارِحٍ . حَادِرًا مِنْ سَائِحِ سَائِحٍ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدِ ذَائِحٍ . فَأَهَاجِرُ . وَأَكْبَادُ الظَّمَأِ فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَمَّا رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشِيَةً مِنْ كَيْبِنٍ فَحَمَلُونِي مَدْفُونٍ . أَوْ شَرَاكٍ يُعَيِّفُنِي عَن
 تَسْلِيغِ الرِّسَالَةِ . فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَدَيْتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمَّاتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طَوْقُ .
 وَبِالْإِشَارَةِ خُلِقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ .
 أَيَارِي وَصَلَّمُ أَوْ هَجَرْتُمْ فَمَبْدُكُمْ عَلَى حِظِّ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُحْزِرُهُ عَدُوٌّ وَلَا يَثْنِي مِنْهُ عِنَانَةٌ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشَّمِّ تُحْمَلُهُ رِزَانَةٌ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الْعَمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَفْتَضْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجَلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الْعُرْبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيرَةِ نَجْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأَطْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غَرَبْتُ . وَقُرَيْبْتُ حِينَ
 جَرَبْتُ . وَأَمْسَحْتُ حِينَ أَمْسَحْتُ . وَعِنْدَ الْأَمْتَحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يِهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُوَدِّي تَخْلِيَطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بَصْرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . وَعَقْدَ إِسَانِي بِعَمْدَةٍ : لَا تَحْرِكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيَّدِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا فِي وَثَاقِي
 لَا أَتَأَلَّمُ . وَمِمَّا أَلَاقِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُفِمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجَرَبْتُ
 وَهَدَبْتُ . اسْتَصْلَحَنِي مُوَدِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأَطْلَقْتُ وَأُرْسَلْتُ . فَمَارُفَعْتُ الْكُمَّةَ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَّامِي . وَانْكَفَّوهُمْ تَحْتَ أَفْدَامِي :

أَمْسَكَتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ إِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قُرْبَ مَنِيَّتِي لِزُخَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنَسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعُلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
 أُرْسَلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلَتْ مَا أَبْغِيهِ نَصَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَفَرْتُ وَنَاتُ مَا أَمَلْتَهُ ثُمَّ اسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعْمَرِي رَسْمٌ كُلِّ مَكَلَّفٍ بِوِضَائِفِ الْأَسْلِيمِ الْإِلْيَانِ

إشارة للحمام

١٢٩ (قال): فَيَدِينَا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبَرٌ بِبِكْمِهِ

إِلَّا تَبَلَّبْتُ عَلَى بَلْبَاهَا . وَلَا زُهَّةً إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَضْمِحِ أَلْيَاهَا . وَلَا
 خُضْرَةَ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لِأَنِّي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكَدَّرَتْ .
 وَلَا عَيْشَةً حُلْوَةً إِلَّا تَمَرَّتْ . فَفَرَّاتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
 فَانَ . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالٍ يُجُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشٍ
 يَزُولُ . وَوَصْلٍ عَنِ قَرِيبٍ مَفْصُولٍ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
 تُغْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَاكَ الْجَمِيِّ رُوحِي وَرَيْحَانِي فَلَا تَلَمَّنِي إِذَا كَرَّرْتُ الْحَانِي
 رَوْضُ بِهِ الرَّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جَمَعَا وَحَضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
 مِنْ أَيْضٍ يَبْقَى أَوْ أَصْفَرٍ يَفْتَقِعُ أَوْ أَخْضَرَ رَقِي أَوْ أَحْمَرَ قَانِي
 وَالْأَنْسُ دَانَ وَتَمَلُّ الْوَصْلِ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ قَانِي

إشارة الباز

١٢٨ فَنَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مَيْدَانِ الْبِرَازِ . وَيَحْكُ لَقَدْ صَغُرَ جِرْمُكَ .
 وَكَبُرَ جِرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَمْتَ بِتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَاطَّلَقَ لِسَانِكَ
 يَجِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
 يَهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ اللُّسَانِ . فَلَوْلَا لَقْلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذْتَ
 مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسْتَ فِي ضَيْقِ الْأَقْبِمَاصِ . وَسَدَّ عَلَيْكَ بَابُ
 الْخِلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَفْضَحَ بِهِ بَيَانِكَ .
 فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِسِمْتِي . وَأَقْتَدَيْتَ بِصِمْتِي . لَبَرَأْتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
 أَنَّ الصَّمْتَ رَفِيقُ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصَّمُوتَ . وَأَلْفَتْ

فَأَنْبَسَطَ وَسَاحَ فِي فَسِيحِ الرَّحَابِ . وَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَيُنْكُرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا أَلْبَاعِثُ طَلِي وَوَبِلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَتَسَلُّ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بِرَأْيِي . وَأَلْبَجَرْتُ دَرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تُدِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بَرِّي إِلَيْهِ مَدْرَارًا .
فَإِذَا أَنْتَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِنْفِطَامُ . أَقْطَعُ تُدِي عَنْهُ
فَيُضِيحُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامًا . فَكَيْفَ بَعَثَهُ فِي السِّكَابِ عَبْرَاتِي .
وَأَشُورُهُ فِي بَعَثِ قَطْرَاتِي . فَأَكْكُلُ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ أَعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

إشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَمَّا أَنَا مُضْغٌ لِمُنَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَافَاتِ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةٌ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِجَلْعِ الْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يُكَاثِمُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا أَلْهَامُ الْأَهْفَانِ . الصَّادِي الظَّمَانِ . إِذَا رَأَيْتُ فَضْلَ
الرَّبِيعِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعِ قَدْ انْ . تَجَدُّنِي فِي الرِّيَاضِ فَرِحَانَ .
وَفِي النِّيَاضِ أُرْدِدُ الْأَلْحَانَ . أَعْنِي وَأَطْرَبُ فَأَنَا بِنِعْمَتِي طَرْبَانُ .
وَمِنْ نَشْوَتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ التَّسِيمُ وَصَفَقَتْ أَوْرَاقُ الْأَعْصَانِ .
أَرْقِصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَيْفَ أَمَّا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
تَحْسَبُنِي فِي ذَلِكَ عَابِثًا . لَا وَاللَّهِ وَاسْتِ بِالْيَمِينِ حَانِثًا . وَإِنَّمَا
أُنُوحُ حَرْبًا لَا طَرْبًا . وَأَبُوحُ تَرْحًا لَا فَرْحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَى شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفَلُ فِي ثَوْبِي
 الْقَانِي . وَأَنَا مَدْحُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحَضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالنَّوَظِرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالْمَنَاخِرِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَن صَنْحِي . بَعِيدٌ عَن قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي مُحْشَوْاً بِالذُّنُوبِ . وَقَفِّي
 مُسَوِّدًا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَثْوَابِي سَبَبًا لِلْحِجَابِي عَن ثَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُنَافِقِ الَّذِي حَسَنَتْ سِيرَتُهُ . وَقَبِضَتْ سِرِّيَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْظَرِ سَمِيَّتُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبْرِ قِيمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزْهَارِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطَّيْبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مَنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشِقَايِ
 مَنْ رَأَى يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَائِي
 قَدْ تَحَسَّنْتُ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا مُحْشَوَةٌ بِحِشَائِي
 وَاحْيَائِي إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاحْتِجَاتِي وَاحْيَائِي
 لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَن سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

إشارة السحاب

١٢٦ فَمَا حَسَنَ الْعِتَابُ . وَطَابَ فَضْلُ الْخِطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ .

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَاشِرُ اللَّئَامَ . وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأَلْزِمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفِ هَارٍ .
 أُرَافِقُ الْوَحْشَ فِي النَّفَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقَفَارَ . أَحِبُّ الْخَلَوَاتِ .
 وَأَسْتَوِطِنُ الْفَلَوَاتِ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْمَحَافِلِ . وَلَا تَقْطِفُنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أُحْمَلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْمَهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضِ نَجْدٍ نَازِلٍ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْقَسِيحِ . وَقَعْتُ مُجَاوِرَةً
 الْفَنَارِ وَالسَّيْحِ . تَعْبَقُ بِبَشْرِي الرِّيحُ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي التَّقْدِيسِ
 وَالسَّبْحِ . لَا يَنْشِفُنِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقٌ صَحِيحٌ . وَشَوْقٌ صَرِيحٌ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ الْمَسِيحِ . وَعَبْرِ الذَّبِيحِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَّاحِ فِي الْغُدُوِّ
 وَالرَّوَّاحِ . فَلَا أَحْضِرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْحُرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُنَادَى عَلَيَّ بِالنَّفَاقِ فِي
 سُوقِ النِّفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنِ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبُؤَادِي . وَاللَّسِيمِ يَهِيمُ فِي كُلِّ
 وَادِي . أُعْطِرُ الْبَادِي . بِعِطْرِي الْبَادِي . وَأُرَوِّحُ النَّادِي . بِبَشْرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنْ إِيَّ كُلِّ رَائِحٍ وَغَادِي

اشارة الشقيق

١٢٥ فَنَفْسَ الشَّقِيقِ بَيْنَ نُدْمَائِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ . وَأَسْتَوِي
 عَلَى سَاقِهِ وَوَتْبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بَاهِي . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَّاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ يِي بُاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جِدًّا
 وَلَا جَدًّا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَعْدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقَيْتُ يَابِسًا
 مُجْرَدًا . وَجَمَلَةُ خُصُولِي . أَنَّنِي أُوْخِذُ أَيَّامَ حُصُولِي . فَاقْطَعْ مِنْ أُصُولِي .
 وَأَمْنَعُ مِنْ وُصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَّقَوِي عَلَى ضَعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرْفِي
 وَالطَّفِي وَظَرْفِي . فَيَتَنَسَّمُ بِي مِنْ حَضْرَتِي . وَيَسْتَحْلِي بِي مِنْ نَظْرَتِي .
 ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أُسَامَ بِالنَّجْسِ سُومًا . وَيُعَادُ
 عَلَيَّ بَعْدَ الشَّاءِ بِاللَّوْمِ . فَأَمْسِي مِمَّا لَقَيْتُ مَعْمُوكَا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
 مَعْرُوكَا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَابِسًا . وَمِنْ النَّضَارَةِ آسًا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
 مَنْ هُوَ لِلْحِكْمِ يُعَانِي . فَيَقْشَرُ بِي الْأَوْرَامُ الْفَاشِيَةَ . وَتَلِينُ الْأَلَامُ
 الْقَاسِيَةَ . وَتَلَطَّفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَاتِيَةَ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَدْوَاءُ
 الْعَادِيَةَ . فَالنَّاسُ مُمْتَعُونَ بِبِائِسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطْبِي .
 غَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لِمَنْ يَتَدَبَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
 أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أَدَّكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَزْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْبَسْفِجِ إِذْ غَدَا يُحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَنْعَصَانِهِ
 جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّبْرَجْدُ رُصِعَتْ أَحْجَارُ يَأْقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
 فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجِلَادَةٍ شَيْلَتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

اشارة الخزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْخِزَامُ . مَا يُكَابِدُهُ الزَّهْرُ مِنْ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِزَامِ .
 فَمِنْهَا مَا يُضَامُ . وَيُنْتَرُ بَعْدَ النِّظَامِ . وَبِالْثَّمَنِ النَّجْسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

وَالِى الْبُرْدِ وَقَدْ شَرِدَ . وَالِى الزَّهْرِ وَقَدْ اتَّقَدَ . وَالِى الْحَبِّ وَقَدْ اُنْعَدَ .
 وَالِى الْفُضْنِ الْيَابِسِ وَقَدْ كَسِيَ بَعْدَ مَا اُنْجَرَدَ . وَالِى اَخْتِلاَفِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمُشَارِبِ وَقَدْ اُنْحَدَ . فَاَعْلَمُ اَنَّ صَانِعَهَا وَاِحْدُ اَحَدُ .
 وَصَاحِبَهَا صَمْدُ . وَمَوْجِدَهَا بِالْقُدْرَةِ قَدْ اُنْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَمِرُ اِلَى اَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَعْنِي عَنْهُ اَحَدُ . وَلَا يَشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ اَحَدُ . فَهِنَا لِكَ تَمَّالَتْ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطَيْبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّاتْ بِالْاِبْلِ سَعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
 ثُمَّ تَدْرِكُنِي عِنَايَةٌ مَعْبُودِي . فَاَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَاَنْعَطُ عَلَى الْوَرْدِ فَاُخْبِرُهُ بِوُرُودِي . وَاخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
 بُرُودِي . وَاسْتَخْبِرُهُ اَيْنَ مَقْصِدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . اَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَاَنَا بِجُمْرَةِ
 خُدُودِي . فَهَامَّ تَجَمُّلِي فِي النَّارِ وَقُودِكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَتَمَّتْ لَهُ : اِذَا صَحَّ الْاِتِّلاَفُ . وَرَضِيَتْ لِنَفْسِكَ بِالْتَّلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْخِلَافِ خِلَافٌ . فَتَخْتَطِفُ عَلَى حُكْمِ اَوْفَاقِ . وَتُخْتَطَفُ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتُصَعَّدُ اَنْفَاسُنَا بِالْاِحْتِرَاقِ . وَتَنْقَطِرُ دُمُوعُنَا بِالْاِشْفَاقِ . فَاِذَا
 فِينَا عَلَى صُورِ اَشْبَاحِنَا . بَقِيْنَا مَعَانِي اَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غَدُونَا وَرَوَاحِنَا

اشارة البنفسج

١٣٣ فَنَنْفَسُ اَلْبِنْفَسَجِ نَفْسَ الصُّعْدَاءِ . وَتَاوَهُ تَاوَهُ الْبُعْدَاءِ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . اِلَى
 كَمْ اَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَمَا . وَاَكْتَسِي بِالنُّحُولِ اَشْوَابًا جَدِّدًا . اَفْتَنِي

وَأُوتِقَ بِالْعَزِيمَةِ شُرْطِي . وَلَا أزالُ وَاقْفَاعِي قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةٌ
 مِنْ خَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جَلَّاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى النَّدِيمِ رَأْسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طَيْبَ أَنْفَاسِي . وَاسْتِ لِعَهْدٍ مَنْ وَصَّانِي بِنَاسِي . وَلَا
 عَلَيَّ مِنْ قَطْعِنِي قَائِي . وَكَاسِي بِصَفْوِهِ لِي كَاسِي . بُنِي عَلَيَّ قَضْبُ
 الزُّرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللَّجِينِ وَالْعَسْجِدِ لِبَاسِي . أَسْمَعُ تَقْصِيرِي
 فَاطْرِقُ إِطْرَاقَ الْحَجَلِ . وَأفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْدِقُ لِهَجُومِ الْأَجَلِ .
 فَاطْرَاقِي اعْتِرَافٌ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظْرٌ إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قُتُّ مِنْ ذَلٍّ عَلَيَّ قَدَمِي مُطْرَقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلَلِي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْأَقْدَامِ غَدًا نَافِعِي عَامِي وَلَا عَمَلِي
 مُقْلِي إِنْ سَأَلَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خَيْفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِي

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارَ إِلَى طَرَبِ الْبَانَ بَيْنَهُمْ . وَتَمَّائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مَوْهَ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَّائِلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَتَمَّائِلَ هُنَالِكَ الْبَانَ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُدْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَّائِلِ أَعْصَانِي .
 وَاهْتِرَازِ أَرْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مُطَارِفَهَا . وَأَضْهَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَتُ لِي نَسَمَاتِ الْأَسْحَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرَدِّي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

بِقَالِئِدِ فُخْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِدَارَهُ . وَسَحَبَ عَنِ الرَّوْضِ الْأَنِيقِ
 أَزْهَارَهُ . فَتَمَّ بِنَا نَتَفَرَّجُ . وَنَتِيهِ بِحُسْنِنَا وَنَتَبَهَّرُجُ . فَأَيَّامُ السَّرُورِ نَحْلُسُ .
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرِهِا مَحْتَسِسُ . فَلَمَّا تَمَّعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِينِ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرَّيَاحِينِ . بَيْسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جَمَعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 تَرَأْتِ عَنْ شَيْمِ الْأَمْرَاءِ . بَعْدَ تَأْمَلِكِ الصَّوَابِ مِنَ الْآرَاءِ . فَمَنْ
 الْمُصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهِوِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى النَّزْهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرَ الرَّعِيَّةِ . صَاحِبَ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُعْجِبُكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَّيْلَ غَضَبُكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقَكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقَكَ . فَأَيَّامُ الشَّبَابِ سَرِيعةُ الزَّوَالِ . دَارِسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْحَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . أَخْضَرَ الْجِلْبَابِ وَالثِّيَابِ .
 مُخْتَلَفِ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشْمُ
 وَيَذْبُلُ . وَيُحْوَلُ خِطَابُهُ وَيَثْقَلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّلَامُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِعْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيسَةُ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدَ فَقَدْ نَصَحْتُكَ وَالسَّلَامُ

اشارة الترجس

١٢١ فَاجَابَهُ التَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِمُنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيُهُمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلَمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْخِدْمَةِ . أَشَدَّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

وَسَلَسَلُ بِي الْأَنْهَارُ . وَتَلَقَّ الْأَشْجَارُ

إشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّحَارِيرِ بِأَفْئَانِهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
 إِذْ قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طَيْبِ وُرُودِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
 وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَوْ زُرْ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
 فَأَعْتَمُوا وَقْتِي فَأَلْوَيْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
 فِي بَقَاءِ زُورٍ . ثُمَّ مِنْ عِلْمَةِ الدَّهْرِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
 أَنِّي حَيْثُ مَا نَبَتْ دَائِرُ الْأَشْوَالِ تَزَاهِي بِي . وَمُجَاوِرِي . فَأَنَا بَيْنَ
 الْأَدْعَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَ الشُّوكِ مَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
 يُلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُّ الْأُورَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
 سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ الْمُرَادَ . فَيَدِينَا
 أَنَا أَرْفَلُ فِي حُلْلِ النَّضَارَةِ . إِذْ أَقْتَطِفْتَنِي أَيْدِي النَّضَارَةِ . فَأَسْأَلْتَنِي
 مَنْ بَيْنَ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
 كَبِدِي . وَيَمزِقُ جِلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمِي النَّدِي . فَلَا يُقَامُ بِأُودِي :
 فَإِنْ غَبْتُ جِسْمًا كُنْتُ بِالرُّوحِ حَاضِرًا فَخَرِّي سِوَاءَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبُعْدُ
 وَبِاللَّهِ مَنْ أَضْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا كَأَنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

إشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ النَّسِيمُ بِسِرِّهِ .
 وَكَشَرَ السَّحَابُ عُقُودَ دُرِّهِ . وَتَضَوَّعَ الْبَهَارُ بِذَخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرَّبِيعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ نَشْرُهُ صَاعِدٌ
 فَطُورًا يَنُوحُ وَصُورًا يَنُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْقَائِدُ الْوَاحِدُ
 وَسَكْبُ النَّمَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَ غُضْنُهُ الْمَائِدُ
 وَنُورُ الصَّبَاحِ وَنُورُ الْأَقَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَفَى الرِّيعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يَتَرَجَّمُهُ وَرَدَّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لِأَجْلِكَ مُسْتَنْبَطٌ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاهِدُ
 وَكُلُّ لِأَلَانِيَةِ ذَاكِرٌ مُقَرُّ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى آيَتِهِ وَوَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ قَوْلُ مَا سَمِعْتَ هَمَّهَةَ النَّسِيمِ . يَتَرَجَّمُ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنِ سَقَمِهِ وَاتِّحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَيْنُ
 الْأَنْعَاطِ . سَرِيعُ الْأَثْلَافِ . يَعْتَرِفُ بِأُطْفِي ذُووِ الْأَلْطَافِ . وَلَوْلَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ جَافَ . وَلَا تَضَنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَاءِي . سَبَبُ
 إِغْوَاءِي . بَلْ اخْتَلَفَ فِي النُّصُولِ الْأَرْبَعِ . لِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَكَ وَأَنْفَعُ .
 وَهَبُ فِي الرَّيْعِ شِمَالًا فَانْتَحَى الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلُ فَصَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ .
 وَأَهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا فَأَنْبِي الثَّمَارَ . وَأَصْفِي الْأَشْجَارَ . وَهَبُ فِي
 الْحَرْبِ جَنُوبًا فَتَأْخُذُ كُلُّ ثَمْرَةٍ حَدَّ طَيْبِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيهَا .
 وَهَبُ فِي الشِّتَاءِ دُبُورًا لِيَخْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمَلُهَا . وَيَجْفَى وَرَقُهَا
 وَيَبْقَى أَصْلُهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُو فِي الثَّمَارِ . وَتَرْهُوِي الْأَزْهَارُ .

وَسَلْبُوهُ تَمَلَّكَتُهُ الْعَظِيمَةَ . وَزَالَتِ الْحِشْمَةُ . وَالْحِكْمَةُ وَالْحُرْمَةُ . وَشَدُّوا
 وَنَأَفَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
 الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
 وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَّتْ طَوَائِفُ الْحَشَمِ وَالنَّاسُ لَدَيْهِ . وَدَقَّتْ
 الْأَبْشَارُ لِمَقْدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعْمِهِ . وَاسْتَمَرَ فِي أُمَّمِ سُورِهِ .
 وَاسْتَقَرَّ فِي أَوْقَرِ حُبُورٍ (مُلَخَّصٌ عَنْ فَكْهَةِ الْخُلَفَاءِ لِابْنِ عَرَبِشَاهِ)

نخبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْفَكْرُ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحَدَثَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
 الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
 رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ نَسِيمُهَا . وَنَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَّى عِنْدَ لَيْبِهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
 وَتَمَايَلَتْ أَعْصَانُهَا . وَتَبَلَّبَتْ بِلَابِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
 أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَفْطَارُهَا . وَتَنَمَّقَتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتَ هَزَارُهَا .
 فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
 اسْتَصْحَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لَطِيبَ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَنَادَانِي لِسَانَ
 الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ حَمِيمًا أَفْصَحَ مِنِّي .
 وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
 بِدُنُو أَرْحَالِهِ . فَاسْمَعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَوْقَاتُنَا مُحْدُوْدَةٌ . وَأَنْفَاسُنَا مَعْدُوْدَةٌ . وَسَاعَةٌ تُتَّضِي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُوْدَةٍ .
بَحِثْ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّبَارِ . وَطُرْحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْقَمَارِ . وَجَفْنَا
أَلْأَصْحَابِ . وَتَخَلَّى الْأَخْلَاءُ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ . وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفَ وَالْأَوْدَاءَ .
وَأَحْوَشْنَا فِي تِلْكَ الْبَيْدَاءِ . فَنُونَ الدَّاءِ . نَحْمِدُ مَا لَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ . مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَاكَ الْبَلَدِ . فَاجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَائِيْنَ جَمَاعَةً . وَأَحْضَرَ الْمُرَاكِبِ . وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَاكَ الْجَانِبِ .
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يَمْدُهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدْوَاتِ . عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ . إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَاءُونَ الْعِمَارَةَ . وَكَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ . وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ . وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ . فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارُ . وَيَتَرْتَمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ . وَعَدَّتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ . وَبَنَوْا حَوَالِيهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى . وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوَهَادَ
وَالْأَثْرَى . ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ . وَنَفَائِسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ . وَجَهَّزَ الْخُدَمَ وَالْحَشَمَ . وَعُضُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النَّعْمِ .
فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ . وَدَنَّتْ أَوْقَاتُ هَلْكِهِ . إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأَقَّتْ . وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ . وَهُوَ مُسْتَوْفِزُ الرَّحِيلِ . وَرَايِضُ
النُّهُوضِ وَالنَّخْوِيلِ . فَلَمَّا تَكَمَّلَ لَهُ فِي الْمَلِكِ الْعَامُ . لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ . مِمَّنْ كَانَ يَفْعِدِيهِ بِرُوحِهِ . مِنْ خَادِمِهِ وَنُصُوحِهِ .
وَمَنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ . مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشِيهِ . وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِجَذْبِهِ
مِنَ السَّرِيرِ . وَزَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ . وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ .

الْوَزِيرُ الْمُصْلِحُ : فَهَلِ اطَّلَعَ أَحَدٌ مِّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْتَمِ .
 قَالَ كُلُّ شَيْءٍ عَرَفَ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَالِكٌ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السُّلْطَنَةِ يُلِيهِ . وَسُرُورُ التَّحَكُّمِ وَالسُّلْطَانِ يُغَيِّهِ . وَحُضُورُ اللَّذَةِ الْخَاصِلَةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ عَقْلَتِهِ . وَيَسْتَيْقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامَهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلَ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْبَلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَعِيثُ . وَلَا مُعِيثُ .
 وَيُنَادِي الْخُلَاصَ . وَلَا تِجِينَ مَنَاصٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْعُلَامَ . هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَّ
 خَيْرَهُ وَشَرَّهُ . وَيَتَدَبَّرَ حَالَهُ . وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَاكَ هَالِكٌ الْأَبَدِ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخُلَاصِ . وَالْتَفَتَ مِنْ شَرِكِ الْاِقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْخَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنَّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضَمِيمًا وَضَيْرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُجَيِّبُهَا . وَيُدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 مَخْلُصٌ . مِنْ هَذَا الْمُنْصَبِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَنَائِينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَأَنْجَارِينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَيُسَيِّدُوا لَنَا فِيهَا أَمَاكِنَ مَكِينَةً .
 وَمَخَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَمَمْلَأَهَا مِنَ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبَةِ .
 وَالْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَبَةِ . وَلَا تَعْتَلَّ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجَيِّزَنَّ لِإِهْمَالِ وَالْإِهْمَالِ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَسْحَارِ وَالْعُدُودِ وَالْأَصَالِ . إِذْ

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَلْبِؤُنَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوكَ . وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
 طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً .
 فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ . فِي هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
 الْمَعْدُودُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودُ . عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
 صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْسَاقٍ وَمَسْكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَنَشَبٍ . وَإِخَاءٍ وَنَسَبٍ . وَشَبَّتْ
 لَهُ أَوْلَادٌ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادٌ . جَرَّوهُ بِرِجْلِهِ مِنَ التَّخْتِ . وَسَلَبُوهُ
 ثَوْبَ الْغِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَبْسُوهُ ثَوْبَ الذَّلِّ وَالنَّكَالِ . وَأَوْشَقُوهُ
 بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
 قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَأَمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
 الْجَانِبِ . فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ فَقِيرٌ أَغْبَرٌ . لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ وَلَا
 رَفِيقٌ . وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نَشْوَةٌ وَلَا نَمَاءٌ .
 وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْسَاقٌ .
 عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخُلَاصِ
 سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاتِ دَلِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
 أَنْ يَبْهَكَ عَطَشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
 يَسْتَأْنِفُ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَجْرُجُونَ بِالْأَهْبَةِ
 الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّابِلَةِ . فَيَمَيِّضُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
 فَيَمْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا أَدَابُهُمْ وَدِينُهُمْ .
 وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْعُلَامُ الْمَفْلُحُ . لِذَلِكَ

وَالسُّوْيَةِ . مُتَّعِدًا أُمُورَ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ
 الْمُبَارَى . مُؤَيِّسٌ قَوَاعِدَ الْمَمْلَكَةِ وَالسَّاطِنَةَ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ
 مَهْمَا أَمَكَّنَهُ . مُتَّحِيسٌ عَنِ مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ
 الْوِظَائِفَ مَا يَنْتَظِرُ مَسْلَكَهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيَاءِ الْجَمَاعَةِ
 عَلَى شَابِ جَلِيلِ الْبَرَامَةِ لَهُ فِي سُوقِ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ .
 مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَّحِلٌ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَخَذَهُ وَزِيرًا .
 وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَجَعَلَ بِالْإِطْفَاقِ وَيَرْضِيهِ . وَيُكْرِمُهُ وَيُدْنِيهِ .
 وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَالِ الْإِنْعَامِ . وَخِجَاعِ الْإِفْضَالِ وَالْإِكْرَامِ . مَا مَلَكَ
 بِهِ حُبَّةٌ قَلْبِهِ . وَاسْتَصَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَوَلِيَّهُ . وَسَكَنَ فِي سُوَيْدَانِهِ .
 وَتَسَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَحْسَابِهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ .
 وَاسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ أَمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَاطِنَتِهِ
 مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةِ وَلَا اسْتِحْتِمَاقِ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ
 الْمَلِكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السَّاطِنَةِ لَهُ فُؤَادٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا
 رِجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يَدُلُّ بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْدِيهَا . فَقَالَ
 ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ
 وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَصْطَلَحُوا عَلَى عَادَةِ ثُجْرَى .
 سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُتَمِّضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ .
 يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ
 الْمَسَالِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ . يُدْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى

لَهُ النَّاحِ عَلَى الْمَشْرِقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَابِ فِي
 الْمَوَاجِبِ نَجْرٌ لَدَيْهِ . يُنَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَاعَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَسُوا
 شَفَقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النَّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجَسَوْهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَاطْلَقُوا
 تَجَاصِرَ النَّدَى وَالْعَبِيرِ . وَرَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَالْمَأْمُورِ
 وَالْأَمِيرِ وَالِدُسْتُورِ وَالْوَزِيرِ . وَأَشَدُّهُ :

قَدِمْتَ قُدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سَعُودِهِ وَأَمْرَكَ فِينَا صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ
 (قَالُوا) : عَلِمَ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُنَّا
 عِبْدَكَ . وَتَابِعَ مَرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَخْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأَمْرٌ فَا مِثَالُ أَمْرِكَ عَلَيْنَا مَحْتَمُونَ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَتَّامٌ مَسْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَنَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَأِهِ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُتَبَاهٍ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بَدْلَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بَدْلَ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْتَابٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكُونَ سُدَى . وَإِنَّ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 أَسْمِعِ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدَبِّرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يَقْدِرْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُحْدِثْ حَدَثًا . أَعْبَاءً وَلَا عِبَثًا . وَجَعَلَ يَلْزِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّصَّةِ . مُلْازِمٌ بَابِ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَالْمُنَاصِبِ فِي يَدِ أَهْلِهَا . فَتَنَّتْ إِلَى أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَرُبَّمَا مَرَقُوا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ الزَّوْرِ . فَلَمْ يَزَالُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سُكَّارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَّارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفَلَاكِ رَكْبَانَهُ وَأَلْبَجْرُ ذُو هَوَاءٍ فَشَارَ وَحَارَ وَمَارَا

فَطُورًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطُورًا رُمِينَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا أَنْحَدَارَا

وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةَ الرِّيَّاحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا

فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَجْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَعَلَّقَ الْغُلَامُ

بِلَوْحٍ مِنَ الْوَاحِيهَا . وَأَسْتَمَرَ تَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَتَصَطَّطِمُ بِهِ أَشْبَاجُ

الْبَجْرِ الْأَمْوَاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبٌ نَاجِلٌ .

وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَاكَيْهَهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ

وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى فَمِّ

طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَّةِ . وَهَدَايَةَ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَنْتَهَى بِهِ

الْمَسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَأَى لَهُ سُودًا كَبِيرًا . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوِلَايَةً

جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمَدَ إِلَى ذَلِكَ

الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءُ

وَرِجَالٍ . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طَبُولٍ يُضْرَبُ

وَفَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزَمُورٍ تَرَعُقُ . وَالسِّنَةِ بِالْثَنَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا

وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامُوا عَلَيْهِ . وَأَكْبُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقْبَلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .

مُسْتَشْرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَاعَتِهِ . ثُمَّ الْبَسُوا الْخُلْعَ السَّيِّئَةَ .

وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلِيَّةً . بِكَنْبُوشٍ ذَهَبٍ . وَسَرَجٍ مُعْرَقٍ . وَرَضَعُوا

أَلْبَابُ السَّادِسُ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتروى

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُوا الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مَخَابِلُ السَّعَادَةِ
مِنْ جِبْنِهِ لِأَيْحَةَ . وَرَوَائِحُ النَّجَابَةِ مِنْ أَدْيَالِ شِمَالِهِ فَأَيْحَةُ . فَلَوَسِقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمُتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهُوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَلْيَبِ عَيْشٍ وَمَقَامٍ . الْمَاءُ رَائِقٌ . وَالْهُوَاءُ
مُؤَافِقٌ . وَالنَّيْكَ مُفَارِقٌ . وَالسَّرُورُ مَرَّافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسَبِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السُّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدُّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتْ . وَالْأَمْوَاجِ مَاجَتْ . وَأَشْبَاحِ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادِ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْفَاءِ تَلَاطَمَتْ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شِمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةَ . وَرَقِمَ نَقْشَ الْحُرُوفِ فِي الْوَاحِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهُوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ بَيْنَ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَحَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ الْأَفْلَاقَ
وَيُنَاجُونَ الْأَمْلَاقَ . وَطَوْرًا يَهْبِطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحٌ وَسَمِجٌ عُنْوَانُهُ مَلِيحٌ
 فَالْعَاقِلُ الْكَائِلُ فِي الرِّجَالِ لَا يَتَشَنَّى لِرُخْفِ أُمَّقَالِ
 مَا طَابَ فَرَعُ أَصْلِهِ خَيْثُ وَلَا زَكَاةً مِنْ حَجْدِهِ حَدِيثُ
 وَالْبَغِي فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمُرْتَعِ وَالْعَجَبُ فَأَتْرُكُهُ شَدِيدُ الْمُضْعِ
 وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْعَى الْعَهْدَا

من قصيدة ابي العتاهية المثلثة

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَةَ مَسْدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَسْدَةٍ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَتَّهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكَّهُ
 مَا عَيْشٌ مِنْ آفَتِهِ بَقَاؤُهُ تَقْصُ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
 يَأْرَبُ مَنْ أَسْخَطْنَا مُجْهَدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا لِأَمْرٍ شَأْنُهُ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرٌ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لِأَحَقِّ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْمُحْضِ وَكَأَنَّ مُتْرَجٌ وَسَاوِسٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَخْتَلِجُ
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجٌ وَلَذَا نِتَاجُ
 مَنْ أَلِكَ بِالْمُحْضِ وَلَيْسَ مُحْضٌ يَحْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضٌ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عَدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
 عَجِبْتُ حَتَّى عَمِّي السُّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَارٍ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلَمْتُ أَنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

يُحْتَجِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرَ الْعَدُوَّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ
 يَا جُلَّ مَا بَعَدَتْ عَلَيْكَ بِالْأَدْنَى وَطَلَابُنَا فَارْعُدْ بِأَرْضِكَ وَأَبْرُقِ
 يَمْرُوعٌ وَعَيْدُ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْجَبِينِ ذُبَابُ
 يَلْقَاكَ وَالْعَسَلُ الْمُصَفَّى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَلْفَعَالِ الْعَلَقَمِ

١١٤ نَجْمَةٌ مِنْ تَغْرِيدِ الصَّادِحِ لِبْنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التَّهْمَةَ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحَكْمَةِ
 وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
 فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
 وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ الْعَطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
 لَا تَقْتَرِرُ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمُدَامَةِ
 وَالْعَمْرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالِدَهْرُ الْقَدْرُ وَالصَّفْوُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْكَدْرِ
 فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانُ
 وَمَوْجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمُوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
 وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ مَا فَلَا تَقْصِرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
 وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طُرًّا عَقْدَا مَنْ غَرَّهُ السَّلَامُ فَاقْصِ الْجُدَا
 لَا تَيَاسَنَّ مِنْ فَرَجٍ وَأَطْفٍ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفٍ
 تَسَالُ بِالرِّفْقِ وَبِالتَّأْنِي مَا لَمْ تَتَلَّ بِالْحِرْصِ وَالتَّعْنِي
 لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ
 لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقِرًا قَرُبَمَا أَسَاتِ الدَّمُ الْإِبْرَ

وَفِي تَعَبٍ مِّنْ يَّجِدُ الشَّمْسُ ضَوْءَهَا
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
 وَإِطْرَاقِ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِبَافِعٍ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعِيَهُ
 وَقَدْ نَجَّ السُّكْبُ السُّكَابَ وَدُونَهَا
 وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
 وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى
 وَمَا أُنْتَفَاحُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ
 وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِي أَنَّهُ
 وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَاحِ بَارِقُهُ
 وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَجْبُوءَةٌ
 وَالْهَمُّ يَحْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَاقَةً
 وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
 وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْثُ شِبْلًا
 وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ
 وَكَمْ مُضْمِرٌ بَعْضًا يُرِيكَ حَبَّةً
 وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْجِيَةٌ
 وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ
 وَمَا كُلُّ وَحْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا
 وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
 حَا الذَّنْبُ كُلَّ الْحَوْزِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا
 إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمَطْرُقٍ
 إِذَا حَصَّتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْخَصَائِلُ
 مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
 عَلَى الْمَاءِ حَائِثُهُ فُرُوحُ الْأَصَابِعِ
 مُضْرُ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
 إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
 تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظَلَامِهِ
 وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السُّكْبِ مُجَاجًا
 لَا تَتَطَّلِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْدُ
 وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرُمُ
 فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْفِي بِشِيرًا وَنَاعِيًا
 وَمِمَّا طَلَعَتِ الْقَمَرِ الْهَلَالُ
 وَالذَّنْبُ لَطَرْفٍ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغْرِ
 وَفِي الزُّنْدِنَارِ وَهُوَ فِي اللَّسِّ بَارِدُ
 وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَتَرَنَّمُ
 وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْبِرَاعِ بِكَاتِبٍ
 وَلَا كُلُّ عُوْدٍ يُسَمَّى عَقَارًا

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمُعَالِي نَافِذًا
 مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمُنَايَا
 مَا أَنْتَ أَوْلَى سَارَ غَرَّهُ قَمَرٌ
 مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبُ كَوْنُ قِرَابِهِ
 وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ
 وَمَا أَحْسَنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفُهُ
 وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ
 وَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ
 وَمَا مَنَزَلُ الذَّلَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلٍ
 وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
 وَمَا الْحَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَيُّ الْجَمِيلَ مَحَبٌّ
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمُعَالِي
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
 وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرَعُوِي
 وَمِنْ الْمَدَاوَةِ مَا يَبَالِكُ نَفْسَهُ
 وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
 وَرُبَّ كَيْبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ

فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فُجُولًا
 كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ السَّمُولُ
 وَرَائِدِ أَعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ
 خَلْقًا وَلَا الْبَازِي حَقَارَةُ عُنْشِهِ
 فَرَشْتَ لِحْنِهِ شَوْكُ الْفَتَادِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعَالِهِ وَالْحَلَّاقِ
 وَلَا فِي زَلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ
 قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ
 إِذَا لَمْ أَجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
 وَلَا كُلُّ فِعَالٍ لَهُ يُتَمِّمِ
 وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
 وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيْبٌ
 فَلَا يَذُرُّ الْمُطَيِّ بِلَا سَنَامِ
 فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَرَ الْخَبَرَ الْخَبِيرُ
 عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بَدُ
 عَنْ جَهْلِهِ وَخَطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤَلِّمُ
 وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
 وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَيْبِ

إِنَّ الزَّرَارِيْرَ لَمَّا قَامَ قَائِمَهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِعْ تَعْبًا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ أَنْصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا أَلْجُرْحُ رَمَّ عَلَى فِسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَحْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مِثْلَهَا
 بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقٌ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عِدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيْقَتِهِمْ يُجْنِي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَنَكَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيْشَةٍ جِهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبْرُ بِالْأَسْبَابِ تِيَهُ بِالْحَسْبِ
 لَمْ أَرِدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطَوْلِهَا
 لَا تَقْطَعْنَ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلَاتِقُ بَيْضٍ لَا يُغَيِّرُهَا
 تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا عَمَارَتْ شَوْاهِينَا
 أَوْفَارِضَ بِالذَّلِّ وَأَخْتَرِ رَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلُّ مَعَارِضِ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّيْبِ
 فَلَا السِّيفُ قَطَّاعٌ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعٌ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَابِ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 وَلَا بَدْدُونَ الشَّهِيْدَ مِنْ إِبْرِ النَّخْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدُوْدُ
 وَلَا سَمَاؤُهُمْ تَهَلُّ بِالْدِيمِ
 وَيَنْكِرُ الْقَهْمَ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلْقِ
 فَخَرُّ بِالْأَدَبِ هَذَا مِنْ الْعَجَبِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ شَرِّهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَقُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَيْهًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 صَرْفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا بِهِ نَبْضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبَدٌ وَلَا أَبَدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ ١ * مَا بِالدَّارِ دُعْوِيٌّ وَلَا بِهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا بِهَا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا بِهَا دُورِيٌّ وَلَا صُورِيٌّ . وَمَا بِهَا وَاتِرٌ وَمَا بِهَا صَافِرٌ . وَمَا بِهَا دِيَارٌ وَمَا
 بِهَا نَافِحٌ ضَرَمَةٌ . وَمَا بِهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتِجْمَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعِلْمِ) *
 مَا يَعْرِفُ حُومٍ مِنَ اللَّوِّ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيرًا مِنْ غَرِيرِهِ .
 وَلَا قَبِيلًا مِنْ دَبِيرِهِ * وَمَا يَعْرِفُ أَيَّ طَرَفِيهِ أَطْوَلَ وَكَبْرَهُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَهْرَهُ مِنْ بِيْرِهِ * وَآيَ طَرَفِيهِ أَطْوَلَ النَّسَبِ أَيْهِ أَمْ نَسَبِ أُمِّهِ

١١٣ هذه آيات ذهب مذهب الامثال وأكثرها للمتنبي ولحري

إِنَّمِمْ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبْدًا كَمَا كَانَتْ لهنَّ أَوَائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا أُعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمُنَايَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنِ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمَلُهُ وَآيِسِرُ كُلِّ ذَوَاتِ الْعُنَابِ السَّبْعُ
 الْعَبْدُ آيِسِرُ الْحُرِّ صَالِحٌ بَآخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مِنْ بَنِيٍّ مِنْ تَبَاكِي
 إِنِ الْكِرَامَ إِذَا مَا آيَسِرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْمُنْزِلِ الْحَسِنِ

قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحرك الوتر والحبض صوته وقل:
 والتدلج يدهي نبضاً وحبضاً ٢ الشعر والصوف ٣ معناه ما جاء من يدعو ومن
 يدب ما معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منهاشيء في الإثبات
 والإيجاب وإنما يتولد في الخ والحمد
 قبل الحبل والديد ما أدبرت به منه
 ٥ ولقبيل ما أتبلت به من

بِهِمْ عِقَابٌ مَلَاعٌ ١ * وَالْمَنَائِيَا عَلَى الْحَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمُ الدَّهِيمُ تَرْمِي
 بِالرَّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَنَادِي وَوَلِيدُهُ ٤ * التَّقَتْ حَاقَتَا الْبَطَانِ *
 وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِيَّ وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيئِينَ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظْمَ * (الْيَأْسُ وَالْحَيْبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّائِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِحُجَّتِي حَنِينٌ ٦ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَيْبَةِ * وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ الْفَأُ وَنَطَقَ
 خَلْفًا ٧ * (الْظُّلْمُ تَرَجِعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَغْوَاةً وَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتُرُ * عَادَ الرَّمِي عَلَى النَّزْعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَلْبَاحِثٍ عَنْ مُدِيَّةٍ * رُمِي بِحَجْرِهِ وَقَتِلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هَلَعٌ وَلَا
 هَلَاعَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ١٣ *

١ يقال ذلك في الواحد والجمع . وأحسبها معدولة عن ملبع ٢ قال أبو عبيد : الحوايا في
 هذا الموضع مركب من مراكب النساء واحتضتها حوة . واحسب أصلها أن قولاً قتلوا فقتلوا
 عن الحوايا فصارت مثلاً ٣ معناه الداهية العظيمة ٤ معناه أن الأمر اشتد حتى
 ذهبت المرأة أن تدعو وليدنا ٥ أي من لي باليسن بعد الشؤم
 ٦ قال الشاعر :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
 وَأَدْرَعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الدُّجَى وَأَسْتَصِيبُ الْمَسْرَ وَفَرَقْدَيْنِ
 وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْحَمُومِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِحُجَّتِي حَنِينِ

٧ أي اطال السكوت وتكلم بالقميح . وهذا المثل يقع في باب العي وله ههنا وجه أيضاً
 ٨ والمغارة البير تحفر للذئب ويعمل فيها جدي ليسقط الذئب فيها ليصيده فيصطاد
 ٩ وهم الرماة يرجع عليهم رميم

١٠ معناه لا شيء له
 ١١ وهما الجدي والعملاق ٢ معناه ليس له أحد يجرب منه ولا أحد يقرب إليه فليس له
 ١٢ وهما الضائفة والماعزة
 ش :

الرَّيْحِ * كَمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبَّمَا أَسْمَعُ قَادِرٌ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأَذْنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَأَخِيبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا إِلِيَّةَ ٢ * سِوَا الْأَسْتِمْسَالِ خَيْرٌ مِنْ حَسَنِ الصِّرَعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبَشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَنْفِرُ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ : شَرُّ أَرَادَ النَّاسَ مَنْ دَارَادَ النَّاسُ لَشَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعَلَانِيَةِ * يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَ لِشَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تَبْغِضُهُ *
 (الْإِسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَزْوِيلِهِ) * قَبْلَ الرَّعْيِ يَرَأْسُ السَّهْمِ * قَبْلَ
 الرَّمَايَةِ تَمْلَأُ الْكِنَانُ * خِذِ الْأَمْرَ بِمَوَالِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِيُّ *
 الْهَاجِرَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * التَّمَدُّمُ قَبْلَ التَّزْوِيلِ * يَا عَاقِدُ أَذْكَرُ حَلًّا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغِيبَةٌ * لَيْسَ الدَّهْرُ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَوَاقِبِ * أَحْسَنُ التَّدْبِيرِ وَالذَّهْيِ عَنِ الْحُرْقِ (الرَّفِيقُ يَمِينُ
 وَالْحُرْقُ سُومٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتِ قَلْبِ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِبَطْنِ * وَجْهَ الْحَجَرِ وَجِهَةٌ مَا * وَلِ حَارَهَا مِنْ تَوَلَّى قَارَهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُعْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضُمُّ الْمُخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحْوَلُ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا * قَالَ طَرَفَةُ : وَتَرِيهِ
 النَّجْمَ يَجْرِي بِأَنْظُرِهِ * أَهْلَاكُ الْقَوْمِ (طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ * وَطَارَتْ

١ معناه: إن لم يكن حضوة فلا

٢ أي باستقباله قبل أن يدبر

١ يقول: إذا لم تغلب فدار والطرف

تفتصر. وألا يالو ويأتلي وهو التفتصر

بَانْتَعَا * إِنَّهُ حَزَّاجٌ وَلَاجٌ * حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَشَرِبَ أَفْوَيقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُتَجَدِّدٌ ٣ * أَوَّلُ لَغْزٍ وَأَخْرَقَ * لَا تَغْزُ إِلَّا بِنِغْلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٌّ بَعُودٍ أَوْ دَعٌ * أَلْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يَصْفَرُ لَهُ * (أَلَا نُنْقَالُ مِنْ ذَلِّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتَ كِرَاعًا فَصِغْرَتْ
 ذِرَاعًا * كُنْتَ عَنَزًا فَاسْتَيْسَتْ * كُنْتَ بَغَاثًا فَاسْتَمَسْرَتْ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبْنَاهَا مُعْجَبَةٌ * الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَوَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كَأَنَّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّدٍ * (تَشْبِيهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَهَاطَمَ * الْعَصِيَّةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلُ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ ٤ * قَالَ زَهَيْرٌ :

وَهَلْ يَنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشَيْبُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا أُلْتَحَلُّ
 وَمَنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الذِّبَّةُ إِلَّا ذَيْبًا * حَدَّوْ أُنْعَلِ بِالْأُنْعَلِ
 وَحَدَّوْ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ٥ * (الْحَلِيمُ) * إِذَا تَرَا الشَّرُّ فَاقْعُدْ ٦ * وَمَنْهُ .
 الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجُهُولِ * لَا يَتَّصِفُ حَالِمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ قَانٌ
 شَدَّتْ تَجَلَّتَهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَكَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود الغدير والشَّرَّ أي اختر من الدهر خيره وشره . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يجمع في الضرع ما بين الحالبين ٣ وهو لحرب . وأصله من
 التواجد يقال : قد عضَّ على ناخذة إذا استحك ٤ يقال عذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه . ٥ والفتاة الريشة من ريش السم تحذى على صاحبها
 ٦ أي فاحسهم ولا تسارع إليه

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ وَمِثْلُهُ : وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ الصَّبْحُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فَلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرَ * (الرَّجُلُ الْغَرِيْبُ يَعْرِضُ بِهِ
 الدَّلِيلُ) * إِنْ الْبَغَاثَ بَارِضْنَا يَسْتَسْرِأُ ١ * لِأَحْرَبِ بَرَادِي عَوْفٍ ٢ *
 مَرَدٌ مَارِدٌ وَعَزٌّ أَلْبَقٌ ٣ * مَنْ عَزَبَ * مَنْ قَلَّ ذَلَّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ أَمْرُ
 أَي كَثُرَ * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فَلَانَ الْوَى بَعِيدَ السُّمْرِ * مَا
 بَلَّغَتْ مِنْهُ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ ٤ * مَا يَقْتَعُ لِي بِالسَّنَانِ * مَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ *
 مَا تَقَرَّنُ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ الْخَرِيرُ) * إِنَّهُ لِنِقَابٌ وَإِنَّهُ
 لِعَضُّ ٥ * أَنَا جَذِيهَا الْحَكَّاءُ وَعَذِيْقُهَا الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ : إِنَّهُ
 لِحَذَلُ حِكَاكٍ * عَنِتَّةٌ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُفْرَعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا مَعِي ٩ * مَا حَكَّكَ قَرْحَةٌ إِلَّا أَدْمِيَتْهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مَقْبِلَةً وَتَظْهَرُ مُدْبِرَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا دُخْلَةً إِلَّا الْعَالِمُ الْخَرِيرُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْمَجْرَبُ) * إِنَّهُ لَشَرَابٌ

١ الْبَغَاثُ صَغَارُ الْغَيْرِ تَسْتَسْرِأُ تَصِيرُ نَسُورًا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفَ بِنِ فَحَلِمَ شَبَابِي وَكَانَ
 مِثْلًا مَارِدٌ حَصَنٌ بِدَوْمَةٍ وَالْأَلْبَقُ حَصَنُ السَّمَوَاتِ ٣ وَدَمِ السُّمْرِ الْكُورُ الْفَوْقَ
 (السَّاقِدُ الصَّل) . يَقُولُ : فَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ النِّقَابُ الذِّكِيُّ وَعَضُّ الْعَالِمِ الْخَرِيرِ
 ٦ قَالَ الْأَصْبَعِيُّ : الْحَذَلُ تَصْغِيرُ الْحِذَلِ . وَعَوْ عَوْدٌ يُنْصَبُ لِلْأَيْلِ الْخِرْبَاءِ لِتَحْتَكُ بِهِ مِنْ
 الْحَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأَيْهِ يَشْفِي بِهِ . وَالْعَذِيْقُ تَصْغِيرُ عَذَقٍ . وَتَعَذَّقُ بِالْفَتْحِ الْخَيْطَةَ نَفْسَهَا . فَإِذَا مَالَتْ
 الْخَيْطَةُ الْكَرِيمَةَ نَوَامِنْ جَانِبِهَا الْمَائِلُ بِنَاءً مَرْفَعًا بِدَعْوَاهَا لِكَيْ لَا تَسْقُطَ فَذَلِكَ التَّرْجِيْبُ . وَصَغَّرَهَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَنِتَّةُ شَيْءٌ تَعَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِبَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَنْ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَمْرُ بْنُ مَالِكٍ الْكِنَانِيُّ . ثُمَّ فُرِعَتْ لَهُ مِنْ بِنِ الظَّرْبِ مَدُونِي . وَكَانَ حَكِيمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبُرَ
 حَتَّى انْكَرَ عَقْلَهُ . فَقَالَ لِبَنِيهِ : إِذَا أَنَا زَعْتُ فِقُومُونِي . وَكَانَ إِذَا زَاعَ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيُزْعُ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

أمه ١ * (الدعاء بالشر) * خوى نجمه وركدت ريجته * باخ ميسمه
 وكبا جواده * حمد ضرامه ونضب ماؤه * إنثلم ركنه وأنهار جرفه *
 نقب خفه ودمن ظلفه * رغم أنفه وخر سقمه * غار ماؤه وسقط
 بهاؤه * قرع فناؤه وصفر إناؤه * (رمي الرجل غيره بالمعضلات) *
 رماه بأخفاف رأسه * ورماه بثالثة الأثافي ٢ * العصية والأفيكة ٣ *
 كأنما أفرغ عليه ذنوباً ٤ * (المكر والخلافة) * قتل في ذروته ٥ *
 ضرب أحماساً لأسداس ٦ * ومنه قولهم: الذئب يأدو للغزال ٧ *
 (في الرجل المبرز في الفضل) * ما يشقُّ عبارة ٨ * إذا جرى المذكي
 حسرت عنه الحمر ٩ * جري المذكيات غلاؤ أو غلاب * ليست له همة
 دون الغاية القصوى * (الرجل النبيه الذكري) * ما يحجر فلان في
 ألبكم ١٠ * ما يوم حليمة لبسر ١١ * أشهر من الأباقي * وهل

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن قاتله الله وأخراه الله . ومنه
 قول امرئ القيس : ما له لا عد من نفره ٢ يريد قطعة من الخيل يجعل الى جنبها
 الثمنان وتكون هي الثالثة ٣ إذارماه بالبئتان ٤ إذا كلمه كلمة يسكتها بها
 ٥ أي خادعه حتى أزاله عن رأيه . ويروي عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج الى
 البصرة فأبت عليه : فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابت
 ٦ يريدون المناكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرًا جنى عيلاً وظل يضرب أحماساً لأسداس

٧ أي يجتأه ليوقعه ٨ أصالة السابق من الخيل ٩ أي كما يسبق الفرس

القارح الحمر ١٠ ألبكم الجوالق يريد أنه لا يخفى مكانه

١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتل فيها المنذر بن ماء السماء
 فضربت مثلاً

أَلْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

مثال في معان مختلفة جمعها ابن عبد ربه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * الصَّمْتُ حَكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عِي صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عِي نَاطِقٍ * الصَّمْتُ يَكْسِبُ أَهْلَهُ الْمَحَبَّةَ * اسْتَكْتَرَ مِنْ
الْهَيْبَةِ الصَّمُوتُ * النَّدَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ - يَشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أَطْرَقِي وَمَيْشِي ٢ * (إِنْ كَشَفَ الْأَمْرَ بَعْدَ اكْتِمَائِهِ) * حَصْحَصَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحَ عَنِ الرَّغْوَةِ * صَرَحَ الْمُحْضُ عَنِ الزُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمَ
بَيْضَتَهُمْ ٣ * بَرِحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) الْقَادِمُ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرَدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَرَ
الْعَمْرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفَكَ ٦ * فِي الزَّوْجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْيَمِينِ *
بِالرِّئَاءِ وَالْأَمِينِ ٧ * هُنَّتْ وَلَا تَنْكَدُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَلَتْ

(*) اعلم ان ما في الخاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال ففصلناه عنها لانها في السياق

- ١ شبه بالحب الجاهل الذي يحب شخباً في الإناء وشخباً في الأرض
- ٢ أصله أن يخذل الوبر بالصوف والمطراق العود الذي يضرب به بين ما خلط
- ٣ أي أخرجوا فرخها، يريدون أظهور واسرم
- ٤ أي جعلك الله كذلك
- ٥ أي أقصاه
- ٦ أي نعم بالك
- ٧ يريد بالرفاء الكثيرة (كذا
- ٨ أي أصابك خير ولا أصابك ضرر في الاصل) يقال رفأته إذا دعوت له بالكثرة

كَفَى مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدَسَ مِنْ عَوَزٍ
وَذُو الْقِنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأَلَّفَهُ
حَسَبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ
عَمَّا رَضِيَ عَا لِبَانَ حِكْمَةٌ وَتَقَى
إِذَا نَبَأَ بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ
يَا ظَالِمًا فَرِحًا بِالْعَزِّ سَاعَدَهُ
مَا اسْتَمْرَأَ الظُّلْمَ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ
يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمُرْضِيُّ سِيرَتُهُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَسْجَتْ فِي الْحُجْجِ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِيًا
لَا تَعْتَرِزْ بِشَبَابٍ رَاقٍ خَضِلُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاعَجْتَ نَفْسَكَ لَمْ
هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْلِي عُدْرَ صَاحِبِهَا
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا
وَكَوْكَلُ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يُجْبِرُهُ
خُذْهَا سَوَاطِرَ أَمْثَالٍ مُهْدَبَةٌ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّبَعُ صَانِعُهَا

فَقِيهِ لِلْحَرِّ قَبِيَانُ وَغُنْيَانُ
وَصَاحِبِ الْحُرِّصِ إِنْ أَثْرَى ففَغَضْبَانُ
فَأَطَابَ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخَلَّانُ
وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالٌ وَطُغْيَانُ
وَرَاءَهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَهْرِ يَتَّظَانُ
وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
أَبْسِرْ وَأَنْتَ بَغَيْرِ الْمَاءِ رِيَانُ
وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمَانُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَامُنُ
مِنْ كَلْبِهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانُ
فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَانُ
يَكُنْ لِمَثَلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
مَا عُدْرَ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
إِنْ شَيَعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصَ وَإِيمَانُ
وَمَا لِكَسْرِ قِنَاةِ الدِّينِ جَبْرَانُ
فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّبِيَانَ تَبِيَانُ
أَنْ لَمْ يَصْغَهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانُ

مِنْ اسْتِنَاءٍ إِلَى الْأَسْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشْرِ إِنْ أَلْحُرَّ هَيْمُهُ
 وَرَافِقُ الرَّفِيقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ عَلَيْهِمْ
 وَلَا يَغْرُكَ حَظُّ جَرْدِ خَرَقٍ
 أَحْسَنُ إِذَا كَانَ إِمَّكَانٌ وَمَهْدَرَةٌ
 فَالرَّوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَغَمَّةٌ
 صَنْ حَرَّ وَجْهِكَ لَا تَهْتِكْ غَلَاثَةَ
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبَهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَعْرِى مِنْ نَهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَالتَّهْ دَوْلَتُهُ
 سَخْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصْرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَدْلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا أَفْلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِيُورِدَهُ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِطُلٍّ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَدْبٍ حَازِمٍ يَتَّقِ
 فَالْتِدَابِيرُ فُرْسَانُ إِذَا رَكَّضُوا
 وَللأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 قَمِيصِهِ مِنْهُمْ صَلِّ رُثْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبِشْرُ عُنوانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذْمُهُ إِنْسَانُ
 فَأَخْرَقَ هَدْمٌ وَرَفِيقُ الْمَرْءِ بُيَانُ
 فَلَنْ يَدْرُمَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمَّكَانُ
 وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانُ يَزْدَانُ
 فِكُلِّ حَرٍّ حُرٌّ أَلْوَجْهَ صَوَّانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْئَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبِأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَخْبَانُ
 فَارْعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سَرْحَانُ
 غَرَايُزُ أَنْتَ تَحْصِيهِنَّ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبُرُّ يُخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَجِّ بِحُرَّانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِيهِ التَّحْقِيقُ فَمُضْدَانُ
 يَا عَابِرًا لِحِرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا يَا اللَّهُ هَلْ لِحِرَابِ الْمُرِّ عَمْرَانُ
 وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا أَنْسَيْتَ أَنْ سُرُورَ الْمَالِ أَخْرَانُ
 زِعَ الْفَوَاءِ عَنِ الدُّنْيَا وَزَخْرَفُهَا فَصَفَوْهَا كَدْرًا وَالْوَصْلَ هَجْرَانُ
 وَأَرَعَ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَاهَا كَمَا يُفَصِّلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
 أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ
 يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحِمَمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
 أَفْبَاهٍ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمَلِ فِضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
 وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَانًا لِمَنْ يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحُرَّ مِعْوَانُ
 وَأَشْدُدْ يَدَاكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
 مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُجِدْ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمَنْ هَانُوا
 مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
 مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
 مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَالْمَالُ الْإِنْسَانَ فَتَّانُ
 مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيبُ الْعَيْزِ جِذْلَانُ
 مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانًا عَلَيْهِ غَدَا وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرَصِ سُلْطَانُ
 مَنْ مَدَّ طَرْفًا بِرِطَاجِلِهِ لِحَوْهَوَى أَنْغَضَى عَلَى الْحَقِّ رِوْمًا وَهُوَ خِرْيَانُ
 مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بَرْهَانُ
 مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَجْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ نَدَامَةً وَحَصْدُ الزَّرْعِ إِبَانُ

فَاتْرَكَ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلَ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ الْقَتْلِ مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونَ أَبِي وَجَسَنُ السَّبَكِ قَدْ نَفَى الرِّغْلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا يَبْتَ التَّرْجِيحُ إِلَّا مِنَ بَصَلِ
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقَلِ
بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَنُجْلِ رَتْبَةٌ وَكَلَّا هَذِينَ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْعُرْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلِ
دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحَلَى النُّقْلُ
جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ لَا تَعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلِ
لَا تَلِ الْأَدْحَكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلِيَ الْأَدْحَكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
فَقَصِّرِ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَنْفِرْ فِدْلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
غَيْبٌ وَزُرُ غَيْبًا تَرُدُّ حُبًّا مَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالُ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطَّقْلِ
حُزْنُكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ وَأَعْتَبِرْ فَضْلَ الْقَتْلِ دُونَ الْحُلَالِ
فِيمَنْكَتِ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنًا فَاعْتَرَبْ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلِ
وَسَرَى الْبَدْرُ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلَ وَسَرَى الْبَدْرُ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلَ

نونية ابي الفتح البستي

١١١

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُهُمَانُ وَرَبِّجْهُ غَيْرَ مُحْضِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

كَتَبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
 أَيْنَ نَمْرُودُ وَكَنْعَانُ وَمَنْ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحُجُبِ أَهْلُ النَّهْيِ
 سَعِيدُ اللَّهِ كَلَّا مِنْهُمْ
 أَيُّ نَبِيٍّ أَسْمَعَ وَصَايَا جَمَعَتْ
 أَطْلَبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
 وَأَحْفَلْ بِالْقَمَةِ فِي الدِّينِ وَلَا
 وَأَهْجِرِ النَّوْمَ وَحَصَاهُ فَمَنْ
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
 فِي أَرْذِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعَدَى
 جَمَلُ الْمُنْطِقِ بِالنَّحْوِ فَمَنْ
 أَنْظَمَ الشَّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي
 فَهَوَّ عُنْوَانُ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
 مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةَ
 إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا
 عَيْشَةُ الرَّاعِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
 كَمْ جُهُولَاتٍ فِيهَا مُكْثَرًا
 كَمْ سُجَاعٍ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى
 فَلَمِنْ بَشِشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
 مَلِكِ الْأَرْضِ وَوَلَى وَعَزَلٍ
 هَلَاكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُقَنَّ الْقَلَلُ
 أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ
 وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
 حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
 أَبْعَدِ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
 تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
 يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يُحَقِّرُ مَا بَدَلَ
 كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ
 وَجَمَالَ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
 يُحْرَمُ الْإِعْرَابُ بِالنُّطْقِ اخْتِبَلِ
 فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّحْلَ
 أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
 وَعَنْ الْجُرِّ اجْتَرَأْ بِالْوَشْلِ
 تَخَفِضُ الْعَالِي وَتَعْلِي مَنْ سَفَلَ
 عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
 وَعَالِمٍ مَاتَ مِنْهَا بِعَلَلٍ
 وَجَبَانَ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

وَأَحْذَرُ عَدُوَّكَ إِذْ تَرَاهُ بِاسْمَا
 وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
 لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
 يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
 يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ
 وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبِلَادَةٍ
 فَأَرَحَلْ فَأَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةُ الْفَضَا
 فَاقْدُ نَصِيحَتَكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
 خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
 حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ
 فَاصْغِرْ لِعَوْظِ قَصِيدَةٍ أَوْلَا كَهَا
 فَالْمِيثُ يَبْدُو نَابَهُ إِذْ يَغْضَبُ
 فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يَتَجَبَّبُ
 حُلُوُّ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَقَلَّبُ
 وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثُّعَابُ
 وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعُقْرَبُ
 وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
 طَوْلًا وَعَرْضًا شَرْقِيًّا وَالْمَغْرِبُ
 فَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
 جَاءَتْ كَنْزُومُ الدَّرْبِ بِلْهِمِّي أَعْجَبُ
 أَمْثَلُهَا لَذْوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
 طَوْدُ الْعُلُومِ الشَّاحِحَاتِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردى

١١٠

اِعْتَرَلْ ذِكْرَ الْأَعَانِي وَالنَّزَلِ
 وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
 وَأَثْرُكَ الْعَادَةَ لَا تَخْفَلِ بِهَا
 وَأَفْتِكِرِي فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
 وَأَهْجِرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
 وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا
 لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طَرْقًا بَطْلًا
 وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
 فَلِأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَقْلُ
 تَمَسُّ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتَجَلُّ
 أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلُّ
 كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلُ
 جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلُ
 إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطْلُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمْهَا تَقَرُّ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَلْ مِنْهُ الرِّضَا
وَأَرَعَ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَابِيًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِالْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُلِيَتْ بِبَكَّةٍ فَأَصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مُوَاحَاةَ الدِّينِيِّ لِأَنَّهُ
وَآخِرَ صَدِيقِكَ وَأَعْظَمِيهِ تَفَاخُرًا
وَدَعْ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحُقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَالْكُفْمُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا

رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيْسٌ وَيُحْيَبُ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
إِنَّ الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ رِيًّا تَعْلِمُ يَطْبُوكَ مَسْبُوبُ
وَأَعْلَمْ بَأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجَبُّ
بِتَذَلُّ وَاسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَامَا لَا يُنْكَبُ
أَوْ نَالَكَ الْحُطْبُ الْكُرِّيهِ الْأَصْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعِدِّي كَمَا يُعِدِّي الصَّحِيحُ الْأَجْرُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكُذُوبَ يَشِينُ حِرًّا يَصْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَابُ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبُ
فَالْمُرَّةُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثُرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذَا لَا يَنْشَبُ
فَرُجُوعَهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعَبُ
شَبَهُ الزُّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَكَذَلِكَ وَصَلُ الْغَائِيَاتِ فَإِنَّهُ
 فَدَعِ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
 ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
 دَعَّ عَنْكَ أَقْدَمَاتٍ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
 وَاللَّيْلِ نَاعِلَمُ وَالنَّهَارِ كِلَاهِمَا
 لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَاكُ كَانَ حِينَ نَسِيَتِهِ
 وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعةٌ أودِعَتْهَا
 وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
 وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
 تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
 فَاسْمَعْ هُدَيْتَ نَصَاحًا أَوْلَا كَهَا
 أَهْدَى التَّصِيحَةَ فَاتَّعَظْ بِمَقَالِهِ
 لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ أَخْوَانٌ لِأَنَّهُ
 وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غَضَاتِهَا
 وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ بِمَكَانَةٍ
 وَيَبْشُرُ بِالترَّحُّيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
 فَاقْنَمُ فِي بَعْضِ الْقِنَاعَةِ رَاحَةٌ
 لَا تَحْرَسُنْ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَانِدٍ

أَلْ يَبْلَغَةَ وَبَرَقُ خَلْبُ
 وَأَزَعَدُ فَعَمْرُكَ صَرَّ مِنْهُ الْأَطِيبُ
 وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيُّنَ مِنْهُ الْمُهْرَبُ
 وَأَذْكَرُ ذُنُوبَكَ وَأَبْكَهَا يَا مُذِيبُ
 لَا بُدَّ يُحْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
 أَنْفَاسُنَا بِمَا تَعُدُّ وَتُحْسَبُ
 بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلَعَبُ
 سَتَرْدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلَبُ
 دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
 حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
 وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَجْرَبُ
 بِرُ نَصُوحِ الْأَنْامِ مُجْرَبُ
 فَهُوَ الَّتِي اللُّوذِعِي الْأَدْرَبُ
 مَا زَالَ قِدَمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ
 مَضَضٌ يَدُلُّ لَهُ الْأَعْرُ الْأَنْجَبُ
 قَتْرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
 وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
 وَلَقَدْ كَسِي ثَوْبَ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
 فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيصَ وَيُنْسَبُ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمَ أَفْطَحَ الْمَسَاوِي
صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمَهَاوِي
مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ
ثُمَّ أَتَى بِالصِّدْقِ لَمْ يَصْدَقْ
مَنْ عَذَّبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ
فَالصِّدْقُ لَيْسَ كَأَنَّا مِنْ شَانِهِ
وَأُكِّنَتْهُ الْمُنْطِقُ بِالصَّوَابِ
خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَابِ
لَا تَعْصِيَنَ قَوْلَ ذَوِي النَّجَارِبِ
لَا تَسْتَعِنَ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبِ

المكارم

١٠٨

وَأَنْزِعْ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ
تَمْنَحُكَ الْأَعْزَازَ وَالْكَرَامَةَ
أَزِينُ حَيَاةٍ عَلَى الْإِنْسَانِ
وَأَجْمَعُ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ
فَأَرْحَلُ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا
وَأُسَمُّ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
فَإِنَّهَا تَمْنَحُكَ الْفَضَائِلَ
حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا آجِلًا
عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالِ
فَرَضَ عَلَيْهِ النَّفْسَ فِي الْفِعَالِ
فَكُلُّ مَا أُسْتَحْيَتْ أَنْ يُقَالَ
فِيكَ فَلَا تَجْتَنِهِ فِعَالًا
عَلَيْكَ حُسْنَ الْبَشْرِ فِي الْإِقَاءِ
فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولًا
مِنَ الْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
يَهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا
يَذُودُ عَنْكَ أَلْهُمَّ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعلي بن ابي طالب

صَرَمْتَ جِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ (*) وَالذَّهْرُ فِيهِ تَصْرُمُ وَتَقَلْبُ

(*) انما اراد الشاعر بزئب هنا الدنيا وبالغائيات في البيت بعده ملذذات

فَأَقُولُ مَا أَرْسَلْتَهُ عَلَى عَجَلٍ دَوَكَّلُ بِهِ الْعَثَارُ وَالزَّلَّالُ
يَأْرَبُ مَحْضُورٍ مِنَ الْمَقَالِ يَهِيحُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَأَنْظُرُ زَائِعَةً سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَنْ يَقُولُهَا
لَا تَطْلُقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالَهُ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَهُ

الصدر

١٠٦

وَالصَّبْرُ فَأَعْلَمُ مِنْ أَعَدِّ الْعُدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّائِبَاتِ الْوُجُودِ
فَأَجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمْ مَعْقِلًا وَأَجْعَلُهُ عِنْدَ النَّائِبَاتِ مَوْثِقًا
فَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارِ مُخْتَلَفِ الْأُقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَايَا صَابِرًا سَالًا كَمَا يَسْأَلُو الْبِهِيمُ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَضَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَعْصِمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثِ
إِذَا آتَى مَا لَا تَطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوْلَى مَا أَقْتَنَيْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضَيْفِ بَيْتِكَ يَوْمًا نَزَلَا لَا يَلْبَثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صِدْقُ الْمُنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ الْكُرْمُ بِهِ مِنْ خَلْقِ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَاجٍ إِلَى الْفَلَاحِ
شَرَفٌ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكُرَيْمَةَ أُسْرٌ بِهِ حَالَاتُكَ الذَّمِيمَةَ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتْرُونَ فِي الْأَمْوَالِ

مَنْ جَاسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَا لَمْ يَعدِمِ الْخَبَالَ وَالْفَسَادَا
 وَوَحْدَةَ الْمَرْءِ بِلَا أُنيسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيسِ
 ناصِحَ أَخَاكَ فِي الْمَلَمَاتِ الْخَيْرِ وَكُنْ إِذَا ناصِحَتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَطِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدعِ الصِّدْقَ لَهُ صَدِيقَا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْمَشَارَا

الجمت وحفظ اللسان

١٠٥

أَلصَّتْ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلامِ وَشَاهِدُ لَهُ بِفَضْلِ الْحَبِيبِ
 وَحَارِسٌ مِنْ زَلَلِ اللِّسانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنِ الْبَيَانِ
 فَعَذِبَهُ مُعْتَصِمًا مِنْ الْخَطَا أَوْسَطَ يُفْرِطُ فِي مَا قَرَطَا
 إِنْ السُّكُوتُ يُعَقِّبُ السَّلَامَةَ قَرَبَ قَوْلٍ يُورِثُ النَّدَامَةَ
 اسْتَبْدَلَ الْخِيفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظُنُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمَهُ مَنْ لَا يَزِمُ قَوْلَهُ وَيَخْطُمَهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرِحُ مِنْ غَمِّهِ
 مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسانِ
 إِسْرَافُ ذِي الْإِطْطَابِ فِي الْمَقَالِ أَضْرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
 لِأَشْيَاءٍ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسِّجْنِ مِنَ اللِّسانِ
 إِنْ اللِّسانُ سَبَّ عَقُورُ إِنْ لَمْ يَسْسَهُ الرَّأْيُ وَالتَّدْبِيرُ
 لَا تَطْلُقَنَّ الْقَوْلَ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنْ اللِّسانُ غَيْرُ مَأْمُونِ الضَّرُّ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَجَبٍ يُؤْتَرُ عَنْ أَهْلِ الْحِجْيِ وَالْأَدَبِ
 وَمَا أَنَّى مِنْ مِثْلِ مَضْرُوبٍ مُسْتَلْحَمٍ مُسْتَطْرَفٍ غَرِيبٍ
 يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى مُحَمَّدٍ مَا أَنشَاهُ
 وَيُحْكِمُ الْمُغْفَلَ الْمُغْمُورًا حَتَّى تَرَاهُ أَرْبَابًا تُحْرِمُوا
 وَالْمَرْءَ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْتَابَا
 لِكِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنَبْضِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
 وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجْرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنَ لِمَصْرِفِ الدَّهْرِ وَالْعَجَابِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَأَتِجَارِبِ
 كَمَاكَ مِنْ عَاشِرَتٍ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
 لَا تُحْمَدَنَّ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا يُخَلِّبُ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَا
 فَرِيْمًا أَخْلَفَكَ الطَّرِيْدُ بِالْأَمْرِ أَنْتَ بِهِ غَرِيْدُ
 إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النُّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
 نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّقْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
 وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي غَالِيلِ شَرْقِ بَمَاءِ
 وَأَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ فَرِيْمًا طَلَبْتَهَا فَفَرَّتْ
 وَالْأَمْرَانِ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلٍ فَاطْلُبْهُ قَبْلَ فَوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
 مَنْ لَمْ يَعْطَهُ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَتَعَطَّ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
 رَبِّ رَحَا دَارَتْ بَيْنَ يَلِيْمَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرْكَبِيْمَا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ غَصْبٌ غَاصِبٌ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْفَانُ بِتِّ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَقْتَنَيْتِ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٌ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ الْعَامُ وَالْتَمَوَى هِيَ الْبَأْسُ وَالْحَجَى

وَلِلْعَمْرِءِ أَضْدَادٌ يَرُومُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدٌّ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ ضِدٌّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِمَوْتِهِ
وَمَنْ يُبِخُ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتُهُ
فَأَحْكُمَ عَلَيْهِ بِأَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهُ
كَمْ مِنْ وَجُودٍ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ صُورَتُهُ
يَكُنْ قِصَارَاهُ مِنْ إِيَابِهِمْ نَدْمَهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خِصَائِصُهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مَحْصُولِهِ عَدَمَهُ
مِنْ الْفَضَائِلِ سَاوَى رَأْسِهِ قَدَمَهُ

نخبة من اراجيز الشيخ السابوري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدَبِّرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
الْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
ذِي الْمُنِّ وَالطَّوْلِ إِلَهِ الْخَلْقِ
حَبْرَتُهُ بِنَاطِقِي تَحْمِيرًا
مَفْصَلٌ مُنْتَظَمٌ الْأَبْوَابِ
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
لَمْ آلْ فِيهِ انْتِصَحَ وَالتَّيْسِيرَا
فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

تَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرُ لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرٍ وَفَكْرٍ
قَبِيحٍ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُخْطِي وَرَجِعَ لِتَثْبِتِ دُونَ عَذْرِ

نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَانِي الْعَلِيَّ عَفْوًا بِمَا تَعَبَ
عَلَيْكَ بِالْحِدَايَةِ لَمْ أَجِدْ أَحَدًا
هَيَّاتِ نَيْلَ الْعَلِيِّ عَفْوًا بِمَا تَعَبَ
حَوَى نَصِيبَ الْعَلِيِّ مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبَ

أَحْرُ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقٌ ذَاتَهُ
وَمَنْ أَقْتَنَى مَا لَيْسَ يُمَكِّنُ غَضَبَهُ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَنْتَمِعْ بِنَصَائِحِي
وَأَمِتْ بِجَهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي
وَعَايِكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَنْفَتِي
وَأَعْلَمُ بَأَنْ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي
وَالْمَرْءُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رِكَضَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيْثُ عَالَمٌ
لَأَسِيًّا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لَنْفَتِي
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ

مِنْ رِقِّ شَبُوتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
مِنْهُ وَوَفَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
وَأَجْلَلَ بِبَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
تَحِيًّا بِالْبَصِيرَةِ وَاللِّتْقَى بِمَمَاتِهِ
إِنْ عَدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرَ صِفَاتِهِ
يَأْتِي الْتَقَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
إِلَّا لَوْهَنْ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
يَعْتَدُهُ فَضْلًا مَقُومَ ذَاتِهِ
عَيْشُ رِخَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
فَاعْلَمْ بِأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلنَّفْسِ مِمَّا لَا لَيْسَ يَئِدُ مِنْ
إِذَا فَطَمَتْ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمَتْ
وَلَا تَعْنَفُ إِذَا قَوَّمَتْ ذَا عِوَجٍ
حُلُو الْعِتَابِ وَحُرُّ الْعَتَبِ تَزِيجًا
فَأَجْعَلْ لَهُ يَأْعَقِدُ الْفَضْلَ تَدْرِجًا
فَرُبَّمَا أَعْقَبَ التَّمْوِيمُ تَعْوِجًا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَتْ عَنْهُ الْوَلِيَّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفَرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنْكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ التَّنَا
إِنَّ التَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مَنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَنَى

مِنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِذَاظِرِّ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوَسُّمُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمٌ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْلَادِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النُّفُوسِ بِالْأَمْوَالِ وَنَيْبِلُ عِزِّ الْأَعْرَاءِ

وَمُسْتَشْفَعٌ مِنْ أَخٍ حُفَاةً وَفِيهِ مَعَايِبٌ تُسْتَرِّدَلُ
كَأَعْمَى يَخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَغْفَلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرِفْقٍ وَاتَّبِعْ أَبَدًا أَيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقِ أَحْسَنُ مَا تَوَقَّتِي الْأُمُورَ بِهِ يُصِيبُ ذَوَا الرِّفْقِ أَوْ يَجُومُ مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَازَيْتَهُ أَبَدًا بِفِعْلِهِ زِدْتَهُ فِي غَمِّهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيَّةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَأَجْعَلْ سَرِيَّةَ تَقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَبْغِيهِ وَبُرْهَانًا

وَالْمَرْءُ يَجْعَلُ فِي الْحَقِّ قَوْلَهُ كَأَلَةٍ مَا يُعِيمُ
 مَا يُجْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَوْتِ نِ وَرِيهَا غَرَضٌ رَجِيمٌ
 وَيَرَى الْقُرُونِ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَشِيمُ
 وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا وَلَا بؤْسٌ يَدُومُ وَلَا نَعِيمٌ

نخبة من حكم ابي عثمان بن ليون التيمي

١٠١

زَاحِمٌ أُولِي الْعِلْمِ حَتَّى تَعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةً
 وَلَا يَرْدُكَ عَجْزٌ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
 فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الدَّرْسُ رَأْسُ الْعَالِمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ
 مَنْ ضَمِعَ الدَّرْسَ يَرَى هَازِيًا عِنْدَ أَعْتَبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
 فِعْرَةٌ الْعَالِمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِرَّةُ الْمُتَنَقِّ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَا عِوَالَهُ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
 وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخْوَاكَ الَّذِي يَجْمَعُكَ فِي النَّيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالنُّجْمُ
 وَيَبْشُرُ مَا يُرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلِّمًا وَيُنْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنُّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَّتَا وَيُعَاطِي فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَاتَا
 يُسِرُّ إِنْ أَتَيْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصْتَ أَوْ انْتَقَصْتَ
 وَمَنْ لَا يَكْتُمُ ثَبَاتٌ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنْ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدْنَا

حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمٍ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحِشَةٌ فَإِلَّا فَا بَدَأَ إِذَا حَفَّتِ النَّدَمُ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمَ فَاصْبِرْ لَهَا نَبْجَازِ الْوَعْدِ إِنَّ الْخَلْفَ ذَمُّ
 الْكِرَامِ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ إِنَّ عِرْقَانَ الْفَتَى الْحَقِّ كَرَمٌ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْتَمِي وَإِنْ غَبَتْ شَمُّ
 ١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الشَّقِي يُعْطُ ابْنَهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا الَّذِي اللَّهُ الْحَكِيمُ
 دُمٌ لِلخَلِيلِ بَوَدِّهِ مَا خَيْرٌ وَدِّ لَا يَدُومُ
 وَأَعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَأَعْلَمُ بَانَ الضَّيْفِ يَوْمَ مَا سَوْفَ يُحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مَحْمُودِ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمِ
 وَأَعْلَمُ بِنِي فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقَهَا مِمَّا يَهْجُجُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تَضَادُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ
 وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرَّتَهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغَنَى وَيَهَانَ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يُقْتَرُ الْحَوْلُ التَّقَى وَيُكْتَرُ الْحَقُّ الْأَثِيمُ
 يَمَلًا لِذَلِكَ وَيَبْتَلَى هَذَا فَأَيُّهَا الْمُضْمِيمُ

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَاكَ . وَتَفَهَّمْ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَكَثِّرْ لِنَظَرِ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ . وَلِيَكُنْ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَوَلَدَيْنِهِ نِظَامًا وَلَا أَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا وَاللِّزْمَةَ
وَالْمَلَّةَ عَدْلًا وَصَالِحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرَشْدَكَ وَكَلَاءَتَكَ . وَالسَّلَامَ

(لابن الاثير)

وصية محمد الدكجي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا
لَوْ كُنْتَ حَيْثُ هُمَا وَكَانَا بِالْبَقَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فُطَامًا
كَأَنَا إِذَا مَا أَبْصَرَ بِكَ عِلَّةً
كَأَنَا إِذَا تَمَعَا أَيْنِكَ أَسْبَلًا
وَتَمَنِيَا لَوْ صَادَفَا بِكَ رَاحَةً
فَأَسَيْتَ حَتَّى هُمَا عَشِيَّةً أُسْكِنَا
فَلْتَحْتَمِيَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ
وَلْتَسُدَّ مِنْ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدِمْتَ فِعْلًا صَالِحًا
فَأَحْفَظْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا

٩٩ مِنْ شِعْرِ الْمُتَّيَّبِ الْعَبْدِيِّ :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدْ
أَنْ تُبَيِّنَ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

وَمَنْ لَا يَتَدْرَعُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْمُخْتَرِ الَّذِي لَا عَامَ لَهُ بِطَابِ
 حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحْفَى مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ .
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يَصِلُ اللَّهُ بِهِ
 أَمْرَهُمْ . وَتَعَاهِدَ ذَوِي الْبِأْسَاءِ وَأَيْتَامَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْمَلَ لَهُمْ أَرْزَاقًا
 مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْتَدَاءً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ
 وَالصَّلَةِ لَهُمْ . لِيُصَلِّحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةَ
 وَأَجْرٍ لِلْأَرْضَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَيُفْقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقُ إِسْرَافًا . وَكَثْرَ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ
 وَمَشَاوَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ . وَلَيْكِنْ هَوَاكَ أَتْبَاعَ السُّنَنِ وَإِقَامَتَهَا وَإِيْشَارَ
 مَكَارِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلَيْكِنْ أَكْرَمَ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ
 مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَمْنَعَهُ هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ
 وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النَّقْصِ . فَإِنْ أَوْلَيْكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَانِكَ وَمُظَاهِرُونَ
 لَكَ . وَأَنْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ يَحْضُرُ تَكْ وَكَيْتَابَكَ فَوْقَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ
 حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُودِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ
 ذَلِكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَفَهْمًا وَعَقْلًا . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ . فَمَا
 كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَامْضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى
 التَّبْتُ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةَ عَنْهُ . وَلَا تَمْتَنَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ
 نُؤْيِهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ . فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدَّفَاعِ
 وَالصَّنْعِ فَأَمْضِهِ . وَإِلَّا فَمُتَوَقَّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ البَصْرِ وَالْعِلْمِ بِهِ .
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَأَ ذَلِكَ وَاعْجَبَهُ . فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقِضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَاسْتَعْمِلِ الحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالثُّقَةِ وَالكَثْرِ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ . وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِعَدِكَ وَالكَثْرِ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ . فَإِنَّ اللِّغْدَ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُلْهِيكُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ . وَاعْلَمْ أَنَّ اليَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورٌ يَوْمِينَ فَيُشْقِكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرَضَ عَنْهُ . وَإِذَا
 أَمْضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ . وَأَنْظِرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَسْتَيْقِنُ
 صَفَاءَ طَوْبِيَّتِهِمْ وَشَهَدَتْ مَوَدَّتِهِمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتِهِمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُخَالَطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ . فَاسْتَخْلِفْهُمْ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ . وَتَعَاهَدْ أَهْلَ البُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمَلْ مَوَؤَنَتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا الحِجَابَ عَلَيْهِمْ مَسًّا . وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظْرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ

وَإِيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ فَمَتَّهَوْنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
فَإِنَّ التَّهَوُّنَ يُورِثُ التَّقْرِيبَ وَالتَّقْرِيبَ يُورِثُ الْبُورَةَ الْبُورَةَ . وَلَا تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا
وَلَا تَمْلَأَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ عَدْرًا . وَلَا تَأْتِينَ مَدْحًا وَلَا تَمْسِينَ مَرَحًا . وَلَا تُغْمِضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا سَيَّ
أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيَمَهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَيَتَفَدَّدُ فِي قِوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَالِحِهِمْ وَيَتَقَوِّمُ أَوْدِيَهُمْ .
فَأَسْتَعْمِلُ عَلَيْهِمْ ذَا الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجْرِبَةَ وَالتَّجْرِبَةَ بِالعَمَلِ وَالعِلْمِ
بِالسِّيَاسَةِ وَالعِفَافِ . وَوَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ
الْأَلِزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَدَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَاكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يَصْرِفُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَفْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
أَسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحَسَنَ الْأُحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْحُبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَشَتِ العِمَارَةَ
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الخِصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَاجُكَ وَتَوَقَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
وَقَرِيتَ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ العَامَّةِ بِإِفَاضَةِ العَطَاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ رَضِيَ العَدْلُ فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كَالهَذَا عَدْلًا وَوَقُورَةً وَعَدَّةً .
فَنَافِسُ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمُ عَلَيْهِ شَيْئًا مُخَمِّدًا فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

ثَوَابَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْحُجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهَا
 رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْحِلْمَ . وَإِيَّاكَ
 وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
 مُسَاطُ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقَلَّةِ الْيَقِينِ
 بِاللَّهِ وَأَخِاصِ لِلَّهِ وَحِدَّةِ النِّيَّةِ فِيهِ وَالْيَقِينِ بِهِ . وَعَلِمَ أَنَّ الْمَالِكَ لِلَّهِ
 سُجْدَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
 وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
 وَالْمَبْسُوطِ لِحَمِيهِمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعْمَ اللَّهِ وَإِحْسَانَهُ . وَأَسْتَطَالُوا بِمَا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّهُ نَفْسِكَ . وَتَكُنْ ذَخِيرًا وَكُنُوزًا
 الَّتِي تَذْخِرُ وَتُكْثِرُ الْبِرَّ وَالْتَقْوَى وَالْمُعَدَّةَ وَالسُّلُوحَ الرَّعِيَّةَ وَعِمَارَةَ
 بِلَادِهِمْ وَالنَّمَقْدَ لِأُمُورِهِمْ وَالْإِعَاثَةَ لِلْمُهَوِّفِهِمْ . وَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
 كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفْرِ الْمَوَؤَنَةِ عَنْهُمْ سَمَتْ
 وَرَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَانَتْ بِهَا الْوَلَاةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ
 وَاعْتَمَدَ فِيهَا الْعِزُّ وَالْمَنْعَةُ . فَأَوْفِ رِعِيَّتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا
 يُصْلِحُ أَعْوَرَهُمْ . فَتَمَرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَتَسْتَوْجِبُ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ وَكُنْتَ
 بِذَلِكَ عَلَى جِبَابَةِ خِرَاجِكَ وَجَمْعِ أَدْوَالِ رِعِيَّتِكَ وَعَمَّاكَ أَقْدَرُ . وَكَانَ
 الْجَمِيعُ لِمَا شَاءَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا
 بِكُلِّ مَا أَرَدَتْ . وَأَجْهَدَ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
 وَلَتَعْظُمَ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

إِنَّمَا يَكْفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ الْغَمِّ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ بَأَيْفِصَاءٍ لَذَاذَةِ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ مُحْسِنَ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 مَحَبَّتِكَ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ ذَلِيلًا وَتَفْرُدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَفْرُدُ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمُجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَأْخُذٌ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَاسْأَلْكَ
 بِمَنْ تَسْوِسُهُ وَتَرَعَا نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهُدَى . وَأَقِمَّ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحْشَرُوهُ . وَلَا تَعْطَلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَاعْتَرَمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِاللُّسْنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسَامُ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمُ
 لَكَ مَرْوَةٌ تَكُ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَحْزِرْهُ وَأَقْبِلِ الْحُسْنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النَّمِيمَةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَجَاهَا تَقْرِيبُ
 الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَآسِي . وَالزُّورُ وَالنَّمِيمَةُ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ
 النَّمِيمَةَ لَا يَسْلُمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَتِمُّ لُطِيفُهَا أَمْرًا . وَأَحِبَّ أَهْلَ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعْيَنَ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعْفَاءَ وَصَلِ
 الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِعْزَّازَ أَمْرِهِ . وَاتَّمَسَّ فِيهِ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَمِعْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ النِّفَّةَ وَآهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَمَلَتَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ
 الْمَرْءُ النِّفَّةَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يَقْرَبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعْصِيَةِ الْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ
 وَدَرَكًا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَأَهْمِيَّةِ سُلْطَانِكَ وَالْأَسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَيْبَنَ نَفْعًا وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السُّعَادَةِ وَقِيَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِصَادِ . فَآثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقْصِرْ فِي طَابِ الْآخِرَةِ وَالْأَجْرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْثَارِ
 فِي الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتَهُ وَمُرَافَقَهُ
 أَوْلِيَاءِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَصْلِحُ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَأْتِهِ وَاعْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أَمُورُكَ وَتَرِدَ مَقْدَرُكَ
 وَتَصْلِحُ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهِ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ اتِّهَامِ الْبِرَاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ هَاشِمٌ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ

لِنِ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَأِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي الْأَبِّ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصْرِ يَمْشِي عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَالْفَطْنُ يَفْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
سُبْحَانَهُ خَافِيَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (مُلَخَّصٌ عَنِ الْمُقْرِي)

طرفة من وصية ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحِدْوَةٍ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عِزًّا وَجَلًّا
وَمُزَابِلَةً تُحِطُّهَا . وَحِفْظَ رِعْيَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَأَلْزَمَ مَا أَلْبَسَكَ
مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذُّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعْصُمُكَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا وَيُنَجِّيكَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْإِيمَ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ اسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
وَالدَّفْعَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ . وَالْحَسْنَ لِذِمَّتِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسَبِيلِهِمْ .
وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ
وَمَسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُثِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرِّغْ لِذَلِكَ
فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
وَمَلَاكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُؤَفِّدُكَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلِيَكُنْ
أَوَّلُ مَا تُزِمُّ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالَكَ الْمُواظِبَةَ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ

الْعُومُ . وَمِنْ صَغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى تُتَبَّ
 بِصَدْرِ أَلْهَمٍ . وَمِنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
 يَتَعَلَّلُ بِأَنْ يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرَّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
 (وَيُنشِدُ) : تَوَقَّعْ زَوَالَ إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنشِدُ) : وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَمْضُرُ
 الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنْ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَابٌ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
 مَحْسُورٌ يَمُرُّ ضِيَاعًا . وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
 تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَصْغِيرِ قَدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ
 فَلَا يَحْمَلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكَنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
 مَدَّ حُودَهُ . فَتَكُونُ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَ
 فَصَبَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَانْسِيَهُ فَبَقِيَ مُخْبِلَ الْمَشْيِ كَمَا قِيلَ :
 إِنْ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً فِي مَاضِيٍّ مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
 حَسَدًا لِقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعَقَالِ
 فَأَضَلَّ مَشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا فَلَذَاكَ كَنُوهُ أَبَا بَرِّقَالِ
 وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرَكَ مَنْ جَعَلَ يَذْمُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
 فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَسْكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْحَرَمَانُ . وَأَسْتَحْتَمْتُ طَلْعَتَهُ
 لِلْهَوَانِ . وَأَبْرُمُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَمَقْتُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنِ طَلَبِ الْأُمُورِ
 مِنْ وُجُوهِهَا فَاسْتَرَا حُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْدَارَ
 لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ . وَلَا تَرِلْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَّتْ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِحِزْبِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا
 وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تَبْقَى لَكَ الْوَدَّ فِي
 صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
 الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَأَحْذَرُ كُلِّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلِ : كُلُّ مَا تَعْرِسُ مُتَجَنِّبِهِ
 إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا عَرَسْتَهُ يُقْلَعُكَ . وَقَوْلُ الْآخِرِ : ابْنُ آدَمَ ذُئِبٌ مَعَ
 الضُّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَشُبَّ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
 تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
 فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُ رِقِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
 مَلَكَتْكَ . وَأَسْتَمِلُ مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشِرُهُ وَتَقْتَدِي فِي ذَلَّتْ الْأَسُنُ
 وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ . وَلَا يَحْمَلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
 تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَامِ . وَإِلَّا لَانِيزُ يَعْرِفُ أَلْمُ الْجُرْحِ وَأَجْعَلُ
 لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَأَقْبَلُ مِنَ الدَّهْرِ مَا
 آتَاكَ . مَنْ قَرَّ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ إِذَا الْأَفْكَارُ تَجَابُ الْهُمُومِ . وَتَضَاعَفُ
 الْهُمُومُ . وَمَلَا زَمَةُ الْقُطُوبِ . عُنوانُ الْمَصَائِبِ وَالْحُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
 الصَّاحِبُ . وَيَشْتُمُ الْعَدُوُّ وَالْمُجَابِبُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا أَنْفُسُكَ
 لِأَنَّكَ تَنْصُرُ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَمْرَانِ عَوْنَا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ فَمَنْ تَلُومُ
 مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحُزْنَ . وَلَا يَرْعُوِي بِطُولِ غَيْبِكَ
 الزَّمَنُ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرْنَاطَةِ شَخْصًا قَدِ اتَّقَاهُ الْهُمُومُ . وَعَسَيْتُهُ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَةِ : مَنْ سَبَّكَ يَوْمَ فَقَدْ سَبَّكَ بِعَقْلِ . فَاحْتَدِ
بِأَمْثَلِهِ مِنْ جَرَبٍ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جُهْدِهِمْ وَاعْبِرْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خَالِصَةٌ عَمْرِهِمْ وَزُبْدَةٌ تَجْرِبِهِمْ . وَلَا تَيْكِلْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعْبُ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاؤُهُ غَالِيًا
بِتَجَارِبِهِمْ يُرْجِحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ
وَتَجْرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تَضِيعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَقْيِيمًا
لِعَقْلِكَ وَحَمَلًا لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَأَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يُحْسِنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَدَبَّرَهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَاعِ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَأَنْبِذْهُ بُدْءَ نَوَاحٍ . فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبِعُهُ
وَلَا كُلِّ شَخْصٍ يَكَلِّمُهُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يَعْمُ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ رَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يَأْمَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوْفِي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطِي وَعَقْلِي مِيزَانَ
وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدْرِهِ . فَلَا تَعَامَلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
الْكُفُوِّ وَلَا الْكُفُوُّ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تَضِيعْ عَمْرُكَ فِي مَنْ يُعَامَلُكَ
بِالْمَطَامِعِ وَيُشِيْبُكَ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةِ آجَلَةٍ . وَلَا تَجْفُ
النَّاسَ بِالْجُمْلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُ مِنْهُ مَلٌّ وَلَا ضَجْرٌ وَلَا
جَنَافَةٌ . فَتَمَّتْ فَارَقَتْ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَمَا مَضَى سَلْمٌ بِكَيْتٍ
عَلَى سَلْمٍ . وَإِيَّاكَ وَاللَّيْتِ السَّائِرِ :

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحَفِظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَأَحَقَّ بِالتَّمْدِيمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا أُغْتَرِبَ ثَلَاثُ فَمِنْهُنَّ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَتَانِيَةٌ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَالِثَةٌ إِجْتِنَابُ الرَّيْبِ
وَأَصْغَرُهَا يَا بُنَيَّ إِلَى الْيَتِّ الَّذِي هُوَ يَتِيَّةُ الدَّهْرِ وَسَامُ الْكُرْمِ وَالصَّبْرُ .
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ زَيْلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلَتَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَهُ مَعَهُ وَادٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَابِكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِمَجَامِعِ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
التَّكْلِفَ لَهُ سَلَامًا وَهَبَ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هَيُوبَ السَّيْمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْوَسَنِ وَأَنْزَلَ بِقَلْبِهِ نُزُولَ الْمَسْرَةِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيَخْلُصَ فَيْكَ أَعْتَادُهُ . وَطَهَّرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ . وَأَعْلَقَ سَمْعَكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودٍ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِنَفْعَتِهِ . أَوْ
حُسُودٍ لَهُ يَغَارُ لِجَمَلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَعْتَرَّ طُولُ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَهَدَّدُ بِدَوَامِ رَفْدَتِهِ . فَمَنْدُ يَدِيهِ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَمَلَ عَمَلَهُ مَعْيَارًا وَكَانَ كَالْمِرْآتَةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورًا إِذَا طَالَعَتَهَا تَشْحَدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْمُ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةً فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَفْظَتِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ
وَأَمْشِ أَلْهُوِيْنَا مُظْهِرًا عِنْفَةً وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ الْعِي مُسْتَقْبِحٌ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ وَلْتَكُنْ
وَحَيْثُمَا خِيَمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحَدِيثِي فَقَدْ تُقَاسِي الْأَذْلَّ فِي وَحَدَّتِكَ
وَأَلْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلْتَجْعَلِ الْعَقْلَ مَحَبَّةً وَخَذْ كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْفَاطِمِ وَأُصْحَبِ أَخَا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَصْبَهُ وَفَكَّرَهُ وَقَفَّ عَلَى عَثْرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرُبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَسْمُ نَمُو النَّبْتِ قَدْ زَارَهُ غِيبُ النَّدَى وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَلَا تُصَيِّعْ زَمَانًا مُمْكِنًا تَذْكَارُهُ يُذْكَرِي لَطْفِي حَسْرَتِكَ
وَالشَّرُّ مِمَّا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِهِ فَإِنَّهُ حَوْرٌ عَلَى مُهْجَتِكَ

أَلْيَاسَ . وَأَظْهَرَ التَّجْمُلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَأَذْكَرٌ . وَنَظَرَ فَأَعْتَبَرٌ . وَوَعِظَ فَأَزْدَجَرٌ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا .
(لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسْفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي اتَّخَفُظَ . وَإِنْ أَتَادُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ أَسْعَى لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلْبَثَهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّه الْجُرْعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أَطْعَاهُ الْغَنَى . وَإِنْ عَضَّتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَّتْهُ الْبِضْنَةُ . فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

نخبة من وصية ابن سعيد المغربي لابنه وقد اراد السفر

أُودِعَكَ الرَّحْمَانَ فِي عُرْبَتِكَ مُرْتَبِقًا رَحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النُّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَقُّ إِلَى طَلْعَتِكَ
وَأَخْتَصِرُ التَّوَدِيعَ أَخْذًا فَمَا لِي نَاطِرٌ يَهْوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلُ وَصَاتِي نَصَبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةَ الْعُمْرِ الَّتِي حَبَسَتْ فِي سَاعَةٍ زُفْتُ إِلَى فِطْنَتِكَ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْخُلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمَعْسِرِ الْغَرِيمِ وَالْمُسْتَضْعَفِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَتِّ . قَالَ : الْبَقِيرُ الْفُخْتَالُ ، وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالْغَنِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيصُ
 الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْمُخْلِفُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّنِيْعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مَطَّلَ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عَشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قَرَّبَ مَنَعَ . وَإِذَا ظَلَمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوقِيَ سَمَحَ . قَالَ : مَنْ أَلَمَّ
 النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعٌ . وَبَاطِنُهُ طَبَعٌ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجْمَلُ إِذَا أُتْصِرَ . وَلَمْ يُطْعِهِ عِزَّةُ الظُّفْرِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْيَةِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُبُرَ أَدْنِيهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْخِطَارَ . وَأَعْتَسَفَ الْعَثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَدَلَ الْمُجْهُودَ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَفْقُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَى الْمَعْنَى الْمُرِيدَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَقَ الْمَفْصَلَ
 قَبْلَ التَّخْزِيذِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسَ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النَّعْمِ . وَسَخِطَ عَلَى الْقِسْمِ . وَأُسْتَشْعَرَ
 النَّدَمَ عَلَى مَا أُتْحَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أُسْتَشْعَرَ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحِكْمِ

٩٣ قَالَ الْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكِفَايَاتَيْنِ .
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْبِسُ الْعُودَ ذَمِيمَ الْعَهْدِ سِيِّئَ
الظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصَّيْتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجْمَلَ الظَّاهِرَ وَالدَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالْقَرْشَ السَّيِّئَ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِ . وَالسَّاطِنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحَظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَامْتَجِعُونَ . وَأَيْنَ الْأَمْلُونُ
وَالسَّائِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْخِلْعُ وَالتَّشْرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الضِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالتَّرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْحَزْبَاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْفَتَى إِذَا رَاحَ فِي فِرْطٍ إِعْجَابِهِ
وَلَا فِي قَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أَثْوَابِهِ
وَإِكْبَهُ فِي الْفَعَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِهِ

٩٤ اجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ وَحَمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ حَمِيرٍ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَامِرُ حَمَّةَ : أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَيْدِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّثْبَةِ

سَمِيَّاهُ وَكَسَاءُ اللَّهِ نُورَ سَنَاءٍ مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْفُقَرَانِ مُنْسَجٍ
 ٩١ وَقَالَ أَيضًا يَرِثِي الْحِجَازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْخَزَرَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَفْوَالِ الشَّهَابِ تَحْفَةَ الْقَوْمِ زَهَّةِ الْأَصْحَابِ
 كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَمْرِي فَتَوَارَى مِنْ التَّرَى بِحِجَابِ
 فَقَدَتْ بَرَهُ أَيَّامِي الْمُعَانِي وَيَتَامَى جَوَاهِرِ الْأَدَابِ
 هَطَلَتْ أَدْمَعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
 وَذَوُّو الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينِ وَلَى كَلِمَتُهُمْ جَامِعًا بِلَا مِحْرَابِ
 يَا شَيْهَابًا طُوعَهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ مَوْلَكِنْ أَفْوَالُهُ فِي التَّرَابِ
 لَكَ فِيهَا أَلْفَتَ تَذَكْرَةٌ مِنْ مَا أَنْتَقَى ذُرَّهُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ
 رَوْضَةٌ أَيْنَعَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
 فَسَقَى تَرْبَهَا الرَّبَابُ لِتَهْتَرَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمَاءِ الرَّبَابِ
 وَرَأَى كَسْرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ

٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ يَرِثِي صَلَاحَ الدِّينِ :

سَمَلُ أُمْدَى وَالْمُلُوكِ عَمَّ شَتَاتُهُ وَالذَّهْرُ سَاءٌ وَأَقْلَمَتْ حَسَنَاتُهُ
 بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يُرْجَى نَدَاهُ وَتَتَقَى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ وَتَمَّتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ أَشْرِيفَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْفُرُجُجَ لِإِبَائِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أُذْرِكْتَ تَارَاتُهُ
 أَلْجَالُ أَعْنَاقِ أُمْدَى أَسِيفَهُ أَطْوَاقُ أَجْيَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ يَرِي أَبَادُ إِبرْهِيمَ الْمَعْنِي :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ
وَيَا قَبْرَ إِبرْهِيمَ حَيْثُ حَفْرَةٌ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدَعْ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْنِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً

٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّامِي رثَاهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ الْمَوْسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ
جَبَلُ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْجُبْرِ اغْتَدَى
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى
أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
مِنْ وَقْفِهِ مُتَابِعَ الْأَزْبَادِ
أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرِي الْعَلَمَةَ مَحْيِي الدِّينِ الْكَافِي :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ مَحْيِي الدِّينِ كَافِي
كَانَتْ أَسَارِي هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرِّ
فَكَمْ نَفِي بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ
يَانُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا
فَلَوْ رَأَيْتَ الْفَلَاوِي وَهِيَ بَاكِيَةٌ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءٌ عَنْهُ رِيحُ صَبَا
يَا وَحِشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكْتَ
لَمْ يَلْحُقُوا شَأْوَ عَالِمٍ مِنْ خِصَائِصِهِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَثْرِينَا وَيُثْرُونَا
عِيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْمُهْجِ
تُرْهِى قَبْدَلُ ذَلِكَ الدَّرُّ بِالسَّجِجِ
فَرًّا وَقَوْمَ بِالْإِنْعِطَاءِ مِنْ عَوْجِ
وَكَانَتْ النَّاسُ تَمْشِي مِنْهُ فِي سُرْجِ
رَأَيْتَهَا مِنْ تَمْجِجِ الدَّمْعِ فِي لَحْجِ
لَا تَسْتَشْفُوا مِنْ سُدَاهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ
أَبْطَالُهُ قَتَوَاتٍ فِي حَمَى الرَّهْجِ
أَنَّى وَرَثَتُهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِهِ مِنْهُ مُتَبَهِّجِ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تَبَاكَ الرَّمَالُ
 بِسَكَنِ الرَّشَادِ عَلَيْهِ دَمًا وَسِرَّ الضَّلَالُ
 قَدْ لَاحَ فِي أَحْزَنِ نَقْصٍ مَا مَضَى وَأَخْتِلَالُ
 وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَهْضًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
 عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَرْوُلٍ مِنْهَا الْجِبَالُ
 بِقَبْرِهِ الْعِلْمُ تَاوَى وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سَالِمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ يَرِثِي يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ :

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزِيَّةٌ
 فَمَا لَوْ وَأَنَا قَدْ دَفَنَاهُ فِي التُّرَى
 فَفَاتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عِبْرَةً
 إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَظُمَ رِزِيَّتِي
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُوْتَى فَيَسْأَلُ بَعْدَهُ
 لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بِقِيَّةً
 فَلَمَّا مَضَى مَا أَتَى الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ
 وَعِزَّنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّا
 وَبَلَيْسَ بِمَنْ عَدَتْ دَمْعُ شَقْمَتِهِ
 لَعَمْرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي أَمُوتِ حِيَلَةٌ
 وَكِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى
 فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَفَرَّ بَدِينِهِ
 غَدَاةَ نَعْيِ النَّاعُونَ يَحْيَى فَأَتَمَّعُوا
 فَكَأَدُ فُوَادِي حَسْرَةٍ يَتَصَدَّعُ
 وَلَا جَزَعًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ نَرْجِعُ
 يَحْيَى إِلَى مَنْ نَسْتَرْجِعُ وَنَنْفِرُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُشْعِرُ
 مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَشْعُرُوا
 وَأُدْرَجَ فِي أَكْفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
 رَعِيَّةً رَاعٍ بِثَمِّهِمْ فَتَصَدَّعُوا
 وَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرْجِعُ الْمُتَجَمِّعُ
 وَلَا لِيَتَضَاءَ اللَّهُ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
 فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْرَعُ
 إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُتَمِّعُ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مُحَمَّدٍ فَأَذْرَيْتُ دَهْمِي وَالْفَوَادِ عَمِيدُ
 وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخَطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا بِإِيضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ فَقِيدُ
 وَأَقْلَقْنِي مَوْتَ الْكَسَائِي بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْقَضَاءُ تَمِيدُ
 وَأَذْهَلْنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَوَلَدَةٍ وَارَقَ عَيْنِي وَالْعِيُورُ هُجُودُ
 هُمَا عَالِمَانِ أَوْدِيَا وَتَحْرَمَا وَمَا لَهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
 فَحَزْنِي إِنْ تَخَطَّرَ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ بِذِكْرِهِمَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ

٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَرِي الْأَصْمِي:

أَسَيْتُ لِفَقْدِ الْأَصْمِي لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
 تَقَضَّتْ بِشَاشَاتِ الْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَوَدَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
 وَقَدْ كَانَ نَجْمَ الْعِلْمِ فِيْنَا حَيَاتِهِ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفَلَ النُّجْمُ
 ٨٥ قَالَ الْمُعْتَمِدُ يَرِي أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوْفَمِ الْأَسَلِ
 عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعٍ يُرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
 شَهَابٌ خَبَابٌ وَقَدَهُ وَعَارِضٌ غَيْثٌ أَفَلَ
 شَكَتْ دَوْلَتِي فَقَدَهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلِ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرِي الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ السُّيُوطِي :

مَاتَ الْكَمَالُ فَمَاتُوا وَنَى الْحُجِّي وَالْجَلَالِ
 قَلْعِيُونَ بُكَاءُ وَوَلَدُ مَوْعِ الْإِمَالِ
 وَفِي فَوَادِي حُرْنُ وَوَعَاةُ لَا تَرَالِ

وَكَمْ هَمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَيْكٍ
 وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْهِي دَوْلُ
 وَكَمْ عَزِيزٍ أَذْنَهُ الْمُنُونُ وَمَا
 يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْفِيكَ مَعْرِفَةً
 هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتُ
 وَهَلْ رَأَيْتَ أَنْاسًا قَدْ عَلَاوْا وَعَلَمُوا
 أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدَوْلِ الْمَوْتِ أَوْ عَمِيتَ
 وَهَلْ رَعَى الْمَوْتَ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
 الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
 وَلَيْسَ فَتْمُدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عَامٍ
 وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَتْ لَهُ أُمَّمٌ
 لِأَجْلِ ذَا طَالَ مَنَا النَّوْحُ وَتَأَخَّرَتْ
 عَلَى إِمَامٍ هَمَامٍ فَاضِلٍ فَطِنٍ
 لَهُ يَدٌ وَرَدَّتْ بِحُرِّ الْهُدَى وَرَوَتْ
 وَكَمْ لَهُ مِنْ تَالِيْنٍ بِجَوْهَرِهَا
 ٨٣ قَالَ الْإِيزِيدِيُّ بْنُ مُغْيِرَةَ الْمَقْرِيْنِيُّ رِثِي الْكِسَاءِيِّ وَ مُحَمَّدَ بْنَ
 الْحُسَيْنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَمَا تَأْفِي الطَّرِيقَ :
 تَصَرَّمَتْ الدُّنْيَا فَلَيْسَ حُلُودُ
 وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةِ سَيِّدِ
 سَيِّفِيكَ مَا أَفْتَى الْقُرُونُ الَّتِي حَضَتْ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا وَالْفَنَاءُ عَتِيدُ

مَا رَأَى النَّاسُ نَائِي الْمُتَّبِي أَيُّ تَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الزَّمَانِ
 كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبْرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
 كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَوَكِنٌ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
 ٨٠ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيِّ مِنَ الْمُرْقُصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ:
 وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
 وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمُسْكَ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الشَّنَاءُ الْخُلْفُ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

أَلْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
 وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَحْتَجَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي عَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
 ٨١ قَالَ حَمْرُزُ بْنُ يَرِيٍّ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مَدْرُ
 إِنَّ الْخُلَيْفَةَ قَدْ وَارَى شِمَائِلَهُ غَبْرَاءُ مَأْخُودَةٌ فِي جُوهِهَا زَوْرُ
 أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 كَأَنَّا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْبِتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رُوحٌ وَلَا عَمْرُ
 وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدَيْتَهُ أَغْلَوْا مُخَاَرَةَ لَوْ يَنْفَعُ الْخَطْرُ
 قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فَرْعٍ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقُسْطَلِ الْخَبْرُ
 ٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ يَرِيٍّ الْعَلَامَةَ الْعَبَادِيَّ :

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عِبْثًا أَقْصِرْ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْهُمُومِ مُبِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَائِقٍ أَفْنَتْ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعَيْتَهُ عَنِ الْحِيلِ

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحِكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطِيرٍ الْأَسَدِيِّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولًا لِقَبْرِهِ سَمَّتْكَ الْوَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
فِيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبُرُّ وَالنَّجْرُ مِثْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودِيَّةُ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُفَّتْ حَتَّى تَصَدَّعًا
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عَرَبِينَ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِيُّ النَّصْرَانِيُّ يَرِيثِي أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَّبِعِي:

الْدَّهْرُ أَخْتٌ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِهَا يَا أَحْمَدُ
قَصَدَتْكَ لَمَّا أَنْ رَأَتْكَ نَفِيسَهَا بُحْلًا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَائِسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكُرْهِيَّةَ بَعْتَهُ وَقَدَّمْتَهَا وَكَرِهَهُ فَقَدِكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلُوبِي إِنْ أَسْطَعْتَ أَحْطَابَ فَإِنِّي صَبَّ الْوَوَادِي إِلَى خِطَابِكَ مَكْمَدُ
أَتْرَكْتُ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يَشْدُ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ

٧٩ وَرثَاهُ أَيْضًا أَبُو الْقَاسِمِ الْمُظْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَاتِبُ:

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنُ يُقَالُ لَهُ مَعْنَى قَمَاتٍ فَقَالَ يَرِثِيهِ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّمًا بَضْرَارِي إِنِّي عَلَيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لِرَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَمَا نَبِي لَكَ وَارْتِ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يُوَلُّ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدْتَ تَرِيهِ لَيْسَتْ بِنَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمَرءُ سَوْفَ وَإِنْ تَطَاوَلَ عُمُرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحِفْرَةِ الْخَفَّارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَانَهُ مِنْ حُسْنِ بَيْتِهِ قَصِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلْتَنِي بِأَعْزَى أَهْلِي كُلِّهِمْ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةَ الْجُبَّارِ
هَلَا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْأَخْتَارِ
وَوَرَّكَتَ رَبِّيَ إِلَيَّ مِنْ أَجْلِهَا عَفَتْ الْجِهَادَ وَصَرَّتْ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخْوِيهَا :

مَنْ حَسَنِي الْأَخْوِينَ كَالْغُضُنِيِّزِ أَوْ مَنْ رَأَاهَا
قَرْمَانَ لَا يَتَّظَلُّ لَهَا وَلَا يُرَامُ حِمَاهَا
وَيَلِي عَلَى أَبِي وَالْمَثْبُورِ الَّذِي وَارَاهَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهُولِ وَلَا فَتَى كِنَاتَاهَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يُرِثِي ابْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسْبِيَةُ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخْلِيهَا
نَعَى النُّعَاةَ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَالَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَمَا نَامِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُنَّ إِلَّا يَأْقُومُ أَحْصِيهَا
زَوِي الرِّمَاحِ بِأَيْدِنَا فَنُورِدُهَا بِيضًا وَنُصَدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدِّ تَبَاكِي
 وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفْرًا بَعِيدًا مَتَى قُلِّ لِي رُجُوعَكَ مِنْ نَوَاكَا
 جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي جَزَاكَ
 فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدَّتْ أُنِي حَمَتْ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَاكَ
 سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْتَانًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَ
 وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزِفُّ عَلَى التَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَ
 ٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثَاءِ فِي بَنِي أُمِيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبُكَاءَ وَقَلَّ الْبُكَاءُ لِقَتْلِي كُدا
 أُصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
 بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَا
 وَكَانُوا ضِيَاءِي فَأَلَمَّا أَنْقَضَى زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَا

٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوَى هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلْعَبَّاسِيِّ:

أَفَاضَ الْمَدَامِجَ قَتَلِي كُدا وَقَتَلِي بِكُشُوقَةٍ تَرْمَسِ
 وَقَتَلِي بُوْحَ وَبِاللَّابِتِينَ يَثْرِبَ هُمْ خَيْرٌ مَا أَنْفَسِ
 وَبِالزَّابِئِينَ نُبُوسُ تَوْتِ وَأُخْرَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرَسِ
 أَوْلِيكَ قَوْمٌ أَنْخَتَ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِ
 إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاَكِبِينَ وَإِنْ جَاسُوا زَيْنَةَ الْجَاسِ
 هُمْ أَضْرَعُونِي لِرَيْبِ الزَّمَانِ وَهُمْ الصَّقُورُ الرِّغْمُ بِالْمَعْطَسِ
 فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

وَعَشْنَا مَجْرِي فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِيِّ مَالِكٌ بَعْدَمَا
قَمَلَتْ لَهَا طَوْلُ الْإِسَاءَةِ سَاءَ فِي
أَصَابَ الْمُنَايَا رَهْطَ كَسْرِي وَتَبَعَا
وَأَشْجَمَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّا
أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ الْوَجْهِ أَفْرَعَا
هَلْوَعَةَ حُزْنٍ تَشْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَرْتِي بَعْضَ مَنْ يَعْزُ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجْرَتِي هَجْرًا طَوِيلًا
عَهْدُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتَ غَدْرًا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَابْتِغَاءً
فِيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوْحِي
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ إِضْعَفَ حَالِي
يَعْزُ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
خَتَمْتُ عَلَيَّ وَدَادِكَ فِي صَمِيرِي
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
فَوَا أَسْفِي لِسِيكَ كَيْفَ يَبْلِي
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
وَيَا حَجَلِي إِذَا قَالُوا مُجِبٌ
وَمَا عَوَدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
وَتَقْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي تَنَاكَ
فَكُلُّ النَّاسِ يُغْدِرُ مَا خَلَاكَ
دَهَاكَ مِنَ الْمُنِيَّةِ مَا دَهَاكَ
وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوْحِي أَنْفِكَ آكَ
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
أَفْتَشُّ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
وَلَيْسَ يَزَالُ مَحْتُمًا هُنَاكَ
وَمَا اسْتَوْفَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
وَحَقُّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكَ
وَلَمْ أَنْفَعِكَ فِي خَطْبِ آتَاكَ

تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ هَا
 لَا بَدِينٍ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرِ
 يَا صَخْرُ وَاوَدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ
 وَإِنَّ صَخْرًا لِحَامِينَا وَسَيِّدَنَا
 وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ
 لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
 مِثْلُ الرَّدِّيِّ لَمْ تَقْدُ شَيْبَتَهُ
 طَلَقَ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مُعْتَمِدٌ
 ٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
 وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
 ٧٠ قَالَ الْمُتَمِّمُ يَرْتِي أَخَاهُ مَا لِكَا:

إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَانِفَ الْمَرْبَعَا
 سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
 أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَفْطَعَا
 وَكُنْتَ جَدِيدًا أَنْ تُجِيبَ وَتُجَمَعَا
 ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
 فَتَدَّ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا
 أَعْيَنِي جُودِي بِالْذَمِّعِ لِمَالِكِ
 فَتَى كَانَ مِمْدَامًا إِلَى الرَّوْعِ رَكْنُهُ
 أَبِي الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي
 وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَسْمِكَ لَا تُجِبُ
 سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَالَهَا قَبْرُ مَالِكِ
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلُوْمَهَا
 أَمَا تَعْلَمِينَ الْخُبْرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
 لَكَ أَلْوَيْلُ مَا هَذَا اتَّجَدَّ وَالصَّبْرُ
 أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ الْقَبْرِ
 إِذَا مَا هُوَ اسْتَعْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
 إِذَا هَتَفَ الدَّاعِيَ وَيَسْتَقِي بِهِ الْجُزْرُ
 فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
 وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَعْتَدِي
 عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفَسَ الْعُمُرُ
 ٦٧ وَقَالَ أَيضًا فِيهِ :

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَمْنَهُ تَقَلُّبًا
 فَإِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
 كَأَنَّ فِرَاشِي حَالٍ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
 فَتَدْبُرُ بَانَ مَنِي فِي تَذَكُّرِهِ الْعَذْرُ
 بَرِيدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا إِلَّا الْعَفْرُ
 فَانْ قَلَّ مَا لَا يُؤَدِّبُهُ الْفَقْرُ
 وَكُنْتُ أَنَا أَلَمْتُ الَّذِي غَيَّبَ الْقَبْرُ
 إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ قَلَّ بِهَا الْقَطْرُ
 وَلَمْ تَأْتِنَا يَوْمًا بِأَخْبَارِهِ السَّفْرُ
 بِي الْأَرْضُ فَرَطَ الْحُزْنَ وَانْقَطَعَ الظَّهْرُ
 أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَا مَتَهُ الْحَمْرُ
 وَبَنِي أَحْرَانًا تَصْمَنُهَا الصَّدْرُ
 فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَعْنَى يُجْرَقُ فِي الْغَنَى
 فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيًا
 فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
 كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبْنَا بَرِيدٌ بَغْبَطَةٌ
 وَلَمَّا نَعَى النَّاسِي بَرِيدًا تَعَوَّتْ
 عَسَاكَرُ تَغَشَى النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْ بِي
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي
 ٦٨ قَالَتْ الْخُنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا صَخْرًا :

قَدَى بَعِينِكَ أُمَّ بِالْعَيْنِ عَوَارُ
 كَانَ عَيْنِي لِدِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ
 أُمَّ أَفْقَرَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
 فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْحُدَيْنِ مِدْرَارُ

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا جَبْرَةً أَمْسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
 مَا تَوَا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِجَيْلَةٍ لِأَحَدَتْ صَرْفَ الْمَوْتِ عَنْ أَحْبَابِي
 مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحٌ كُلِّ مُصَابِ
 ٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرِثِي أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا تَوَهَّ الدَّاعِي بَلِيلٌ فَأَسْمَا بِنَجْرَقِ كَرِيمٍ كَانَتْ فِي النَّاسِ أَرْوَعًا
 مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّفْرَ صَرْعِي وَلَا بَدَأَ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
 كَأَنَّ لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ وَجَمِيعًا وَلَمْ تَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدِ مَعَا
 دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا آتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ تَسْطِغْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
 فَلَمْ يَبَلِّ ذِكْرُ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَلِيَّ فِيكَ أَسْرَعَا
 وَمَا دَنَسَ الثُّوبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبَلِيَّ فَتَقَطَّعَا
 وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى أَكْ مَضْجَمًا
 ٦٥ أَنشدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَاقِمَةَ يَرِثِي أَخَاهُ شَرِيكًا :

لَقَدْ وَارَى الْمَتَابِرُ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرِ تَكْرُمٍ وَقَلِيلِ عَابِ
 بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مَرَّةَ الْقَوْمِ الْغَضَابِ
 صَوْتٌ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرِي جَدِيدٌ حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ
 كَرِيمٌ أَطْلَقَ لَا طَمِعُ غَمِينٌ وَلَا فَحَاشَةُ نَزَقِ السَّبَابِ
 كَرِيمٌ مَوْلَانِ الْأَحْسَابِ عَفُ إِذَا الضَّالِّيُّ مَالَ بِهِ التَّصَابِي
 دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَاللَّيْلُ قَرُ إِلَى الْمُسْتَسِينِ ذَرَى الرِّكَابِ

٦٦ وَقَالَ الْأَبِيْرُ بْنُ الْيَرْبُوعِيِّ يَرِثِي أَخَاهُ يَرِيدًا وَتُرُوِي سَلَامَةَ الْجَفْنِيِّ :

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحَتْ عَلَى عُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَقَاهَا
 ٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يَرِثِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرِ الدِّينِ :

أَفْكَرُ فِيكَ مُقَصِّرُ الْأَمَالِ وَالْمَرِضُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجُمَالِ
 لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ فَاصْطَلْ وَصَلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
 لَوْ كُنْتَ تُفْدَى لَأَفْتَدَيْتَ سَرَاتِنَا بِفَنَائِسِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
 أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدَسُ بِالْقَنَا الْعَسَالِ
 أَعَزَّزَعَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تَرَى فَوْقَ الْفَرَاشِ مُقَبَّ الْأَوْصَالِ
 وَالسَّمْرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِقَةُ عَلَى الْأَطْلَالِ
 وَالسَّابِغَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَدَلْ وَالْبَيْضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
 وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْهَى حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْمُحْتَمَلِ
 مَا لِلخَطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَعْجَبَانِ جَابِرَ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
 لَمَّا تَسَرَّبِلَ بِالْفَضَائِلِ وَارْتَدَى بُرْدَ الْعُلَى وَأَعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
 وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَارَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانِ عَالِ
 أَبَا الْمُرَجِيِّ عَمِيرُ حُرْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَابِي سَالِ
 وَأَنْتَ هَدَايَتُ مَا الْوَفَاءُ بِهَا لَكَ وَأَنْتَ بَيْتُ نَمَا الْوَدَادُ بِكَ سَالِ
 لَا زِلْتُ مَعْدُوقَ التَّرَى مَطْرُوقَهُ بِسَخَابَةِ مَجْرُورَةِ الْأَذْيَالِ
 وَخَجِبَ عَنْكَ السَّيَاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ

٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مَعْبِدِ تَرِثِي خَالَدَ بْنَ نَضْلَةَ :

أُمِّمِ هَيْهَاتِ الصَّبَا ذَهَبَ الصَّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْجَلْمَ جَهْلُ غُرَابِي

رُبُوعُ فَضْلِ يَضَاهِي التَّبَرُّ تَرْبَتَهَا
 وَدَارُ أُنْسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَصَبَاهَا
 عَدَا عَلَى جِيرةٍ حَلُّوا بِسَاحَتِهَا
 صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 بُدُورُ تَمِّ غَمَامُ الْمَوْتِ جَلَلَهَا
 شُمُوسُ فَضْلِ سَحَابِ التُّرْبِ غَشَاهَا
 فَالْمَجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسْفًا
 وَالَّذِينَ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 يَا حَبْدًا أَرْمَنُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَمَتُ
 مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمْرًا وَأَحْلَاهَا
 أَوْقَاتُ أُنْسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرَتْ
 إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبُ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
 يَا سَادَةَ هَجْرًا وَأَسْتَوَطَنُوا هَجْرًا
 وَاهَا لِقَابُ الْمَعْنَى بِمَدِّكُمْ وَاهَا
 رَعِيًا لِلآيَاتِ وَصَلِّ بِالْحَمِي سَلَمَتُ
 سَمِيًا لِإِيَامِنَا بِالْحَيْفِ سَمِيَاهَا
 لِنَقْدِكُمْ شِقِّ جَيْبِ الْمَجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ
 أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
 وَخَرَّ مِنْ شَانِحَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعَهَا
 وَأَنْهَدَّ مِنْ بَازِيحَاتِ الْجِلْمِ أَرْسَاهَا
 يَا ثَاوِيًا بِالْمُصَلِّي مِنْ قَرَى هَجْرٍ
 كَسَيْتَ مِنْ حَلْلِ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 أَقَمْتَ يَا بَحْرُ بِالْبَحْرَيْنِ فَاجْتَمَعَتْ
 ثَلَاثَةٌ أَنْتَ أَسْدَاهَا وَأَغْرَرَهَا
 حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْعُلَمَاءِ مَا حَوِيََا
 جُودًا وَأَعَدَّيْهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 يَا أَخْمَصًا وَطَطَّتْ هَامُ السُّهَى شَرْفًا
 لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 وَيَا ضَرْبِيحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ النَّضْلِ آجِرُهَا
 وَمِنْ شَوَانِحِ أَطْوَادِ الْفِتْوَةِ أَرْ
 فَاسْتَحْبَ عَلَى الْفَلَكَ الْعُلُويِّ ذَيْلَ عَلَا
 وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 سَاهَا وَأَرْفَعَهَا قَدْرًا وَأَنْبَاهَا
 فَهَدَّ حَوَيْتَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَعْلَاهَا

٦٠ وَقَالَ أَيضًا يَرِيهِ :

يَا حُفْرَةَ ضَمْتِ مَحَاسِنَ مَالِكٍ
 لَهْفِي عَلَى الْبَطَالِ الْمُعْرِضِ خَدَهُ
 خَرَقَ الْكُتَيْبَةَ مُعَلِّمًا مُتَكَبِّرًا
 ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
 هَدَمَ الشَّرَاةَ غَدَاةَ مَضْرَعِ مَالِكِ
 قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
 حَرْمُوا مَعْدًا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا
 تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعَجَاجِ كَأَنَّهُ
 هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السَّعُودِ لِقَمَدِهِ
 لَا يُبْعَدَنَّ أَخُو خِرَاعَةَ إِذْ تَوَى
 عَزَّ الْغَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
 وَبَكَاهُ مُصْحَفُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ
 وَغَدَّتْ تُعْقِرُ خَيْلَهُ وَتَقَسَّمَتْ
 أَفْتَحْمُدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بِمَنْ
 مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
 وَجِبِينَهُ لِأَسِنَّةِ الْفُرْسَانِ
 وَالْمُرْهَفَاتُ عَلَيْهِ كَالنَّيْرَانِ
 فَأَلَّأَرْضُ مُوحِشَةً بِلَا عُمرَانَ
 شَرَفَ الْعُلَا وَمَكَارِمِ الْبُنْيَانِ
 تَقْوَى عَلَى اللَّزَبَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
 عَصَبِيَّةً فِي قَلْبِ كُلِّ يَمَانِ
 أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدِ وَبَنَانِ
 وَمَسَّكَتْ بِالنَّخَسِ وَالِدَبْرَانِ
 مُسْتَشْهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَانِ
 مَحْبُودٌ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
 وَالْأَسَامُونَ وَدَوَلَةُ السُّلْطَانِ
 أَدْرَاعُهُ وَسَوَابِغِ الْأَبْدَانِ
 كَانَ الْعَجِيرَ لَنَا مِنْ الْحُدَّانِ

٦١ قَالَ بِهِاءِ الدِّينِ الْعَامِلِي يَرِيهِ وَالِدُهُ :

قَفَّ بِالطُّلُولِ وَسَلَهَا آيْنَ سَلْمَاهَا
 وَرَدَّ الدُّرْفَ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا
 وَرَوَّ مِنْ جُرْعِ الْأَجْفَانِ رِيَاهَا
 وَرَوَّحَ الرُّوحَ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
 وَإِنْ يَفُتِكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مَخْبَرُهَا
 فَلَا يَفُوتُكَ مَرَاهَا وَرِيَاهَا

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنَ سَالِحٍ
 إِذَا بَشَّرَ الرُّوَادَ بِالْغَيْثِ بَرَقَهُ
 فَعَادَرَ بَاقِيَ الدَّهْرِ تَأْثِيرُ صَوْبِهِ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَرِثِي

الشُّرَاةَ لَيْتَا تَلَهُمْ فَأَصِيبَ بِسَهْمِهِ :

يَا عَيْنِ جُودِي بِالْذَّمُوعِ السَّجَامِ
 عَلَى فَتَى الدُّنْيَا وَصَنْدِيدِهَا
 لَا تَذْخِرِي الذَّمَّ عَلَى هَالِكِ
 طَابُ ثَرَى حُلُوانٍ إِذْ ضَمِنْتَ
 أَغْلَقْتَ الْحَيَاتُ أَبْوَابَهَا
 وَأَصْبَحْتَ خَيْلِكَ بَعْدَ الْوَجَى
 إِرْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكِ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ
 وَكَانَ فِي الصُّبْحِ كَشْمَسِ الصُّحَى
 وَسَائِلُ يَعْجَبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُطْلَمًا
 وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْدُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَصَدَّه

عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِي أَلْهَمَامُ
 وَقَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 أَيَّتُمْ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
 عِظَامُهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 وَأَمْتَعَتْ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَالْقَرَّ تَشْكُومُنَا صَوْلَ الْحِمَامِ
 كَيْمَا نَحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
 غَنَى عَنِ الْبَجْرِ وَصَوَّبَ الْعَمَامِ
 وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبَدْرِ الظَّلَامِ
 وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَعْبُ الْمَرَامِ
 يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْقَتَامِ
 يَفْلِتُ مِنْ وَقَعِ صَقِيلِ الْحَسَامِ
 عَلَى رَيْعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
 مَا هَيَّجَ الشُّجُو دُعَاءَ الْحِمَامِ

وَمَا أَلِيرُ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِّنَ التُّقَى
 أَلِيرَ وَرَأَيْتُ إِنْ تَرَأَخْتُ مَنِيَّتِي
 أَخْبِرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَعَجَبْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
 فَلَا تَبْعُدُنْ إِنْ أَلْمَنِيَّةُ مَوْعِدُ
 أَعَادِلُ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيَا
 أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى
 لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الصَّوَارِبُ بِالْهَمَى
 ٥٨ لَمَّا تَوَفَّى مُحَمَّدٌ بْنُ صَالِحٍ قَالَ

بَأَيِّ يَدٍ أَسْطُو عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَمَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَادِثٌ جَلَّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلُّدُ أَنَا
 فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً
 وَلَا لِي مِنْ الْأَخْوَانِ إِلَّا كَاشِرُ
 فَقَدْتُ نَفْسِي قَدْ كَانَ الْأَرْضُ زِينَةً
 لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذَتْ مِنِّي النَّوَابِ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكَتَنِي أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 رَمَا أُمَالٌ إِلَّا عَارِيَاتٌ وَدَائِعُ
 لُرُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
 ادِّبْ كَأَنِّي كُلَّمَا قَمْتُ رَاكِعُ
 تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَتِينِ وَالنَّصْلُ قَاطِعُ
 عَلَيْنَا فِدَانٌ لِلطَّلُوعِ وَطَالِعُ
 إِذَا رَحَلَ الْقَتِيَانُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
 وَآيُ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ الْقَوَارِعُ
 وَلَا زَاغَرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَرِثِيهِ :

أَبَانَ يَدَيَّ عَضْبُ الدُّبَابِينَ قَاضِبُ
 وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 فَقَدْ نَاكَ فَقَدْ أَلْغَيْتُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالثَّارِ طَالِبُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيْتٌ وَجَهَ السَّمَاءِ الْكُوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكَتُ حَقًّا عَلَيَّ النَّوَابِ
 لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نَابُهُ وَالْمَخَابِ

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكْمًا وَرَأْحًا
 وَقَبْلِي فِرَاقُهُ أَيْقَنْتُ أَنِّي
 أَخِي لِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
 فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءَ عَلَيْهِ دَمْعِي
 مَضَى لِسَيْدِيهِ لَمْ يُعْطَ ضَمِيمًا
 قَتَلْنَا سَنَهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا
 قَتِيلًا لَيْسَ وَشَلَّ أَخِي إِذَا مَا
 وَكُنْتُ سِنَانِ رَمْحِي مِنْ قَنَاتِي
 وَكُنْتُ بِنَانِ كَفْيِي مِنْ يَمِينِي
 وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
 فَمَدَّ أَبْدَوْا ضَعْفَانِهِمْ وَشَدُّوا
 فِدَاكَ أَخُ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَفِيقِ بَرَاثِي لَيْدِي :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ
 وَقَدْ كُنْتُ فِي الْكُنَافِ دَارِ مَضْتَةٍ
 فَلَا جَزَعُ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا
 وَيَمْضُونَ أَسَالًا وَخَلْفُ بَعْدَهُمْ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْوِهِ

وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
 فَمَارِقِي جَارٌ يَأْرَبِدُ نَافِعُ
 فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
 بِهَا يَوْمَ حَلُّوْهَا وَعَدُّوا بِلَاقِعُ
 كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَائِعُ
 يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

بِأَبِي وَأَبِي هَالِكًا أُفْرِدْتُهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ فَرِيدًا
سُودُ الْمُقَابِرِ أَصْبَحَتْ بِيضًا بِهِ وَغَدَتْ لَهُ بِيضُ الضَّمَامِ سُودًا
لَمْ زُرْهُ لَمَّا زُرِينَا وَحَدُّهُ وَإِنْ أُسْتَقَلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدًا
لَكِنْ زُرِينَا الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِ وَالْأَسُودَ بْنَ يَزِيدَ
وَأَبْنَ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَائِقِ مَعْمَرًا وَأَبْنَ الْمُسَيْبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدًا
وَالْأَخْفَشِينَ فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً وَالْأَعَشِينَ رَوَايَةً وَتَشِيدًا
كَانَ الْوَصِيَّ إِذَا أَرَدْتَ وَصِيَّةً وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبْتَ مُفِيدًا
وَلَى حَفِظًا فِي الْأَزِمَةِ حَافِظًا وَمَضَى وَدَوْدًا فِي الْوَرَى مَوْدُودًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزِيَّةِ وَالِدًا ظَفَرَتْ يَدَاهُ بِمِثْلِهِ مَوْلُودًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السُّوَابِقَ فِي الْعُلَى وَالْعِلْمَ ضَمَّنَ شِلْوَهُ مَلْخُودًا
يَأْمَنُ يُفِيدُ مِنَ الْبُكَاءِ مُوَلَّهُمَا مَا كَانَ يَسْتَمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَقْنِيدًا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَسَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدًا
إِنَّ الَّذِي بَادَ السُّرُورُ بِمَوْتِهِ مَا كَانَ حُزْنِي بَعْدَهُ لَيْبِيدًا
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوَيْتَ مَاثِرًا أَعَيْتَ عَدُوًّا فِي الْوَرَى وَحَسُودًا
وَرَأَيْتُ فَيْتَ مِنَ الصَّلَاحِ شَمَانِلًا وَمِنَ السَّمَّاحِ دَلَائِلًا وَشُهُودًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَغَرَدَتْ تَعْرِيدًا
لَوْلَا أَحْيَا أَيْ أَرْنُ بِيَدَعَةٍ مِمَّا يُعَدِّدُهُ الْوَرَى تَعْدِيدًا
لَجَعَلْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاغَةِ مَا تَمَّا وَجَعَلْتُ يَوْمَكَ فِي الْمَوْلِدِ عِيدًا

أمرز علي أجدت الذي حلت به
 أني حلت وكنت جد فرقة
 صلى عليك الله من مفودة
 فلقد تركت صغيرة مرحومة
 فقدت شمائل من لزائم حلوة
 وإذا سمعت أبنها في أيلها
 ٥٤ وقال أعرابي يرثي بنيه :

أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدا
 فيا آيت من فيها عليها وآيت من
 وقامني دهري بني مشاطرا
 فصاروا ديونا للمنايا ولم يكن
 كأنهم لم يعرف الموت غيرهم
 وقد كنت حي الخوف قبل وفاتهم
 فليله ما أعطى والله ما حوى
 رثي ذو الوزارتين ابن عبد

البر رجلا مات مجذوما
 مات من كناه أبا أبا
 كان مثل السيف إلا أنه
 ٥٥ قال ابن عبد ربه يرثي ولدا له :

فصد أسون له فمات فقيدا
 ومضى على صرف الخطوب حميدا

إِنْ كَانَ دَهْرٌ فِيكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثَ بِهِ وَهَنَتْ قُوَى الصَّبْرِ
فَأَكْمَ يَدِ أَسَدَيْتَهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرْدُ جَرَارِ الدَّهْرِ
ثُمَّ انْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا إِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الأدهم تقيرواني)
٥١ قَالَ أَبُو حَبَالٍ الْبَرَاءُ بْنُ رَبِيعٍ الْقُحَيْسِيُّ يَرِي إِخْوَانَهُ :

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةً أَمْ مِنْ أَمُوتٍ أَجْزَعُ
ثَمَانِيَةٌ كَانُوا ذَوَابَّةَ قَوْمِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أَوْلِيكَ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ رُزْنَتِهِمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعٌ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لَمْ يَفْجُرْ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَقَدَاهُ لَمْ يَمْتَعُ
٥٢ وَقَالَ الشَّجْعَانُ بْنُ عَمْرٍو السَّلْمِيُّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَا دَخُ
وَمَا كُنْتُ أُدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيْبَتَهُ الصَّفَاخُ
فَأَصْبَحَ فِي حَلْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيْتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّخَاخُ
سَابِئِكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَعَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَجُنُّ الْجَوَاخُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ وَلَا يَسْرُورٌ بَعْدَ مَرَاتِكَ فَارِحُ
كَانَ لَمْ يَمِتْ حَيِّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقْمُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَاخُ
لَئِنْ حَسُنْتَ فِيكَ الْمُرَاثِي وَذِكْرَهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمُدَاخُ
٥٣ وَقَالَ مَوْلِيكَ الْمَرْمُومُ يَرِي امْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أَسْأَلُكَ لَهَ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَتْ : أَسْتَوْدِعُكَ مِنْ أَسْتَوْدِعُنِيكَ
 فِي أَحْسَائِي جَنِينًا . وَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَفْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَبَ أَسْنِهِنَّ وَأَشَدَّ
 وَحْشَتِهِنَّ . وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ . فَلَمْ تَزَلْ
 تَقُولُ هَذَا وَتُحَوِّدُ حَتَّى أَبْكْتَ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وَحَمِدَتْ اللَّهَ وَعَلَّتْ
 رَكَعَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائثة

٥٠ . لَمَّا دُفِنَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكَوْفَةِ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
 فَقَالَتْ : لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ حُجْنٍ فِي جَنْبٍ . وَمُدْرَجٍ فِي كَفْنٍ . نَسَأَلُ الَّذِي
 فَجَعَلَنَا بِمَوْتِكَ . وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ . أَنْ يُجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلًا . وَدَلِيلَ
 الرُّشْدِ دَلِيلًا . وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ . وَيَنْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ .
 فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَحَافِلِ شَرِيفًا . وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا . وَلَمَّا كُنْتُ فِي
 الْحَيِّ مُسَوِّدًا . وَإِلَى الْخُلَيْفَةِ مُوَفِّدًا . وَلَقَدْ كَانُوا الْقَوْلَكَ مُسْتَمِعِينَ .
 وَرَأَيْتُكَ مُتَّبِعِينَ . وَأَنْتَ أَهْلُ الْحُسْنِ التَّنَاءِ وَطَيْبِ الْبَقَاءِ . أَمَا وَالَّذِي
 كُنْتُ مِنْ أَجْلِهِ فِي عِدَّةٍ . وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ . وَمِنْ الْمُتَدَارِ إِلَى
 غَايَةٍ . وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَائِيَّةٍ . الَّذِي رَفَعَ عَمَلَكَ لِمَا فَضِنِي أَجْلَكَ . لَقَدْ
 عَشْتُ حَمِيدًا مُوَدُّودًا . وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْهُودًا . ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ :

لِلَّهِ دَرَكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَعَيَّبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
 لِلَّهِ دَرَكٌ أَيَّ حَشْوِ ثَرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نَكْرِ

أَلْبَابُ الثَّلَاثِ فِي الْمَرَاثِي

رثاء اعرابية لابنها

٤٩ قَالَ الْأَصْحَمِيُّ: حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجَعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيْعًا . وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالِيْنَ مُدَّةُ الْتَدْبَعِيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْتَنِي الْحَيَاةَ وَالْتَّسْمُ فِي طَيْبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرَفَاتًا سَحِيْقًا وَصَعِيْدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبِلَى . وَرَمَيْتَنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرْتَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَاحِجٌ دَاجٍ ظَالِمٌ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ . وَهَمَيْتَنِي قِرَّةً عَيْنٍ فَلَمْ تَتَّعِنِي بِهِ كَثِيْرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيْكَ . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيْتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ رَحِمَ عَلَيَّ مِنْ أَسْتَوْدَعْتَهُ الرِّدْمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ وَالْأَسْرَ وَحَشِيَّتَهُ وَأَسْتَرْ سَوَاءَهُ يَوْمَ تَكْشِفُ السَّوَاءَاتِ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَرَوَدْتُ إِسْفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبَعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرَّبِيُّ الْخَيَّاطُ عَلَى إِسَانِ مَيْتِ :

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَفَاتِي جَدًّا صَمْنِي وَحَدًّا عَمِيقًا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسَاكُونَ طَرِيقًا
نَظَمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى الْأَثَمِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ نَارِيخًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ بِهِ مِنْ أَوْثَمَتِهِ ذُو بَهْ وَغَدَا إِسْوَاءَ فِعَالِهِ مَتَخَوَفَا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عَمْرُهُ بِطَالَةِ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالْتَكْدُرِ مَا صَفَا
مَاذَا صَوَى قَبْرَ الْأَثَمِيِّ أَرْخُوا مُسْتَمْنَةً لِعَفْوِ أَسْعَدِ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قَتَلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْجَمِيرِي دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ
وَوَضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ فَرَعِ ذِي يَمِينَ مَلَكَتْ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنِ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلِي فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمِينِ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً ذَوْقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحِقْدِ وَالْإِحْنِ
بِالْحَسَنِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ حَتَّى كَانَ مَعَارَ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَاللَّهْرُ ذُو دَوْلٍ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
حَتَّى إِذَا ظَفَرْتُ نَمِي بِمَا طَلَبْتُ مِنْ قَتْلِي لِحُبِّشِ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
وَأَلَّتْ أَكْثَرُ مِمَّا كُنْتُ أَمَلُهُ دَفْعُ وَلَا يُشْتَرَى بِقَوْمٍ بِأَثَمَنِ
جَاءَ الْقَضَاءُ عِيَالًا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ قَطْرُ الْبِالِادِ فَا لَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهْنِ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالًا مُصْرَمَةً لِلَّهِ دَرِيٍّ مِنْ تَاوٍ وَمُرْتَمَنِ
قَدْ صِرْتُ مُرْتَمِنًا فِي قَاعِ مُظْلَمَةٍ

إِنَّ الْحَمِيمَ مِنَ الْأَحْبَابِ يُخْتَلَسُ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابٌ وَلَا حَرَسٌ
 فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالْدُنْيَا وَلَدَتْهَا يَأْمَنُ يَعُدُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفْسُ
 لَا يَرْحَمُ الْمَوْتَ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يَقْتَسِرُ
 قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ قَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسُ

قَالَ ابْنُ الزُّرَّاقِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

إِخْوَانَنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُلْمٌ نَأْفِدُ فِي الْحَلَالِقِ
 سَبَقْتُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعَمْرُ طِيَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بَدَّ لِأَحِقِي
 بَعِيشِكُمْ أَوْ بِأَضْحَاجِي فِي التَّرَى أَلَمْ نَكُ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَيْشِ رَائِقِ
 فَمَنْ صَرَّ بِي فَيَمُضِرْ بِي مَتْرَحًا وَلَا يَكُ مَنَسِيًّا وَفَاءَ الْأَصَادِقِ

٤٦ أَمْرُ أَبُو الصَّلَاتِ الْإِسْبِيلِيِّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ عَلَى قَبْرِهِ :

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا يَا بَنِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
 وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَارْتُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يُجُورُ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ الْقَاءُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
 فَإِنَّ الْكُلَّ مُجْزِيًا بِذَنْبِي فَإِنِّي بِبَشَرٍ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ
 وَإِنْ يَكُ غَفُورٌ شَمَّ عَنِّي وَرَحِمَهُ فَتَمَّ نَعِيمٌ زَائِدٌ وَسُرُورُ

حُفِرَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصَانِيفِهِ :

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحَيِّهِ فَمَنْ حَقَّ مِيتَ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
 وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَانُ رُوعَةً خَائِفٍ لِتَقْرِيضِهِ فِي الْوَأَجِبَاتِ وَغَيْهِ
 وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَآثِقٍ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيهِ

وَتَرَفُّدُ يَا مَسْكِينُ نَوَقَ نَمَارِقُ وَفِي حَشْوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلَهَّبُ
فَحَّتِي مَتَى لَا تَسْتَمِيقُ جَهَالَهٗ وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ بِذَلِكَ تَلْعَبُ
ع قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنُمُ بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَحْشَى مِنَ الدِّيَانِ طَرْدًا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَدَاكَ جَهْرًا وَتَتَسَّى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
وَتَحْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانَ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَحْشَى مِنْ لِقَاہُ
وَتَتَكَبَّرُ فِعْلَهَا وَمَا شُؤدُ بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ أَسِيٍّ إِشْوَمٍ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزَنِ يَكْفِيهِ حِمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يَجِدِي بَكَاهُ
يَعُضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبر

٤٥ تَوَيْتُ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَيَّ قَبْرِهِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

يَا وَاقِفِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْحِمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمُ
لَوْ تَزَلُّونَ بِشَفِينَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّ الْمُرْطَ فِي التَّرْوِدِ نَادِمُ
لَا تَسْتَغْفِرُوا بِأَحْيَاةِ غَائِكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتُ الْمُرْفِقُ هَادِمُ
سَاوَى الرَّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْخُدْمِ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ
وَمِمَّا أُجِدَّ عَلَى قَبْرِ :

يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
 وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
 عَبْدٌ فَقِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مِنْكَسِرٌ
 مَهْمَا أَتَى لِيَمْدَادِ الْكَيْفِ أَخْجَلُهُ
 يَا وَاسِعًا صَاقَ خَطُوبُ الْخَالِقِ عَنْ نَعَمٍ
 وَنَاشِرًا بِيَدِ الْأَجْمَالِ رَحْمَتَهُ
 إِرْحَمِ عِبَادًا بِضَنْكِ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ
 لِكَيْفِهِمْ مِنْ ذَرَى عَلِيَّكَ فِي نَمَطٍ
 وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَبُوهُ مُجْتَمِعًا
 نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
 قَالَ آخِرُ:

أَقْصَرْتُ عَنْ طَابِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
 لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
 فَدَعِ الصَّبَا يَا قَابُ وَالْهَوَى
 وَأَنْظُرِي إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ مُودِعٍ
 وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْفَتَى
 قَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ:

تَعَافُ الْقَدَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
 وَتَوَثِّرُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الذَّهَى
 وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الدُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
 وَلَا تَذْكُرُ أَيْسَكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

٤٢ قَالَ حَرِيثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُدْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَبِيدٍ الْعُدْرِيُّ:

يَأْقَابُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَعْرُورٌ فَادْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكَيرُ
 تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
 فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَارْضِنِي بِهِ فَيَدِينَا الْمَسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
 وَبَيْنَنَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُعْتَبِرٌ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
 حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهْمُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
 يَكْبِي الْغَرِيبَ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
 قَالَ آخِرُ:

وَيْلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُهْجَتِي وَبِهَائِي
 يُبْلِي الْعَذَابُ مَحَاسِنِي وَيَشِينُهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحَجِيمِ بُكَائِي
 وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سُوءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
 بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَتَرَى وُجُوهَ الطَّائِعِينَ كَانَهَا
 كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَدْهَشُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءِ

٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ خَاتِمَةَ مُسْتَعْتَبًا بِهِ تَعَالَى:

يَأْمَنُ يَغِيثُ أُوْرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِرْحَمَ عِبَادًا أَلْفَ الْفَرَقِ قَدَبَسَطُوا
 عَوَدَتِهِمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِالسَّبَبِ سِوَى جَمِيلِ رَجَاءِ نَحْوِهِ أُنَبَسَطُوا
 وَعَدَّتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
 عَوَارِفَ رَسَبَتْ شَمُّ الْأَنْوْفِ بِهَا وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبَطُ

وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَايِرٌ
 فَكَيْفَ تُرْجِي الْعَمَّوْمِينَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ
 وَهَذَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَقَوْلِهِ نَفْسُهُ
 وَمَا زِلْتَ تَسْمِي فِي الَّذِي قَدْ نَفَيْتَهُ
 تُسِي بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا
 لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي مَوَاهِمَا
 وَأَخْجَلْتِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي
 إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي
 لَوْ خَوَّفْتِكَ الْحَجِيمُ بَطْشِي
 أَنْتَ شَجَاعٌ عَلَى الْمَعَاصِي
 عِنْدِي لَكَ الصُّلْحُ وَهُوَ بَرِي
 فَاسْتَحْيِي مِنْ شَيْبَةٍ تَرَاهَا
 أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ
 يَا سَيِّدِي هَذِهِ عَيْبِي
 يَأْمَنُ لَهُ فِي الْعَصَاةِ شَأْنٌ
 يَأْمَنُ مَا لَمْ يَأْمَنُ بِهِ النَّوَاحِي
 عَنَّا فَإِنِّي رَهِينُ ذَنْبِ
 لَمْ تَدْرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
 إِنْ أَتْبَعَ الْهُوَى هَوَانُ
 إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
 تَسِيرُ مَرْحَى لَكَ الْعِنَانُ
 لَشَوَقَتِ قَلْبِكَ الْجِنَانُ
 وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
 وَعِنْدَكَ السِّيفُ وَالسِّنَانُ
 فِي النَّارِ مَسْجُوتَةٌ تَهَارُ
 هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
 وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
 وَشَأْنُهُ الْعَطْفُ وَالْحِنَانُ
 لَمْ يَخْلُ مِنْ بَرِّهِ مَكَانُ
 حَاشَاكَ أَنْ يَفْلِقَ الرَّهَانُ

أَفْرَطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَاقْتَصِدْ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفْتِنُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُكَمَّلٍ وَمِنَ الْهَمَالِ وَجُودٌ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَمِّهِ فَعَلَامَ نَزَجُوا أَنَّهُ لَا يُزْمِنُ

قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

٤ .

إِلَى كَمِّ تَادَى بِي غُرُورٍ وَعَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَنْقِطَةٍ
لَقَدْ ضَاعَ عُمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تَشْتَرِي بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضَيْعَةً
أَرْضِي مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَعَيْشَةٍ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَيْمَةِ
فِيَادِرَةً بَيْنَ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتَ وَجَوْهَرَةً بَيْعَتْ بِالْجَسِّ قِيمَةً
أَفَانَ بِبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةً وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَبَّةٍ
أَأْتِ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَاءُ بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِيسَةً وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَلِمَتِهَا دُنْيَا كَثِيرٌ غُرُورُهَا تُقَابِلَانَا فِي نُصْحِهَا بِالْحَدِيعَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَعَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً بِمِثْلِهَا يَصِيرُ النَّفْسُ مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُحَاطَبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضُرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ نَاجَاكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تَتَاجِيهِ مُعْرَضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مِنْ تَخْنِي غَيْرَ مُخْتِ
تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمُسِيئَةِ

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبٍ
 أزالَ اللهُ يَا صَاحِبِي شَبَابِي فَعَوَّضْتَ الْبَغِيضَ مِنَ الْحَبِيبِ
 وَبَدَّلْتَ التَّكَاثُلَ مِنْ أَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
 كَذَلِكَ الشَّمْسُ يعلُوهَا أَصْفِرَارٌ إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
 قَالَ الْإِلَهِي بيري :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السُّكْرَاتِ تُعَالِجُ أَنْ تَرُقَّ إِلَى اللَّهَوَاتِ
 وَقَدْ زَمَّ رَحْلِي وَأَسْتَقَمَّتْ رِكَائِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
 إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجْرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
 وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهِ فِي التُّرْبِ مُنْعِفَرَاتِ
 وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحُسْرَاتِ

في الدهر ونوائبه

٣٩ أَنشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُعْتَصِدُ لَمَّا حَضَرَتهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يُبْقِ لِي خِيَلًا وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
 قَتَلْتُ صَنَائِدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدْعُ عَدُوًّا وَلَمْ أُمِهلْ عَلَى طَغِيهِ خَلْقًا
 وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَّدْتَهُمْ غَرْبًا وَمَزَقْتَهُمْ شَرْفًا
 فَلَمَّا بَلَغَتْ النُّجْمَ عِزًّا وَرَفَعَةً وَصَارَتْ رِقَابَ الْخَلْقِ أَجْمَعِ لِي رِقًّا
 رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَحْمَدَ جَمْرَتِي فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أَلْقَى
 قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِي :

يَا مَنْ يُؤَمِّلُ أَنْ يَعِيشَ مُسَلِّمًا جَدَلَانَ لَا يُدْهِمِي بِخُطْبِ يُحْزِنُ

مَا بَقِيَ حُتُوفِ الرَّدَى وَعَمَلِ عَلَى مَهَلٍ
 وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَفُتِّحْ
 لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا
 لَا يَحْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
 مَا أَقْرَبَ مَوْتٍ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
 مَا أَحْسَنَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
 ٣٨ وَهَلْ أَيْضًا :

قَدْ تَمَعْنَا أَلْوَعَطَ لَوْ يَنْفَعُنَا
 كُلُّ نَفْسٍ سَتَوَانِي سَعِيهَا
 جَفَّتِ الْأَفْلامُ مِنْ قَبْلِ بِمَا
 يَهْرَبُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
 كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَامِي عَاجِلًا
 أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
 وَسَقَامٍ ثُمَّ مَوْتٍ نَازِلٍ
 وَحِسَابٍ وَكِتَابٍ حَافِظٍ
 وَصِرَاطٍ مَنْ يَزُلْ عَنْ حُدُودِهِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَتَلَحُّظِي مُلَاحَظَةَ الرَّقِيبِ
 وَتَنْشُرُ لِي كِتَابًا فِيهِ طِي

وَتَلَحُّظِي مُلَاحَظَةَ الرَّقِيبِ
 بِحِطِّ الدَّهْرِ أَسْطُرُهُ مَشِيدِي

حَسْبُ الْحَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَّهُمْ أَلَا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا
 ٢٦ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشُّطْرَانِيِّ يَعُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَالِكِ الْخُطُوبِ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِذَائِعِ الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سِ تَنْفَى وَتَبَقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ فَمَا شَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا فِي الْعَتَهِيَّةِ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فُكُلَكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَأْمُوتُ لَمْ أَرِ مِنْكَ بَدًّا آتَيْتَ وَمَا تَحْيِفُ وَمَا تُحَابِي
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعِمْيَانِ :

أَيْنَ الْمُلُوكِ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهْنَ قَبْرِ بِالَّذِي عَمَلُوا عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا رَدَّتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أُذْخَرُوا
 أَتَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِمِ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَهِيَّةِ وَهُوَ الْيَدِيُّ الطُّوَلِيُّ فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

إِعْمَدِ نَفْسِكَ وَادْكُرْ سَاعَةَ الْأَجْلِ وَلَا تُغْرَنَّ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

جَنَّةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكِ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكٍ

قَالَ أَبُو الْعَتَهِيَّةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَانَ الْأَرْضَ قَدْ طَوَيْتَ عَلِيًّا وَقَدْ أَخْرَجْتَ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي عَمِرْتُ مُفْرَدًا وَجَمِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلِيًّا
كَانَ الْبَابِكَاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرْنَا مِنْ نَبِيِّتِي فَتَعَيَّنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيًّا

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ عَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُمْبَالِكِ خَاتَمِكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ ذُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَا تَحْرًا طَيْرٌ فَطَلَّتْ لَهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكَ طُوبَاكَ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرًّا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفِرَاتِ بَلِّغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكَ
مِنْ مَوْتِي بِالْمَنِيَا لَا فُكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى الْفِيْلَةِ بَاكِي
أُظْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمُرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِي

٣٥ وَمَا أَجُودَ قَوْلَ ابْنِ أَبِي زَمَيْنٍ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَبْشُرُ الْكُفْرَانَ وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْحَسَنَاتِ
أَيُّنَ الْأَحِبَّةِ وَالْأَخِيرَانِ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَاتِ
سَقَاهُمْ الْمَوْتُ كَلْمًا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رَهْنَاتِ
تَبْكِي الْمَنْزِلَ مِنْهُمْ كُلَّ مُتَسَجِمٍ بِالْمَكْرَمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمِنَاتِ

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَأَا مَوْتُ يَغْدُو وَيُرْوِحُ
 لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
 رَحْنٍ فِي الْوَشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمَسُوحُ
 كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ اللَّهِ رَ لَهُ يَوْمُ نَطُوحُ
 مَحٌ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسُوكِينَ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمَّرْتَ مَا عَمَّرَ نُوحُ
 قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 ضَاعَ عُمْرِي فِي اغْتِرَابٍ وَرَجِيلٍ مُسْتَمِرٍ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَدْرِي
 لَيْسَ بِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِئْتَهَا مِنْ مُسْتَقَرٍ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلَصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ آتَى بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
 أَتَرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا رِطٌ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي
 قَالَ آخِرُ :

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَفَانِيَ وَلَوْ حَالِكَ حَالِكَ
 لَمْ تَدْرِ نَفْسُكَ قَدًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

تُرُوحٌ وَتَعْدُو بِنَاتُ الثَّرَى وَتَهْجَى مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ

٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبُرْبَرِيِّ وَأَجَادَ:

تَلَهُوٌ وَتَأْمَلُ أَيَّامًا تُعَدُّ لَنَا
 كَمِّ مِنْ عَزِيزٍ سَيْلَتِي بَعْدَ عَزَّتِهِ
 وَاللُّخُوفِ تَرَبِّي كُلِّ مُرْصَعَةٍ
 لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُعْنَى وَهِيَ سَائِلَةٌ
 أَمْوَالَنَا لَذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَهُمَا
 وَدُورُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا

٣١ وَإِلَّا بِي الْعَتَاهِيَّةِ:

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَتَابُ الْجُمُوحُ
 لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِ دُنُوٍّ وَرُوحُ
 هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
 كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
 أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 فَإِذَا الْمُسْتَوْرُ مِنْهَا بَيْنَ تَوْبِيهِ فُضُوحُ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
 صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَاحُخُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
 مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ ضِ عَلَى قَوْمٍ فُتُوحُ
 سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هُذِيِّ الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالْتِقَى
وَيَعْقُبُهَا الْأَحْزَانُ وَالْهَمُّ وَالنَّدَمُ
وَرَحْمَةُ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ

٢٨ قَالَ الْبُسْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِفَوْدِهِ
عَذَلْتُكَ أَنْ أَضَلَّمْتَ رُشْدَكَ خَاطِئًا
وَأَلْفَيْتَهُ عَنْ غَيْبِهِ لَيْسَ يُقْصِرُ
وَلَيْلُ الشَّبَابِ الْوَحْفِ دَاجٍ فَمُعْذِرُ
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِّ الْكُهُولَةِ عَازِرُ
إِذَا زَعْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلِكَ مُقْمِرُ

قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيوَانَ كِسْرَى :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ الْبُنْيَانِ
هُذِيِّ الْمَصَانِعِ وَالْدَسَاكِرِ وَالْبِنَا
أَنْسَيْتَ صَنْعَ الدَّهْرِ بِالْإِيوَانِ
كَتَبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا
وَقُصُورُ كِسْرَانَا أَنْوَشِرَوَانِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَاللُّطُوبَ إِذَا سَطَّتْ
بِيَدِ الْيَلِي وَأَنَا مِلِ الْحِدَثَانِ
أَوَدَّتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الْأَزْكَانِ

ذِكْرُ النِّمَةِ وَالْعِرَاقِ

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَتَادَيْتُهَا
وَأَيْنَ الْمَذَلِّ إِسْطِطَانِهِ
فَأَيْنَ الْمُعْظَمِ وَالْمُحْتَمِرِ
فَوُدَيْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى
وَأَيْنَ الْمَذَلِّ إِسْطِطَانِهِ
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرُ
شُخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَثَرِ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضُوءَا
وَمَاتُوا جَمِيعًا وَبَاتَ الْخَبْرُ
أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرُ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
 نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي نَصَرُفُنَّ حَالًا بَعْدَ حَالِ
 فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي وَمَا لِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَا لِي
 أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي أَعْتَبَارُ وَمَا لِقُوهُ لَمْ يَخْطُرْ بِمَا لِي
 كَأَنِّي بِالْمُنِيَّةِ أَرْجَعْتَنِي وَنَعَشِي بَيْنَ أَرْبَعَةِ عِجَالِ
 وَخَافِي نِسْوَةٍ يَبْكِينَ بَعْدِي كَانَ قُلُوبِهِنَّ عَلَى الْمُقَالِي
 وَحَقِّكَ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعًا وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ مَعَ اللَّيَالِي

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ
 وَضُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ حَلَقَةٌ فِيهَا أَرْتِفَاعٌ وَأُنْحَادُ
 بَيْنَمَا الْأَلْسَانُ فِي عَلَيَّهَا إِذْ هَوَى فِي هُوَةٍ مِنْهَا فَعَارُ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الحَقِّ رَاقِي
 شُخُوصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا بَغِيرِ وِفَاقِ
 تَجِيءُ وَمُضِي بَابَةٌ بَعْدَ بَابَةٍ وَتَفْنَى جَمِيعًا وَالْحَرِكُ بَاقِ

وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُكَا لَا بَقَاءَ لَهُ حَمَّتْ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 هَلِ الحَيَاةُ بِيَدِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذَبَتْ إِلَّا كَطَيْفِ خَيَالٍ فِي الكَرَى زَارًا

أَرَى الْمَرْءَ وَتَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرَهُ
وَأَيُّ أُمْرِيءٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوكٌ
يَارَاعِي الشَّاءَ لَا تُغْفَلُ رِعَايَتُهَا
إِنِّي لَهِيَ مَنَزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مِذْ أُعِدَّ لَنَا
وَمَنْ يَمِتْ يَهُوَ مَمْتُوعٌ وَمُحْتَبٌ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْآكِلُ فَانِيَةٌ

٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكَاسِرَةِ لِأَلِ الْمُحَرِّقِ:

مَاذَا نُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ
أَهْلُ الْخُورَنَقِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ
زَلُّوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ

٢٦ وَمِنْ رَقِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ فَتَشَتْ مَعْقُولٌ
فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتَرْعَيْتَ مَسْئُولٌ
عَلَى يَهْيِينِي بِأَيِّ عَنْهُ مَقُولٌ
إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْأُولٌ
وَكَأَنَّا عَنْهُ بِالذَّاتِ مَشْغُولٌ
وَأَلْحَى مَا عَاشَ مَعْشِيٌّ وَمَوْصُولٌ
وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا كُولٌ

وَأَسْتَعِدُّوا لِمَوْتٍ قَدَّ أَظْلَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَبِيحِينَ قَاتِبِينَ . وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا
 وَمَا يَتْرُكُكُمْ سُدًى . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنَّ غَايَةَ تَقْصِبِ الْحَقَّةِ وَتَهْدِيمِ السَّاعَةِ جَدِيدَةٌ بِقِصْرِ
 الْمُدَّةِ . وَإِنْ غَائِبًا يَجِدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَرِيٌّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَثْمِدُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّنُوقِ لِمُسْتَحَقِّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَرَوُّوهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرِزُونَ بِهِ نَفْسَكُمْ غَدًا . فَأَتَقَى عَبْدٌ
 مِنْ نَفْسِهِ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَابَ شَهْوَتَهُ . فَإِنَّ أَجَلَهِ مُسْتَوْرَعٌ عَنْهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعٌ لَهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْعَصِيَّةَ إِيْرَكِبَهَا . وَيُنِيهِ التَّوْبَةَ
 لِيَسُوِّفَهَا . حَتَّى تَهْجُمَ مِنْبَتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلُ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَأْخُذُ حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . وَأَنْ يُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَنْوَةٍ . نَسَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تَبْطُرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً . وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا
 كَاثَةً

(لهبء الدين)

قَالَ أَبُو أَعْتَاهِيَةَ :

عَلَيْكُمْ سَلَامٌ اللَّهُ إِنِّي مُودِعٌ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضِّ التَّفْرِقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مِتْنَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمُنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَابَانِي الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

فَسْتَحِيبُ . وَتَرَجُّهَا فَتَحِيبُ . نَاقِضَةٌ لِلغَزِيمَةِ مُرْتَجِعَةٌ لِلعَطِيَّةِ . كُلُّ مَنْ
فِيهَا يَجْرِي . إِلَى مَا لَا يَدْرِي . وَقَالَ أَبُو العَرَبِ الصَّقَلِيُّ :

وَلَا يَفْرُكُ مِنْهَا حَسَنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رِدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لَدُنِّيَاكَ نُورٌ وَلكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُّ بِهِ المُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ فَنُطْرَةٌ تَعْبُرُ
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الخُرَابَ لِمَا تَعْمُرُ
وَلَا تَذَخِرَنَّ خِلَافَ التُّقَى فَتَقْفَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذَخِرُ

وَمِنْ جَيِّدِ شِعْرِ أَبِي العَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

٢٢

وَاعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرٌ
الْخَيْرُ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشْرُ فَذَلِكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فخرَ إِلَّا فخرَ أَهْلِ التُّقَى غَدًا إِذَا ضَمَّهُمُ الحَشْرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التُّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرًا مِمَّا يَذَخِرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ التَّحْفِ) . وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ عِبَادِ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَأَتَّبِعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ . وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

فَرَأَيْتَهُمَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتِ
 الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحَيْتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
 قَامَتْ تَحَبَّتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْخَلَوَاتِ .
 وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتِ النَّيْنَانُ فِي الْبَحَارِ الزَّائِرَاتِ . وَجَلْجَلِ قُدْسِكَ
 تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ
 وَضَوْءُ النَّهَارِ . وَالْفَلَكَ الدُّوَارُ وَالْبَجْرُ الزَّخَارُ . وَالْقَمَرُ النَّوَارُ وَالنَّجْمُ
 الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ الْعَلِيُّ الْقَهَّارُ . ثُمَّ أَنْشَدَتْ :
 يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خَاوَاتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ الْأَنْزَالُ
 مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْفَوَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالُ
 فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَزِيدِيَنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي . ثُمَّ
 رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبِّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلُ لِذَاكَ
 فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغْلَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
 وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشْفُكَ لِلْحُبِّ حَتَّى أَرَاكَ
 فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
 ثُمَّ شَبَّهَتْ شَبَّهَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (سواق الاشواق للبقاعي)

ذلة الدنيا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
 وَأَجَلٌ مُطِلٌ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ قَتَّانٌ . وَأَمَانِيُّ جَرَارَةٌ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهُدَايَانِ الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ
 لَا الدَّهْرُ يَبْتِي وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَاحُ أَلَّا أَعْلَى وَلَا النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 لِيَرْحَنَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَيَانَ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
 ١٩ قَالَ ابْنُ جَبْرِ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمَعُهُ فِي الْعَيْشِ وَالْأَجَلَ الْمُخْتَوِمُ يَقْطَعُهُ
 عَيْسِي وَيَصْبِحُ فِي عَشَوَاءٍ يَجْطِطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةَ وَالْأَمَالَ تُخَدَعُهُ
 يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
 وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يُفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ
 تَرَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يَضِيعُهُ
 وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَدْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَوَادُ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابُ وَجَفَنُ لَقِيضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابُ
 تَنَاءَتْ دِيَارٌ قَدْ أَلْفَتْ وَجِيرَةً فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابُ
 وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي الْأَجْرُ وَهَضَابُ
 مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يَرُدَّ شَبَابُ
 إِذَا مَرَّ عُمُرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابُ

ذو النون والزاهدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَمَا أَنَا سِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذَا بَصُرْتُ بُجَارِيَةَ
 عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمِعَ مَا تَقُولُ .

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
 مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّابِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
 وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقَ فَأَنْسَتْ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
 هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا .
 ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
 أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٌ طَائِلَةٌ وَدَلٌّ كَثِيرٌ وَبَذَخٌ
 زَائِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَغِدَّةً بِرُودٍ
 نَثِيرٍ . فَعَمَلٌ . فَإِنِّي لَنَاقِمٌ إِذَا بَقِعَ وَرَدَّةٌ قَدْ لَسِيَهُ الْخَادِمُ فَمَتَّ إِلَيْهِ
 فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مُصْجِعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنْ الْغِدَّةِ
 فَأَتَانِي آتٌ فِي مَنْعِي فِي صُورَةٍ فَطِيعَةٌ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ غَشِيَتِكَ
 وَأَنْتَبَهُ مِنْ رَقَدَاتِكَ ثُمَّ انْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْنًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صَمَّ الْجُنْدَلِ
 فَأَمَّهَدَ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسَعَّدَ بِهِ فَلْتَسَدَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ
 فَأَنْتَبَهَتْ رُعُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستقطف المستظرف الابشيهي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنَرِيُّ فِي الزُّهْدِ :

يَا مَنْ يَصِيحُ إِلَى دَاعِي السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكَبِيرُ
 إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فَيَقِيمُ تَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

مُنَعٌ لَمْ يَنْفَعْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ .
 وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وَيُبْغِضُ الْمَذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ كَثْرَةَ
 ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنٌ
 لَاهِيًا . يُحِبُّ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتَلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُعْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا
 يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ أَسْتَعْنَى بِطَرِّ وَقَفَرٍ . وَإِنْ أَفْتَقَرَ قَنَطٌ وَوَهْنٌ .
 يَقْصُرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسَافَ الْمُعْصِيَةَ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْعَبْرَ وَلَا يَعْتَبِرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا تَعَّظُ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِعُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَغْرَمًا . وَالْغُرَمَ مَعْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ . يَسْتَعْظِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَحْتَقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَنَفْسُهُ مُدَاهِنٌ . اللَّهُ مَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُعْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يَطَاعُ وَيَعْصِي .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوْفِي . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ النَّهْجِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
 بِالْغَةِ وَبَصِيرَةً لِبَصْرِ وَعِبْرَةً لِنَظَرٍ مُفَكِّرٍ

(لبهائ الدين)

وَالْآنَ حَانَ الرَّحِيلُ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
 وَمَا تَرَوَدُّ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
 يُصْرِحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
 أَبَارِزُ اللَّهِ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
 فَكَمْ خَلَعْتُ الْعَذَارَ جَهْلًا وُلْتُ فِي الْغِيِّ مَنْ يَلُومُ
 وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رِشَادِي وَمَنْعَجُ الْحَقِّ مُسْتَقِيمٌ
 لَا أَتَّهِي عَنْ قَبِيحِ فِعْلِي وَلَا أَصِي وَلَا أَصِي
 عَصَيْتُ طِفْلًا وَعَصَرْتُ أَعْصَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرَقِي يَحُومُ
 شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمَلٌ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومٌ
 يَا جَامِعَ أُمَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْضِي مَا لَكَ الْكَرِيمُ
 وَتَقْضِي وَزَرَّهُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ يَغِي بِهَا الْحَمِيمُ
 وَكَيْفَ يَهْنِكُ صَفْوُ عَيْشٍ خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
 يَا وَاسِعَ الْأَلْفِ جَدُّ بَفْضَلٍ وَرَحْمَةٌ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
 إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا الْمُسْتَقِرُّ الرَّحِيمُ
 وَإِنْ شَكَ مِنْ خُصُومٍ سَوْءٍ فَحُلْ مَا تَعْقُدُ الْخُصُومُ
 وَسَامِحِ الْجُكَلِ فِي ذُنُوبِ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمٌ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُمَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
 الْآخِرَةَ بِالْعَمَلِ . وَيُرْجَى التَّوْبَةُ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ
 الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ الرَّاعِيِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَّهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنزُورًا
 أَكْبَهُ . سَهْلًا أَمْرَهُ . حَرِيذًا دِينَهُ . مَيْتَةً شَهْوَتَهُ . مَكْظُومًا عَيْظَهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يَكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَمَّن ظَلَمَهُ . وَيُطِي مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ
 قَطَعَهُ . بَعِيدًا فُحْشَهُ . لِينًا قَوْلَهُ . غَائِبًا مُنْكَرَهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفَهُ . مُقْبِلًا
 خَيْرَهُ . مَدْبَرًا شُرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورُهُ . وَفِي الْمَكَارِدِ صَبُورُهُ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورُهُ . لَا يَحْفِيفُ عَلَى مَنْ يَبْغِضُ . وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسِي مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَبْغِضْهُ صَمْتُهُ . وَإِنْ
 ضَحِكَ لَمْ يَبْغِضْهُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بَغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِاخْتِرَتِهِ
 وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّن تَبَاعَدَ عَنْهُ زَهْدٌ وَرَاهَةٌ . وَدُنُوهُ
 مِنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٌ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَعَصَّتْ عَيْشِي الْهَمُومُ
 وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقَ وَلَا حَمِيمَ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمَ

التَّوَّابِ ضِعْفُ غَضَبِهِمْ وَأَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . زَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا لَتِي زَلَّتْ فِي الرِّخَاءِ
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةٌ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْحَاقِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَفَّرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَاجْتَهَّ كَمَنْ قَدَّرَ رَأَاهَا فِيهَا
 وَسَمِعُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَّرَ رَأَاهَا فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوا وَأَسْرَتَهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضُونَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمْ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لَا أَنْفُسَهُمْ مُتَمِّمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُسْتَفْتُونَ . إِذَا زَكَّي أَحَدَهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تَوَاخِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يظُنُّونَ وَأَعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةَ فِي الدِّينِ . وَحَزْمًا فِي لَيْنٍ . وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهَمَّهُ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهَمَّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْعَفْلَةِ . وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تَحَبُّ . قُرَّةَ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَرَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبُورُ . يَمْزِجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ بِيَدِ الْإِلَهِ يُقَبِّبُ الْأَحْوَالَ
 قَدَحَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بَطَالِيهِمْ لَهْجًا تُضَعِّعُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
 قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

تَقَى اللَّهَ وَالزَّمَ هُدَى دِينِهِ وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَالزَّمِ الْفَلَسَفَةَ
 وَلَا تَغْتَرَّرْ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنْ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّفَسَفَةَ
 وَدَعَّ عَنْكَ قَوْمًا يَعْيُبُونَهَا فَفَلَسَفَةُ الْمَرْءِ قُلُّ السَّفَةِ
 لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا عِدًّا نَأْتِي دِيَارَ الْحِمَى وَيَنْزِلُ الرِّكْبُ بَعْنَاهُمْ
 وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِلِقَائِهِمْ
 فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي بِأَيِّ وَجْهِ اتَّقَاهُمْ
 قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لِأَسِيًّا عَمَّنْ تَرَجَاهُمْ

أَلْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانتقطاع إلى الله

١٥ (مِنْ النَّهْجِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غِيًّا عَنِ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
 مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
 أَطَاعِهِ . فَفَسَّمْ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ
 فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ وَمَشِيهِمْ

يَا حِيَّ يَا قِيُومُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
أَثْنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنَ عِلْمِي مِنْ ثَنَائِكَ
مُتَّحِبٌ فِي غَيْبِكَ أَوْ أَحْيَى مَنِيْعٌ فِي عِلَائِكَ
وَضَهْرَتَ بِالْآثَارِ وَأَوْ أَعْمَالِ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
عَجَبًا خَفَاؤِكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورِكَ مِنْ خَفَائِكَ
مَا أَلْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشِعَّةُ مِنْ ضِيَائِكَ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَسْتَجِبٌ مِنْ عَطَائِكَ
مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
إِلَّا وَوَجْهَتَهَا إِلَيْكَ بِالْإِقْتِنَارِ إِلَى غَنَائِكَ
فَأَنْظِرْ إِلَى مَنْ يَسْتَعِيْثُكَ عَانِدًا بِكَ مِنْ بَلَائِكَ
قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقِ أَيْدِي أُمْتِحَانِكَ وَأَبْتِلَائِكَ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَوْ أَمْكَانِ صَدَأٍ عَنْ فَنَائِكَ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْعِنَا صِرٍ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
فَإِذَا أُرْعَوَى أَوْ كَادَ نَا دَتَهُ الْقِيُودُ إِلَى وَرَائِكَ
فَالْطُّفُ بِهٍ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
وَأَسْلُكَ بِهِ سَنَنَ الْهُدَا يَهٍ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْخَوَائِجِ حَاجَةً
فَادْعُ الْإِلَاهَةَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ
فَهُوَ الْأَطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعَالًا

تَابِعًا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنْهُ لَوْ تَبِعَكَ
 وَدَعِ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
 وَأَحْتَفِظْ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رُمْتَ فِعْلًا أَوْ تُسَادِي سَمِعَكَ
 كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَأَخْضِعْ لَهُ لَا تُعَانِدْ فِيهِ وَأَهْجُرْ بِدَعَاكَ
 ١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْمَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قَصْدِي رِضَاكَ بِكُلِّ وَجْهِ أَمْكَنَا
 وَلَنْ رَضَيْتَ فَذَاكَ غَايَةَ مَطْلَبِي
 لَوْ أَبْذَلَنْ رُوحِي فِدَى لَرَأَيْتَهَا
 وَبَقِيْتُ فِي خَجَلٍ كَعَبْدٍ قَدْ جَنَى
 وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِيْجَادِي كَمَا
 لَوْلَا تَطَوَّلْتُمْ عَلَيَّ وَفَضَّلْتُمْ
 مَنْ ذَا الَّذِي يَسْعَى وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ
 وَأَنَا الْمُسِيكِينُ الَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ
 فَبِإِسْمِكُمْ وَبِعِزَّتِكُمْ وَبِجَاهِكُمْ
 قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفْتُ
 لَا أَسْتَلِدُّ بغيرِ وَجْهِكَ مَنْظَرًا
 وَدَعْتُ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
 وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هَوَتْ الْمَشَاعِرُ وَالْمَدَا رِكُ عَنْ مَعَارِجِ كِبْرِيَاكَ

لَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضَّرُّ مُشْتَمِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

١١

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَّ اللَّهُ مَعَكَ وَأَتْرَكَ الْكُلَّ وَحَاذِرَ طَمَعِكَ
وَأَلْزَمَ الْقَنَعَ بِمَنْ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْبُكُونِ حَتَّى يَسَعَكَ
بِالصَّفَاعِنِ كَدْرِ الْحَسِّ فَبِغْ وَأَطْرَحِ الْأَغْيَارَ وَأَتْرَكَ خُدَعَكَ
لَا تُؤَوِّهُ بِكَ وَأَطَابَ مِنْكَ مَا فَرَّ مِنْ يَوْمِ بَشَانِ ضَيْعِكَ
نُورِكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا وَأَحْذِرِ الْأَضْدَادَ تَطْفِيئِ شَمْعِكَ
وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفِ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْبِ أُلْفَحِ وَحَرَّرْ وَرَعَكَ
كَيْفَمَا شَاءَ وَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
فِي الْوَرَى إِنْ شَاءَ حَفْضًا ذُقْتَهُ وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ
لَيْسَ يُوقِيكَ إِذَا أَحَدٌ وَإِنْ اسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاعِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَوَلَمَكَ
كَلِمًا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقٌ بِهِ وَأَحْتَرِزْ لِلْغَيْرِ تَشْكُرْ وَجَمَعَكَ
لَا تُؤَمِّلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكَ
لَيْتَ لَوْ تَشَعَّرُ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوَلَى الْمَوَالِي أُخْتَرَعَكَ
كُنْتَ لَا شَيْءٌ وَأَصْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

وَيَا كَافِلَ الْحَيْتَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
 وَيَا مَحْصِيَ الْأُورَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْحَصَى
 إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
 وَحِبِّ إِلَيْنَا الْحَقِّ وَأَعِصِمْ قُلُوبَنَا
 وَدَمِّرْ أَعَادِينَ بَسْطَانِكَ الَّذِي
 وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا

وله أيضاً من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

إِكْلَ خَطْبِ مِهْمٍ حَسْبِي اللَّهُ
 وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
 ذُو الْمَنِّ وَالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
 لَهُ الْمَوَاحِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمِثْلُ أَلَا
 الْقَادِرُ الْأَمْرَ النَّاهِي الْمُدْبِرَ لَا
 مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفَ وَلَا
 وَلَا يُعْيَرُهُ مَبْرُ الدُّهُورِ وَلَا
 وَلَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
 أَنَشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْسَتْ تُؤَبِّ الرِّجَاوُ النَّاسُ قَدَرَقَدُوا
 وَتَمَلَّتْ يَا عِدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
 قَهَمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَعْدُ
 وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتَمَدُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
 مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِيَّاهِ غَيْرُهُ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ الْإِلَهِ
 أَبَدَى بِجُحُكُمْ صُنْعِهِ مِنْ نُطْفَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
 وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
 وَدَحَا بِسَيْطِ الْأَرْضِ قَرَشًا مُثَنَّتَا بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالْبَنَاتِ حُلَاهُ
 تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
 رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْحَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
 كَمْ نِعْمَةٌ أُولَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجَلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَاقَاهُ
 فَإِذَا بَلِيَتْ بَغْرِبَةٌ أَوْ كُرْبَةٌ فَادْعُ الْإِلَادَةَ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
 لَا مُحْسِنَ الظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِ يَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاهُ
 وَجَلِيمِهِ سُجَّانَهُ يُعْصَى فَاثَمٌ يَعْبُدُ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
 يَأْتِيهِ مُعْتَدِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرعي في حمد الله

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدَ فَإِنْ لَدَائِمِ
 وَسُجَّانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
 فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
 وَجُودِكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكَشْفِ الْمَظَالِمِ
 وَبَابُكَ مُنْتَوَحٌ بِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرَّكَ مَمْنُوحٌ بِكُلِّ مُصَادِمٍ
 فَيَا قَالِقَ الْأَصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَتَوَلَّ نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَايَ وَأَقْرِنِ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لَطَّاعِلِهِ غُرُوبُ
وَأَهْمِنِي لِذِكْرِكَ طَوْلَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
وَظَنِّي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الابتهاال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَغَضًّا إِنَّهُ
وَأَقْصِدُهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ
شَمَّتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقُ كَلَّمَا
فَعَزِيزُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيهَا
مَلَأَتْ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ
حَجَبِهِ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونَهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بُوْجُودِهِ
وَإِلَيْهِ أَدْعَعَتِ الْعُقُولُ فَأَمَّتْ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ
طَلُوعًا وَكَرَهَا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ
إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
بِالْجُودِ يُرِضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
وَفَقِيرُهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَرَّهْمُ بَغْنَاهُ
هُوَ بَاطِنٌ لَيْسَ الْعِيُونَ تَرَاهُ
تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَحْرَسُ الْأَفْوَاهُ
أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
بِالْغَيْبِ تَوَثَّرَ حَبَابُ إِيَّاهُ
وَلَهُ سُجُودٌ أَوْجَهُ وَجِبَاهُ
وَلَهُ عَلَيْهَا الطُّوعُ وَالْإِكْرَاهُ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عُسْرِ
 وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفِ خَفِيِّ
 وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابُ
 كَرِيمٍ مُنْعَمٍ بِرُحْمَةٍ لَطِيفٍ
 حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
 فَمَا مَلَكَ الْمُلُوكِ أَقْلَ عِثَارِي
 وَأَمْرَضَنِي أَلْهُوَى لَهْوَانِ حَظِي
 وَعَانَدَنِي الزَّمَانَ وَقَلَ صَبْرِي
 وَعَدَّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدُوِّي
 وَأَنْسَنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
 وَأَكْبَنِي نَبَذْتَ زِمَامَ أَمْرِي
 هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَأَعْتَصَمِي
 إِلَهِهِ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَانِي
 وَكَمْ مُتَمَلِّقٍ يُخْفِي عِنَادًا
 وَحَافِرٍ حُفْرَةَ لِي هَارَ فِيهَا
 وَمُتَمَتِّعٍ الْقَوَى مُسْتَضْعَفٍ بِي
 وَذِي عَصَبِيَّةٍ بِالْأَكْرَامِ يَسْمَعِي
 فَيَأْدِيَانِ يَوْمَ الدِّينِ فَرَجٍ
 وَصَلَ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ

وَمَنْ تَفَرَّجِ نَائِبَةَ تَنْوُبُ
 وَمَنْ فَرَجَ تَرَوْلُ بِهِ الْكُرُوبُ
 وَلَا مَوْجٌ سِوَاهُ وَلَا حَيْبُ
 جَمِيلُ السِّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
 رَحِيمٌ غَيْمٌ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
 فَأَيُّ عَنَّا أَنْتَ الذُّنُوبُ
 وَأَيُّكَ لَيْسَ غَيْرُكَ لِي طَيْبُ
 وَصَاقُ بَعْبِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
 فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نُيُوبُ
 فَقَدْ يَسْتَوْجِدُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
 لِمَنْ تَدْبِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
 بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَلَا أُنَيْبُ
 فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
 وَأَنْتَ عَلَى سِرِّيَّتِهِ رَقِيبُ
 وَسَمِعُ الْبَغْيَ يَدْرِي مَنْ يُصِيبُ
 قَصَمْتَ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
 إِلَى سَعْيِي بِهِ يَوْمَ عَصِيبُ
 هُمُومًا فِي الْفَوَادِ لَهَا دَيْبُ
 إِلَيَّ وَتَبَّ عَلَيَّ عَسَى أَوْبُ

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طَرًّا
 تُسَمِّي اللَّهُ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْأِسْمُ غَيْرًا لِلْمَسْمِيِّ
 وَمَا إِنْ جَوْهَرٌ رَبِّي وَجِسْمٌ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا
 وَلَا يَمِضِي عَلَى الدِّيَانِ وَقْتُ
 وَمُسْتَعْنٍ إِلَّا هِيَ عَنِ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طَرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاتٍ وَنُعْمَى
 وَلَا يَفْنِي الْجَمِيمُ وَلَا الْجِنَانُ
 يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بغيرِ كَيْفٍ
 فَيَسْتَوْنَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ

قصيدة للبرعي في لحق سبحانه

٧

أَعْيُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
 وَأُنزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
 بُلِيْتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجُودِ وَالْجَارُ الْمُرِيبُ
 طَوَّتُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ

فَالسَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْحُجُبِ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُسْكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَخَبِي السُّحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سَرْمَدِيُّ الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمُ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عُلَاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ مَكَانُ يَحْتَوِيهِ أَوْ نُدْوَةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمَلِكُ وَالْمُلُوكُ عَيْدُ وَهُوَ حِي سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْتَنِي وَيَبْلِي رَحْمَةً ظِلْمًا عَلَيْهِمْ ظَلِيلُ
 أَنْتَ بَرُّ الْبَرَائِيَا فَهُمْ فِي سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي
 أَحْيَ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصَلْبِي وَأَنْلِنِي إِنْ الْكَرِيمُ يُنِيلُ
 وَأَجْرُنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلٍ قَبْلَ قَوْلِ الْوَشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
 وَأَفْتَقِدُنِي بِرَحْمَةٍ وَأُقْلِنِي زَاخِرُ طَافِحُ عَرِيضُ طَوِيلُ
 كَيْفَ يَظْمَأُ قَلْبِي وَعَقْمُوكَ بَحْرُ مَنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
 وَالرَّجَائِفِكَ وَالرِّضَامِنِكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نُجْبَةٌ مِنْ مَتْنِ بَدءِ الْأَمَلِيِّ فِي التَّوْحِيدِ

٦

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدءِ الْأَمَلِيِّ لِتَوْحِيدٍ يَنْظُمُ كَاللَّامِي
 إِلَاهَ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمُ وَمَوْصُوفٌ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدِّرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

ثُمَّ سِرُّ غَامِضٍ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ تَدْرِ مِنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُضُولِ
 لَا وَلَا تَدْرِي صِفَاتِ رُكِبَتْ فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولِ
 أَنْتَ أَكَلِ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُوُولِ
 فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي بَيْنَ جَنِيكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
 كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُضُولِ
 فَهَوَ لَا كَيْفٌ وَلَا أَيْنُ لَهُ هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُجُولِ
 وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ النُّوَاحِي لَا يَزُولِ
 جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَالَا وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

• قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ وَضَحَ الْحَقُّ وَأَسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 أَحَدَثَ الْخَلْقَ بَيْنَ كَافٍ وَنُونِ مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
 وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَرِشٌّ وَوَعُورٌ مَجْهُولَةٌ وَسَهُولُ
 وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَاحِحَاتٌ وَعُيُونٌ مَعِينَةٌ وَسَيُولُ
 وَرِيَاخٌ تَهَبُ فِي كُلِّ جَوٍّ وَتَحَابٌ يَسْقِي الْجِهَاتِ ثَقِيلُ
 وَدَرَارٍ بَكُمْ وَشَمْسٌ وَبَدْرٌ وَنُجُومٌ طَوَالِعٌ وَأَفُولُ
 حِكْمَةٌ تَاهَتْ الْبَصَارُ فِيهَا وَأَعْتَرَاهَا دُونَ الذُّهُولِ ذُهُولُ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرَمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقرظيني)

متن الشيبانية في التوحيد

٣

سَأْحَدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظِمُ عِمْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَفَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بَعِيرُ بَدَايَةِ وَآخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُؤَبَّدًا
سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ أَيُّكَائِكَ لَوْقَتَهَا قَدِيمٌ فَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَٰهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةَ تُحْوِي الْإِلَٰهَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَجَّدَا
إِذِ الْكُونِ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَمَّا كَانَ قَبْلَ الْكُونِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حِلَّ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ الْعَزَّ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْبَةٌ تَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُجَدَّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بَعِينِهِ فَذَلِكَ زِنْدِيقٌ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَأَكْبَرُ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ زَوِيهِ مُسْنَدًا
٤ رُوِيَ أَنَّ الزُّنْخَشَرِيَّ سَأَلَ الْإِمَامَ الْغَزَّالِيَّ عَنِ قَوْلِ الْقَائِلِ:

الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

قُلْ مَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَنْزَلِكِ الْبَحْثَ فَمَا شَرَحَ يَطُولُ

أَلْبَابُ الْأَوَّلِ فِي التَّدِينِ

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُبْحَاتُ جَمَالِهِ عَنْ نَمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَصْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِتْقَالِ . تَلَا لَاتَ عَلَى
صَفْحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جِبْرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَهَلَّلَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
لِكَايِنَاتِ آتَارِ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبْرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانَ وَالْأَوْهَامَ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
لَّ عَلَى ذَاتِهِ بِيَدَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامَ مَعْنُوعَاتِهِ

(شرح مواقف الايجي للجرجاني)

العظمة لك والكبرياء جلالك يا قائم الذات . ومفيض الخيرات .
واجب الوجود وواهب العقول وفاطر الارض والسموات ومبدي
الحركة والزمان . ومبدع الحيز والمكان . وفاعل الارواح والاشباح
جاءل النور والظلمات . ومحرك الافلاك المدبرات . ومزينها بالنجوم
ثواب واليارت . ومقرر الارض ومهداها لانواع الحيوان
اصناف المعادن والنبات . دام حمدك وجل ثناؤك . وتعالى ذكرك
تقدست اسمائك . لا اله الا انت وسيمت رحمتك . وكثرت
الاولك ونعمائك . افض علينا انوار معرفتك . وطهر نفوسنا عن

FJ
7631
C538
1913
v 11

APR 17 1973

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عُنِيَ بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الرابع

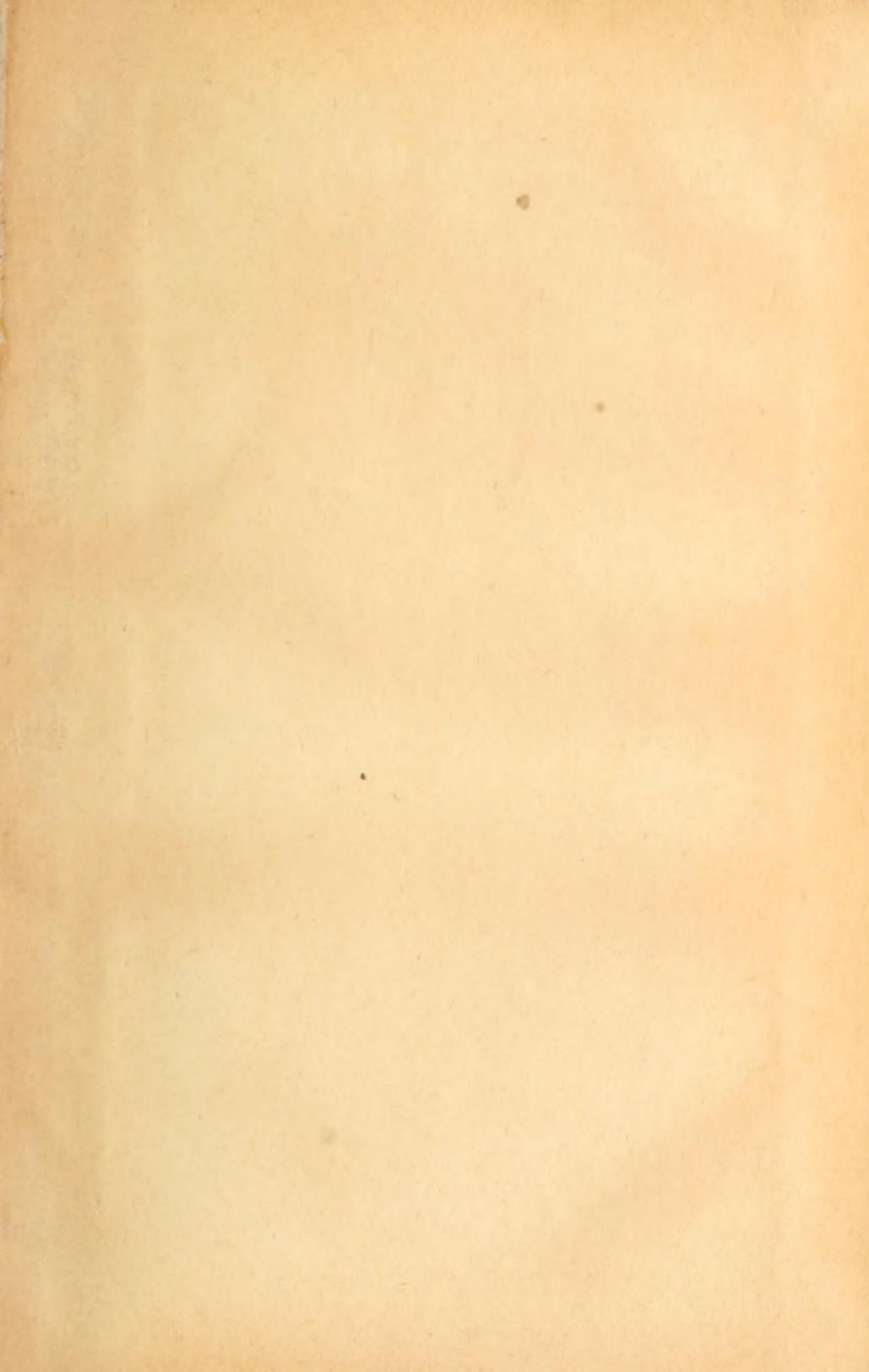


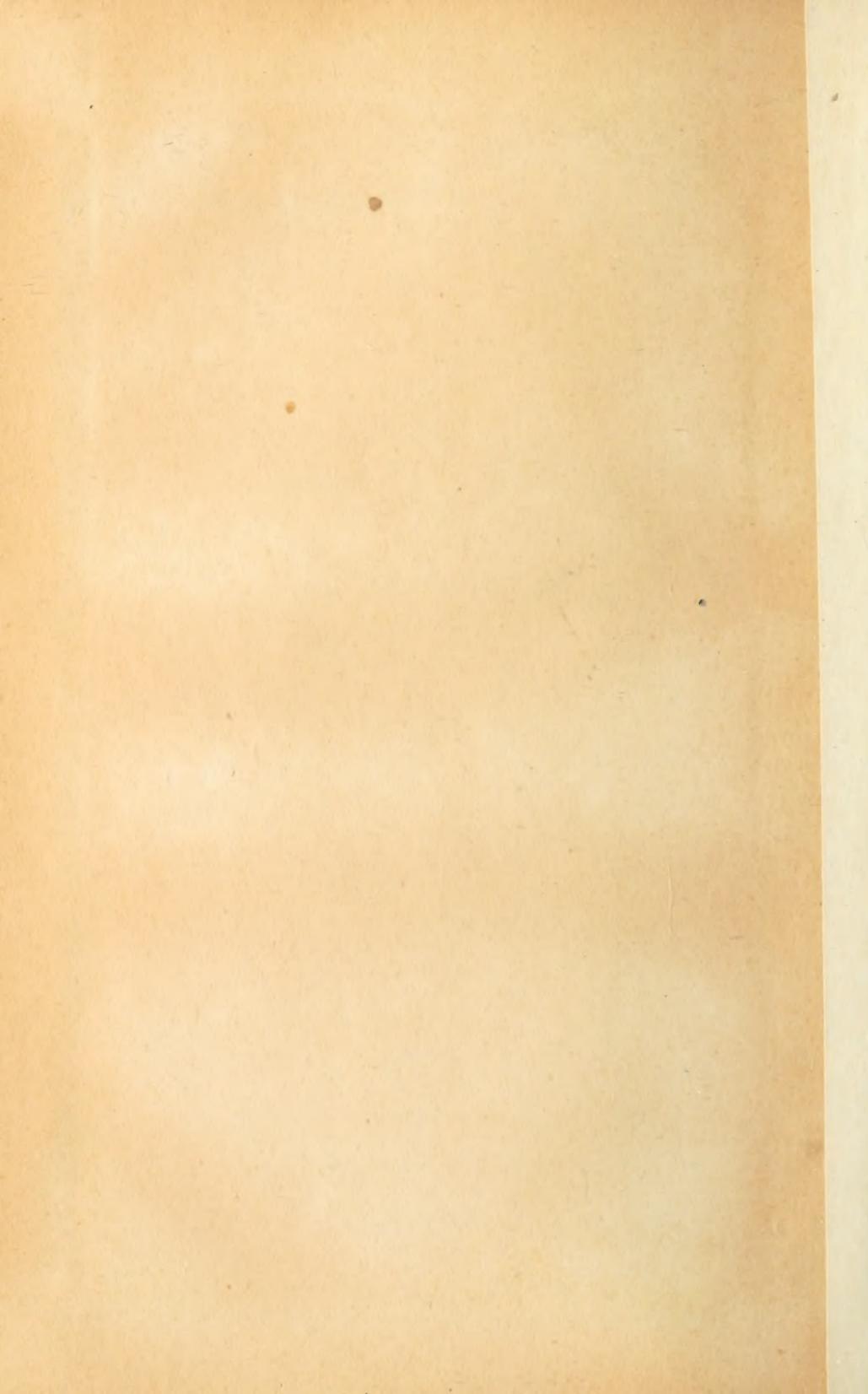
طبعة عاشره مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٢

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الخليفة ١٧٤

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة





PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ
7631
C538
1913
v.4

Cheikho, Louis
Majani al-adab

